

الدين .. والدجل
(1)

اعترافات
هارب من سجون الوهابية

رواية

د. نور الدين أبو لحية

دار الأنوار للنشر والتوزيع

الدين.. والدجل

(1)

اعترافات هارب من سجون الوهابية

د. نور الدين أبو لحية

الطبعة الثانية

1437 – 2016

دار الأنوار للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس المحتويات

هذه السلسلة

تحاول هذه السلسلة المعنونة بـ [الدين .. والدجل] تحقيق هدف كبير تسعى إليه بكل الوسائل، وهو مواجهة التشويهات العظيمة التي تعرض لها الإسلام في عصرنا الحديث، والتي صارت عائقا وحجابا بين الأمة والتحقق بما يطلبه دينها الأقوم الذي أمرها الله أن تتمسك به، وأن تخرج به للناس، وأن تكون لها من خلال ذلك الريادة والشهادة على سائر الأمم.

فالإسلام صار – بسبب تلك التشويهات الخطيرة – رمزا للعنف والإرهاب والتطرف وإلغاء الآخر، بل صار كل من يتمسك بهذا الدين مرتعا للكثير من العقد النفسية، والأمراض التي لا تؤذيه فقط، بل تؤذي العالم أجمع .. العالم الذي يتطلع إلى الخلاص من خلال رسالة الله التي تفنن الشياطين في تشويهها.

وقد رأيت – من خلال أدلة كثيرة – أنه لا يمكن مواجهة هذه التشويهات بالصمت والحياد، والذي طالبنا به الكثير حرصا علينا وعلى أن يشوه علماء الأمة أو تراثها أو تاريخها أو جماعاتها وحركاتها.

لكن الصمت أو الحياد لا يجدي شيئا.. فهو قد يصلح مع الخطايا التي أسرها صاحبها، ولم يعلنها، ولا يصح لأحد من الناس أن يفضحه بسببها.. ولكن عندما تفوح روائح الخطايا، فتصيب العالم أجمع بالزكام.. حينها لا يصح لنا أن نسكت.. ولا يحق لنا أن نفر من الحقيقة.. ولا يحق لنا أن نتذرع بتلك الذرائع الواهية التي تجعل الأمر كله مؤامرة علينا من العالم.

نحن حينها بين أمرين:

إما أن نقول للعالم: إن ما تشاهدونه من تصرفات مجنونة هي تصرفاتنا نحن بسبب سوء فهمنا لرسالة ربنا.. فنحن المتخلفون، وديننا دين حضارة.. ونحن إرهابيون، وديننا دين سلام.. ونحن متعصبون، وديننا دين سماحة.

وبين أن نقول لهم – حفاظا على سمعتنا وسمعة مشايخنا الذين نقدسهم-: لا .. نحن الصواب.. وما نفعله هو دين الله .. اقبلوه أو اضربوا رؤوسكم عرض الحائط.

لقد رأيت من خلال الواقع الفكري أن الكثير من أصحاب السمعة الطيبة، الذين يطبل لهم الإعلام، وتصفق لهم الأيادي، قد اختار الخيار الثاني، لست أدري هل كان ذلك بقناعة، أم كان لحرصة على سمعته ومنصبه وثروته بل وحياته، لأن الخيار الثاني لن يجني منه إلا الهجر والتكفير والتضليل وربما القتل..

لكن بالعودة إلى القرآن الكريم رسالة الله إلى عباده، نجده يدعونا إلى الخيار الأول.. بل يحذرنا من الخيار الثاني أعظم تحذير.. وقد ضرب لنا المثل على ذلك بمن سبقنا من الأمم.

فالله تعالى يقول مبينا اختيار علماء بني إسرائيل للخيار الثاني: ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُودَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ (78) كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (79)﴾ [المائدة: 78، 79]

لكن هذه الآية للأسف أولت تأويلا خطيرا حيث انصرف النهي عن المنكر فيها إلى المنكرات التي يقع

فيها عوام الناس وبسطاؤهم.. أما المنكرات التي يقع فيها العلماء والمفتون والجماعات والحركات.. والتي بسببها يقع الخراب والتشويه.. فقد وضعنا لهم من الحصانة ما يحميهم من كل تجريح أو نقد، بل صرنا نقول لكل من خولت له نفسه بالإنكار عليهم: (لحوم العلماء مسمومة، من شمها مرض، ومن أكلها مات) ليصدق علينا بذلك قوله ﷺ: (إنما أهلك الذين قبلكم، أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد)(1)

وهكذا فعلنا، فقد رحنا بسبب تلك الفتاوى الضالة نحول المعروف منكرا، والمنكر معروفا، فقتلنا روح الإنسان فينا، وخنقنا الفطرة التي فطرنا الله عليها.

لقد حولت تلك الفتاوى والكتب التي تناصرها، والخطباء الذين يدعون لها، والجماعات التي تتحرك في سبيل تحقيقها: القسوة والكبرياء والطغيان والاستبداد والتخلف دينا ندين الله به، ثم نقول للعالم أجمع: هذا هو الإسلام.

فهل يصح لأحد بعد هذا أن يسكت.. وهل يصح له أن يقف موقف الحياد.. وهل يصح له أن يضع الطلاء على هذه الصورة المشوهة ليكذب على نفسه وعلى الناس وعلى العالم أجمع.

أم أن الواجب هو أن يسمي الأشياء بأسمائها، وينتقد بقوة وصراحة وصدق وجرأة.. لأن ذلك هو الواجب الذي لا يحق له أن يفر منه.

نحن اخترنا هذا.. ولمن شاء أن يختار غيره فليفعل.

---

1) رواه البخاري.

وبناء على هذا كانت هذه السلسلة التي تعرضنا بسببها للكثير من الأذى الذي نحتسب عند الله أجره.. ونحن نحمد الله تعالى على أن من علينا أن نتعرض لبعض ريح الأذى الذي تعرض له أنبياؤه وأولياؤه والقائمون بالقسط من الناس.

ونحن – كما أننا نزعم أننا ننهى عن المنكر بفعلنا هذا – ندعو كذلك كل صادق ومخلص أن ينكر علينا، وأن يصحح أخطاءنا.. لكن بصدق وإخلاص وعلم.. وله بعد ذلك أن يرمينا بما شاء.. ويحكم علينا بما شاء.. فلا تهمنا أحكام الناس، بل المهم الذي نتطلع إليه هو حكم الله، فهم أرحم الراحمين، وهو أعلم بنياتنا ومقاصدنا.

المقدمة

كاتب هذه الاعترافات رجـل كتب لـه في فـترة من حياته أن يتبنى الفكر الوهابي، ويدعو إليـه، ويسـتميت في دعوته، ولكن الله بفضله ومنه وكرمه قيض له من يخرجه من كل تلك السجون التي وقع فيها، وقد تعرض لكثير من الأذى بسبب خروجه.

وهو – إذ يحمـد اللـه على فضـله- يسـعى من خلال هذه السلسلة، كما يسعى من خلال غيرهـا من السلاسـل أن ينبــه إخوانــه من الوهــابيين إلى اســتعمال عقــولهم والرجوع إلى الحقيقة، فلا شيء أجمل من الحقيقة.

وهو لذلك لا ينطلق من أي حقد أو ضغينة أو مرض من الأمراض النفسية، وإنما ينطلــق من الحب والسـلام.. فهو يعلم أن الكثير من أتبـاع الوهابيـة عـوام مسـاكين لم يتح لهم أن يسمعوا أو يقرؤوا أو يطلعوا.. ولو أن الفرصـة أتيحت لهم لحطمـوا الأغلال والقيـود كمـا حطمتهـا، وكمـا حطمها الكثير ممن عرف الحقيقة، فأناب وتاب وتراجع.

وبناء على هذا، فأنا ومن وحي المناهل العذبة الـتي رزقني الله الشرب منها على يـد أوليائـه أعتـذر لكـل من تأذى من الوهابية بهذه الكلمات، فيعلم الله مـدى محبـتي لهم، ومـدى حرصـي عليهم.. وإني وإن شـددت في بعض المحــال لم يكن ذلــك إلا كشــدة الطــبيب مــع مريضــه المقصـر، أو مـع الجـراثيم الـتي تريـد أن تفتـك بمريضـه المقصر.

وإني – مع هذا – مستعد للتراجع عن أي خطـأ أنبـه إليه، فالهدف هو الحق، وليس إلا الحق.

البداية

كنت حينها في البيت.. وكـانت ليلـة من ليـالي الشـتاء المظلمة.. وكنت على أهبة الاستعداد للقائـه.. فقـد فـارق النوم عيني، فصرت أردد مع امرئ القيس قوله:

وَلَيْـلٍ كَمَـوْجِ البَحْـرِ أَرْخَى سُـــــــــــــدُوْلَهُ ... عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الهُمُـوْمِ لِيَبْتَلِي

فَقُلْتُ لَــــــــهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُـــــــــــــلْبِهِ ... وأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءَ بِكَلْكَلِ

ألاَ أَيُّهَـا اللَّيْـلُ الطَّوِيْـلُ ألاَ انْجَلِي ... بِصُبْحٍ، وَمَـا الإصْـبَاحُ منِـكَ بِأَمْثَـــــــــــــــــلِ

عندما دق البـاب أسـرعت إليـه، وفتحتـه، وكـأني معـه على ميعاد..

دخل - بجبته القصيرة، ولحيته الطويلة، وقامته الفارعة – وهـو يلهث، وقـد ألجمـه العـرق إلجامـا، فلم أتـبين من كلامه الكثير كلمة واحدة.

أسـرعت إلى الكرسـي، فقدمتـه إليـه، فجلس، وهـو ممتلئ رعبا.

قلت مستفسرا عن سر حاله: ما بك؟.. ما بال الـرعب قد احتواك؟.. أأنت خائف من شيء؟

قال: أغلـق البـاب وأحكم غلقـه، فـإن هنـاك من يبحث

عني.. ولو ظفر بي لحكم علي بشر الأحكام.. بل إنه سيحكم عليك معي بتهمة إيوائك إياي.

قلت: أنت مجرم إذن.. فار من العدالة!؟

قال: بل طيب مغفل.. فار من المجرمين.

قلت: من هم المجرمون الذين تفر منهم؟

قال: عصابة من الناس تطلق على نفسها لقب (الوهابية)، ويطلق عليها من يحسن الظن بها لقب (السلفية).. وهم يؤثرون أن يلقبوا أنفسهم (أهل التوحيد)، و(أهل الحديث)، و(أهل الأثر)؟ وهي كلها:

ألقاب مملكة في غير موضعها كالهر يحكي انتفاخا صولة الأسد

قلت: انظر ما تقول.. إن من تذكرهم قوم ممتلئون بالإيمان.. منشغلون بالسنة والحديث.. دأبهم العمل على تهذيب المجتمعات وتصفيتها.. شعارهم الذي لا يزالون يرفعونه: تحكيم كتاب الله وسنة رسول الله.

لقد قال شاعرهم محمد تقي الدين الهلالي في قصيدة بعنوان (أنا وهابي) يفخر بذلك:

نسبوا إلى الوهاب خير عباده يا حبذا نسبي إلى الوهاب

الله أنطقهم بحقٍ واضح وهم أهالي فرية وكذاب

أكرم بها من فرقة سلفية سلكت محجة سنة وكتابِ

وهي التي قصد النبي بقوله ... هي ما عليه أنا وكل صحاب

قد غاظ عباد القبور ورهطهم ... توحيدنا لله دون تحاب

الله طهرهم وأعلى قدرهم ... عن نبز كل معطل كذاب

الله سماهم بنصِ كتابه ... حنفاء رغم الفاجر المرتاب

ما عابهم إلا المعطل والكفور ... ومن غوى بعبادة الأرباب

ودعا لهم خير الورى بنضارة ... ضمت لهم نصراً مدى الأحقاب

هم حزب رب العالمين وجنده ... والله يرزقهم بغير حساب

وينيلهم نصراً على أعدائهم ... فهو المهيمن هازم الأحزاب

إن عابهم نذل لئيم فاجر ... فإليه يرجع كل ذاك العاب

ما عابهم عيب العدو وهل يضي ... ر البدر في العلياء نبح كلاب

وقال آخر، وهو عمرو بن كلثومهم:

أنا السَّلفيُّ يامَنْ تسألينا ... أسيرُ على طريق السابقينا

أحاربُ كلَّ مبتدع جهول ... يرى في البدعة النُّور المبينا

وأحترمُ الأئمةَ دون طعن ... فقد كانوا هداة مهتدينا

وإني لا أقلدهم بجهل ... ولكن بالبصيرة قد رأينا

كمقبل وابن باز وابن نوح ... وشيخ عنيزة بهم اقتفينا

ولاننسى ربيعًا بنَ عُمير ... إمام الجرح والتَّعديل فينا

فهم علماؤنا في الدِّين دومًا ... على درب الهدي هم سائرونا

وأدعو للولاة بكل خير ... ولو كانوا عصاة مذنبينا

وأنصـــحهم بلطـــف دون عنف ... وطـاعتهم أرى مهمـا بقينا

وإني لســـــتُ حزبيًّا ذميمًا ... لأن الحـزبَ نهجُ الخاطئينا

فلا الصوفي يغريني بجهل ... وهرطقة الشـيوخ الهالكينا

يقيم لمولد الهادي احتفـالا ... ويـزعم أنـه في الـذاكرينا

ولا الإخوان تخــدعني لأني ... أراهم في الضـلالة غارقينا

وقــالوا في الرِّياســة عــزَّ قــــــــــــومي ... فحـــــادوا عن طريــــق الســــــــــــالفينا

وقالوا حسبنا مــا نحن فيه ... وبالبنَّا وبــالقُطب اقتــدينا

وقـــال ربيعُنـــا فيهم كلامًا ... فهم إخوانُ جهل مفلسـينا

ولا نهج الــــروافض أقتفيه ... فقد جعلوا إلههم الحسـينا

أرى التبليـــــغ نهجًــــا ذا انحـــــــــــراف ... فقــد ضـلُّوا ومنهجهم أبينا

ولهذا فهم يطلقون على أنفسهم لقب (أهـل الحـديث) و(أهل السنة).. ويطلقون على غيرهم أهل الأهـواء وأهـل

البدعة.

قال: بهذا بدأت قصتي معهم.. ولاشك أنك لا تزال سجينا لأول سجن من سجونهم.

قلت: سجن!.. ما تقول؟.. أنت تراني حرا.

قال: أنت حر في جسدك.. لكن روحك قد تكون مقيدة بقيودهم العنيفة.

قلت: فهل تحررت أنت من سجونهم؟

قال: أجل.. بحمد الله.. لقد هداني الله فتحررت من جميع سجونهم.. ولهذا تراهم يطلبونني.

قلت: يطلبونك!؟.. لا أراهم يفعلون ذلك.. فهم منشغلون بما هم فيه من علم وبحث.. ورواية ودراية.. وجرح وتعديل.. وتهذيب وتصفية.

قاطعني بقوة قائلا: وتبديع وتضليل.. وتقتيل وتذبيح..

قلت: ما تقول؟

قال: لا أقول إلا الحقيقة.

قلت: أراهم يحملون أقلاما لا سيوفا.. والأقلام لا تستطيع إلا أن تكتب.

قال: بل تستطيع أن تقتل.. بل تستطيع أن تبيد الأخضر واليابس..

قلت: تلك أقلام المجرمين.

قال: وهم يحملون مثل هذه الأقلام.

قلت: تلك دعوى.

قال: ولدي أدلتها..

قلت: فهلم بها.

قــال: ألا تــرى أن القاتــل لا يقتــل إلا بعــد أن يقتنــع باستحقاق المقتول للقتل.

قلت: أجــل.. إلا إذا كــان في القاتــل نزعــة لســفك الدماء.. فهو يقتل لمجرد إرضاء غريزته.

قال: فهم لهذا صنفان: صنف يحمل لسان الإقناع ليقنع القتلة، وصـنف يحمـل السـيوف لينفـذ مـا اقتنـع بـه.. وإن شئت قلت: هم صنفان: صنف يحكم، وصنف ينفذ.. صنف يستعمل القلم، وصنف يستعمل السيف.

قلت: الذي أعلمه أن الخصومة بينهما شديدة.

قــال: هي في الظــاهر شــديدة.. ولكن الحقيقــة بكــل جوارحها تنطق بأنهما وجهان لعملة واحــدة، أو فــردان في محكمة واحدة أحدهما يحكم والآخر ينفذ.

سكت قليلا، ثم قـال: عـد إلى تلـك الأبيـات الـتي كنت تنشدها لي..

قلت: أيها؟ أبيات هلاليهم.. أم أبيات ابن كلثومهم؟

قـال: كلاهمـا.. فهمـا مقـدمتان لنتيجـة واحـدة.. تقـول بلسان فصيح: لســنا إلا نحن.. أو تقــول: من لم يكن معنــا فهو ضدنا.

قلت: ذلك صحيح.. فهم يــرددون هــذا الكلام، وينقلونــه عن سلفهم.

قال: إن هذا هو نفسه ما ردده هتلـر وليـنين وشـارون،

وما ردده كل من تصوروا أنهم شعب الله المختار.

قلت: ولكنهم لا يعتبرون أنفسهم شعب الله المختار.

قــال: أليســوا يعتــبرون أنفســهم الفرقــة الناجيــة.. المنصورة.. وكل من خالفهم ضال مضل؟

قلت: ذلك صحيح.. وقد قال بعضهم في خاتمـة رسـالة له في العقيدة بكل كبرياء: (فمن أقر بما في هذا الكتــاب وآمن به واتخذه إماما ولم يشك في حرف منه، ولم يجحد حرفا منه فهو صاحب سنة وجماعة كامـل قـد كملت فيـه الجماعة ومن جحد حرفا مما في هـذا الكتـاب أوشـك في حرف منه أو شك فيه أو وقف فهو صاحب هوى)(1)

قال: ليس الأمر قاصرا على هذا الصعلوك الدعي.. بل كلهم يـدعي هـذا، ويلـزم الآخـرين بـأن يقولـوه، وإلا فـإن جميع صكوك الغفران ستنتزع منهم.. ولا ينفعهم عند اللــه أي شفاعة.. فلا يشفع الرسول ولا الملائكة المقربــون ولا أولياء الله الصالحون - في تصورهم - حتى يأذن الــوادعي والمدخلي والحربي وغيرهم.

قلت: إن ما تقوله خطير جدا.

قال: ولهذا أنا أقوله، ولولا ما أخذ الله على العصاة من أنه لا تقبل توبتهم إلا إذا أصلحوا وبينوا ما أتيت إليك.

قلت: نعم أنا أقرأ في القرآن الكريم قوله تعــالى: (إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَـا أَنْزَلْنَـا مِنَ الْبَيِّنَـاتِ وَالْهُـدَى مِنْ بَعْـدِ مَـا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَــــــــابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُــونَ (159) إِلَّا الَّذِينَ تَـابُوا وَأَصْـلَحُوا وَبَيَّنُــوا فَأُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ (160) (البقرة).. ولكن لا

1) البربهاري، شرح السنة: 58.

أدري مـدى انطباقهـا عليـك.. ولا أدري بعـد ذلـك علاقتهـا بحديثك معي.

قال: لقد جئت إليك بعد أن سألت عنك، فقـد قيـل: إن لديك قلما لا يفارقك..

قلت: أجل.. فأنا منذ قرأت قوله تعـالى عن القلم: (ن وَالْقَلَمِ وَمَـا يَسْـطُرُونَ (1) (القلم).. وأنـا لا أكـاد أتـرك القلم، وهو من تعلقه بي لا يكاد يفارقني.. أتراك تريـد أن تقترضه مني؟

قـال: لا.. أريـدك أن تكتب بـه مـا سـأمليه عليـك من اعترافات..

قلت: أنا لست من المباحث..

قـال: لا بـد لكـل من كـان لـه قلم أن يكـون من المبـاحث.. فـالمجرمون المختفـون في جلابيب العدالـة أخطر من المجرمين المتزرين برداء الإجرام.

قلت: وعيت هذا.. بل قد نطق به القرآن الكـريم، فقـد قال تعالى يصف نفرا من الناس: (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْـهِدُ اللَّهَ عَلَى مَـا فِي قَلْبِـهِ وَهُـوَ أَلَـدُّ الْخِصَـامِ (204) وَإِذَا تَـوَلَّى سَـعَى فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِـدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَـرْثَ وَالنَّسْـلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَـادَ (205) وَإِذَا قِيـلَ لَـهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْـهُ الْعِـزَّةُ بِـالْإِثْمِ فَحَسْـبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَـادُ (206)(البقـرة)، وقـال يصـف المنـافقين: (وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَـامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُـوا تَسْـمَعْ لِقَـوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَـدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ (4) (المنافقون)

قال: فهذه الآيات تصف نفرا من هؤلاء.

قلت: لكن هؤلاء مسلمين.. والآيات تصف منافقين.

قال: أنا لا أكفر أحدا.. ولا أقـول بـأن أحـدا من النـاس منافق.. ولكن لهؤلاء من الأخلاق ما يشـابه هـذه الأخلاق.. ولا شأن لي بعد ذلك في أي صنف يوضعون.

قلت: لا بـأس.. فلنفـرض بـأني سـلمت لـك بكـل مـا قلت.. ماذا تريد من قلمي أن يكتب؟

قال: اعترافاتي..

قلت: وعيت ذلك.. لكن أي اعترافات تريد أن تكتب.

قـال: لقـد لبسـت في عقـود من الـزمن ثيـاب من وصـفتهم تلـك الآيـات الكريمـة.. فكنت في أعين النـاس حملا.. لكن قلبي كان مملوءا بالثعالب والذئاب.. ولـولا أن قيض الله لي من نوره مـا نبهـني إلى حـالي لعشـت ذئبـا ومت ذئبا دون أن يفطن لي أحد من الناس.

قلت: ولكن الله خلصك وعدت إلى طبيعتـك وفطرتـك السليمة، فما غايتك من الناس؟

قال: كيف لا تكون لي عندهم غاية.. وهم المحل الـذي كنت أرتع فيـه.. لقـد كـان النـاس كلأ مباحـا لي، ولـلذئاب التي كانت معي..

قلت: ولكنك كففت عنها.

قال: مجرم أنا إن تركت قطيع هذه الأمة للذئاب.. وأنـا أعرف أنهم الذئاب.. ألم تكن قد قرأت لي الآيات الكريمة التي تنص على وجوب البيان.

قلت: بلى..

قال: فتلك الآيات تأمرني، وتأمر من هو مثلي في حال توبتـه أن لا يكتفي بألفـاظ يرددهـا، بـل عليـه أن يسـعى ليصحح ما أوقع فيه غيره من أخطاء..

قلت: وعيت الآن مـا تريـد.. أنت تريـد من قلمي أن يسجل شهادة لك بالتوبة عما كنت فيه.. مـا أسـهل هـذا.. امـل علي نص توبتـك.. وسأوصـي من يضـعها معـك في كفنك عند وفاتك.

قـال: لا.. لم أرد هـذا.. فاللـه يعلم بتوبـتي وأنـا أكتفي بعلم الله.. أتريدني يا رجل أن أرائي بالتوبة.

قلت: حيرتـني في أمـرك.. فـأخبرني عن مـرادك بالضبط.

قال: إن المبين الحقيقي هو الـذي لا يكتفي بـأن يـذكر توبته جمله.. بل عليه أن يذكرها تفصيلا..

قلت: ما تعني بالتفصيل؟

قال: لقد سرى ما كنت أذكـره ممـا تلقيتـه بين النـاس كما يسري النـار في الهشـيم.. وعلي أن أسـعى وراء كـل أثـر للنـار لأعيـد الحيـاة إلى مـا أحرقتـه.. وإلا فـإن اللـه سيسألني.

قلت: لم أفهم.

قـال: سأبسـط لـك الأمـر.. تصـور أن رجلا سـرق من عشـرة محلات.. ثم تـاب.. وقـد أعطـاه اللـه من المـال والقوة والصحة مـا يسـتطيع بـه إعـادة مـا سـرق.. أتـراه يكفيه أن يعيد ما سرقه إلى محل واحد، أم عليـه أن يعيـد ما سرقه لجميع المحلات؟

قلت: بل عليه أن يعيد لجميع المحلات ما سـرق منهـا، وإلا فإنهم سـيقفون خصـوما بينـه وبين ربـه، لن ينفعـه إلا ذلك..

قال: فهذا هو حالي.. فأنا السارق الذي كان يسرق من هذه الأمة فطرتها وجمالها وسماحتها ونبلها وسلامها.. وأنا السـارق الـذي كـان يحمـل رايـة الخيانـة والغـدر.. وأنـا السارق الذي كان يشـوه مـا جـاء بـه رسـول اللـه ﷺ من مكـارم الأخلاق.. ولا ينفعـني عنـد اللـه إلا أن أرد جميـع سرقاتي، وأعياد الحياة لجميع ما أصبته بسمومي.

قلت: ولكن ذلك يحتاج وقتا طويلا.. فقد ذكـرت لي أن لك عقودا في هذه الصناعة.

قـال: ولـذلك جئت إليـك.. فقـد علمت أن لـديك بيتـا واسعا، وأنه لا يضيق بمن يزوره.. كما أن لك قلما سيالا لا يضيق بما يملى عليه.

قلت: لقد صدقت في هـذا وهـذا.. فمرحبـا بـك.. وهلم بما تريد أن تمليه علي.

قال: صبرا.. ألا تـرى العـرق قـد ألجمـني، والجهـد قـد كظني، والعناء قد احتواني.

قلت: فهمت مرادك.. تريد مني أن أؤجل الحديث.

قال: أجل.. فلنجعل لكل يوم حديثا وخبرا.. لأنبئـك فيـه بسر من أسرار السجون التي كنت أقبع فيها.

قلت: كم سجنا هي؟

قـال: مـا أكثرهـا.. اصـبر علي.. وسـأعدها لـك واحـدا واحدا.. لتنشرها بعد ذلك عساها تشفع لي عند ربي (يَـوْمَ

لَا يَنْفَعُ مَـالٌ وَلَا بَنُـونَ (88) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَـلِيمٍ (89) (الشعراء)

***

هذا هو أول حديث لي مـع هـذا الرجـل الغـريب.. وقـد تبعته أحاديث كثيرة سنقصها عليكم كما قصها علينا واحـدا واحدا.. ويعلم الله مدى الأمانة التي يحملها قلمي.. ولذلك لن أزيد حرفا واحدا على ما يمليه علي إلا ما كان من باب التوضيح والتبسيط.. وكل من كان لديه رد على ما يقــول، فليتوجــه بــه إليــه، فأنــا واســطة بينكم وبينــه.. أبلغــه احتجاجاتكم، كما أبلغكم ردوده..

كلهم في النار

بعد أن أخذ صاحبي حظه من الراحة، دخلت إليه في أول اليوم الثاني غرفته، وأنا أحمل قلمي ودفتري لأكتب ما يمليه علي.. فعجبت لما رأيت منه.. بل أصابني نوع من الرعب الذي يصيبنا عند رؤية المجانين وغريبي الأطوار.

لقد رأيته يضع أمامه قصاصات كثيرة.. يصنفها ويخاطبها كما يخاطب الأستاذ تلاميذه.. لا.. بل كما يخاطب السجان مساجينه..

وكان مما سمعته منه مما أدخل في نفسي الرعب قوله، وهو يحمل بعض تلك القصاصات، ويخاطبها بغلظة: أما أنت يا إليزابيث فصوفية.. أعلم ذلك منك.. فإشاراتك توحي بذلك.. ولذلك ليس لك إلا أن تدخلي جهنم مع الداخلين.

أخذ قصاصة أخرى، وراح يخاطبها بقوله: أما أنت يا شافيز فجميع خطبك ومواقفك تشير إلى أنك رافضي أو إخواني.. لا يهم.. كلاهما سواء.. فلذلك اذهب إلى جهنم.

ثم أخذ قصاصة أخرى، وراح يخاطبها بقوله: وأنت يا هتلر.. أعرفك جيدا.. أنت تبليغي قح.. لقد رآك بعضهم تخرج مع جماعة التبليغ.. اذهب إلى السعير لتلتهمك لظى.

ثم أخذ قصاصة أخرى، وراح يقول لها بكل قوة: وأنت يا رامسفيلد.. أنت.. أنت.. نعم أنت (سروري).. اذهب إلى جهنم..

واذهب معه يا حافظ الأسد فأنت (رافضي)..

وهكذا يا مارادونا فأنت (مذبـذب).. لا تـزال منـذ فـترة مذبذبا.. لا.. بل ربما أنت رافضي تتقن التقية، فقـد علمنـا من مصادرنا أنك عازم على زيارة إيران.. ولا يـزور إيـران إلا الرافضة.. هيا.. أسرع، فجهنم تنتظرك!!

بعــد أن رمى الكثـير من القصاصــات في قعــر جهنم التفت إلي، فرآني مبهوتا محتارا، فابتسـم، وقـال: اقـترب مني.

قلت: ماذا تريد أن تفعل بي؟.. أنا في عرضك.

قال: لا تخف.. فلن أفعل لك شيئا.

قلت: أخاف أن تقـذفني في جهنم كمـا قـذفت شـافيز ورامسفيلد ومارادونا.

قال: لا تخف.. فأنت ترى أني لا أملك جنة ولا سـعيرا.. بل لا يملك الجنة والسعير إلا بارئهما.

قلت: فما كنت تفعل بأوراقك هذه؟

ابتسم، وقـال: هـذه لعبـة كنـا نتسـلى بهـا في سـجون الوهابية.. لقد كنا نكتب قصاصات مثل هـذه القصاصـات.. ثم نصنفها أصنافا كثيرة.. ثم نشـعل حطبـا كثـيرا ونرميهـا فيه لتشعر قلوبنا الباردة ببعض الحرارة.

قلت: أكنتم تكتبـون فيهـا أسـماء رامسـفيلد وشـافيز ومارادونا؟

قــال: لا.. معــاذ اللـــه.. فلم نكتب فيهــا إلا أســـماء مسلمين.. بل علماء وربانيين.. بل مصلحين ومجددين.

قلت: ولكن منزل هؤلاء الجنة.

قال: لقد كنا نستعمل كل وسائل الاستقصاء لنخـرجهم من الجنة، ونرسل بهم إلى حظيظ جهنم.

قلت: وما يضـركم أن يـدخلوا الجنـة.. ومـا يضـركم أن تتركوا أمرهم لله ليفعل بهم ما يشاء.. فالله هو رب الجنة والنار، وهو يدخل من يشاء فيهما، ويخرج من يشاء.. لقـد قال علي في ذلك - بعد أن ذكر دخـول أهـل الجنـة الجنـة وأهل النار النار ووصف ذلك أحسـن صـفة -:(ويفعـل اللـه بعد ذلك في خلقه ما يشاء)، وقـال عبداللـه بن عبـاس:(لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقـه، ولا يـنزلهم جنـة ولا نارا)، وقال أبو سعيد الخـدري:(انتهى القـرآن كلـه الى هذه الآية: (إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ)(هود: من الآية107)

قهقـه بصـوت عـال، وقـال: أنت ترجـع إلى القـرآن الكـريم، وإلى آل الـبيت الطـاهرين، وإلى الصـحابة المنتجبين..

قلت: إذا لم أرجع لهؤلاء، فلمن أرجع؟

قال: لأئمة السلف.. فلا يمكن أن تفهم القرآن إلا على ضوء ما يقرره أئمة السلف.

قلت: فآل البيت والصحابة هم أئمة السلف.

قال: لا.. أول أئمة السلف وآخرهم وشيخهم هو محمـد بن عبد الوهاب وشيخه (شـيخ الإسـلام ابن تيميـة !!).. ألا ترى أنهم يطلقون عليه لقب (شـيخ الإسـلام).. وهـو لقب لم يطلق حتى على علي ذلك الذي كان بابـا لمدينـة العلم والحكمة.

قلت: لكن هؤلاء من الخلف.. فكيف يكونون سلفا؟

قال: هم سلف السلف.. وهم الذين يقـررون مـا ينبغي أن يقول السلف، وما لا ينبغي أن يقولوه.

قلت: لا أزال محتارا.. كيف يكون المتأخر سلفا؟

قال: هكذا هو منطق الوهابيين.. إن لهم منطقا خاصا.. ألم تعلم أن شيخهم ابن تيمية قـد نقض منطـق أرسـطو ليبني على أساسه هذا المنطق؟

قلت: ولكن هذا المنطـق يتنـافى مـع الفطـرة السـوية والقلب السليم والعقل السليم..

قهقه بصوت عال، وقال: عن أي شيء تتحدث.. إن مـا تتحدث عنه هو أول ما ينزع من صدور من يـدخل سـجون الوهابيـة.. فلا يمكن لصـاحب الفطـرة السـوية والقلب السليم والعقل السليم أن يبقى محتفظا بسـلامة فطرتـه، ولا سلامة قلبه وعقله.

قلت: لم؟

قال: لأنـه لا يسـمع في مجالسـهم إلا الغيبـة والنميمـة والأحقـاد والضـغائن.. وأنت تعـرف مـا تفعلـه هـذه في القلوب والعقول والفطر.

قلت: الغيبة والنميمة والأحقاد والضغائن حـرام باتفـاق الأمة.

ابتسـم وقـال: كـل حـرام يضـع عليـه محمـد بن عبـد الوهاب وتلاميذه ومشايخه يده عليـه يصـير حلالا.. ألا تعلم أن الله أحل لهم الحرام، ووضـع عنهم إصـرارهم والأغلال التي كانت عليهم، بل وضع في يدهم الجنة والنار يـدخلون من يشاءون ويخرجـون من يشـاءون.. فإيـاك أن تغضـبهم

فيرمونك في الدرك الأسفل من النار.

قلت: أنت تملؤني بالعجب.. لقد صرح القـرآن الكـريم بحرمة الغيبـة والنميمـة، وقـد توعـد أهلهـا وعيـدا شـديدا، وأخــبر ﷺ عن عقوبــة من تصــور نفســه مــوكلا بخــزائن الرحمـة والمغفـرة يصـرفها لمن يشـاء، ويحـرم منهـا من يشاء، فذكر أن رجلا قال: والله لا يغفر اللــه لفلان، فقـال الله: من ذا الذي يتألى علي أن لا أغفـر لفلان؟ فـاني قـد غفرت لفلان، وأحبطت عملك)(1)

وفي حـديث آخـر، قـال ﷺ: (ألا أحـدثكم حـديث رجلين من بني إسرائيل؟ كان أحدهما يسرف على نفسـه، وكـان الآخـر يـراه بنـو إسـرائيل أنـه أفضـلهم في الـدين والعلم والخلق، فذكر عنده صاحبه، فقال: لن يغفر الله له، فقال الله لملائكته: (ألم يعلم أني أرحم الراحمين؟ ألم يعلم أن رحمــتي ســبقت غضــبي؟ فــاني أوجبت لهــذا الرحمــة، وأوجبت على هذا العذاب، فذا تتألوا على الله)(2)

وفي حديث آخر قال ﷺ: (قال رجل لا يغفر الله لفلان، فأوحى الله إلى نـبي من الانبيـاء أنهـا خطيئـة، فليسـتقبل العمل)(3)

وفي حديث آخر ورد ما هو أعظم من ذلـك، فقـد قـال ﷺ: (كان رجل يصلي، فلما سـجد أتـاه رجـل فـوطئ على رقبته، فقال الذي تحته: والله لا يغفر لك الله أبـدا، فقـال اللـه عزوجـل: تـألى عبـدي أن لا أغفـر لعبـدي، فـاني قـد

______

1) رواه مسلم.

2) رواه أبو نعيم في الحلية وابن عساكر.

3) رواه الطبراني في الكبير.

غفرت له)(4)

وقد سمى ﷺ هؤلاء الذين زعموا لأنفسهم امتلاك خزائن الجنان (المتألين)(2)، فقال: (ويل للمتألين من أمتي، الذين يقولون: فلان في الجنة، وفلان في النار)(3)

بل أخبر ﷺ عن هلاك هذا النوع من الناس، فقال: (إذا سمعت الرجل يقول: هلك الناس فهو أهلكهم)(4)، وقال: (إذا قال الرجل: هلك الناس فهو أهلكهم)(5)

قال: صدق رسول الله ﷺ.. لقد كان تأملي في هذه النصوص المقدسة نورا من أنوار الهداية، وبابا من أبواب الرحمة.. لقد قيض الله لي في ذلك الحين بعض الصالحين، وقد سألني حينها: (من أي فرقة أنت؟)، فأجبته بكل كبرياء: (أنا من الفرقة الناجية)، فابتسم، وقال: (وهل عندك صك بأنك منها)، فقلت: (لقد أخبر ﷺ عن أوصافها، فذكر أنها ما عليه ﷺ وأصحابه)، فقال: (وهل تطيق أن تنسب لنفسك هذا... إن الذين كانوا معه ﷺ كانوا أعظم تواضعا من أن ينسبوا لأنفسهم ما تنسبونه لأنفسكم... بل كانوا يتخوفون على أنفسهم من النفاق... ألم تسمع ما ورد عن السلف الصالح ﵃ في ذلك؟.. لقد قال أحدهم: (أدركت ثلاثين ومائة - وفي رواية خمسين ومائة - من أصحاب النبي ﷺ كلهم يخافون النفاق)

***

4) رواه الطبراني في الكبير.
2) معنى يتألى: يحلف والالية اليمين.
3) رواه البخاري في التاريخ.
4) رواه مالك وأحمد ومسلم وأبو داود.
5) رواه أحمد ومسلم وأبو داود.

قـال ذلـك، ثم انفجـر باكيـا، فـأردت أن أخفـف عنـه، فقلت: دعنا من هذا، فالله يقبل توبة عبـاده.. عـد بنـا إلى قصاصاتك.

ابتسم، وقال: هي أمامك.. خذ منها ما تشاء.. وسـأذكر لك ما علمني أصحابي من وجوه استحقاقه لجهنم.

أخذت القصاصات.. فقرأت أسماء كثـيرة.. تكـاد تجمـع جميع علماء المسلمين وصـالحيهم.. وكـان من عجـبي أن رأيت اسما امتلأت له حبا وتقديرا هو اسم (مولانـا محمـد علاء الـدين ماضـى أبـو العـزائم) شـيخ عمـوم الطريقـة العزمية.

فقلت: ما لهذا الرجل قد وضـع في هـذه القصاصـات.. أنا أحسب أنه من أولياء الله فهو يمتلئ محبة لله وحرصـا على هذه الأمة.

قال: لقد أقمنا في سجوننا نفيرا بسـبب تصـريحات لـه أبدى اسـتعجابه فيهـا ممن يطلقـون على معاويـة، و يزيـد ابنه، وأبي سفيان، لقب سيدنا، قائلا: متى كـانوا أسـيادنا؟ فهل قتلة سـيدنا الحسـين هم أسـياد لنـا؟ مشـيرا إلى أن بنى أمية موجودون إلى وقتنـا هـذا ويجب أن تفيـق الأمـة من غفوتها.

وهـو فـوق ذلـك يـرى أن الأمـة الإسـلامية مغيبـة عن حاضرها، وأصبحت الآن في حالة من الفرقـة الـتي تحتـاج إلى تكاتف الجميـع لكى تعـود إلى مجـدها، وأن مـا حـدث فى معركـة كـربلاء يـدل على أن الأمـة غـابت عن منهج رسول الله ﷺ وكان يجب بعد مقتل سبط الرسول سـيدنا الحسين، أن تقـوم الأمـة وتنتفض، ولكن للأسـف بـدل أن تقوم وتنتفض نامت في سبات عميـق لم تفـق منـه حـتى

وقتنا الحالي.

قلت: هــذا كلام طيب، وهــو دليــل على وعي الرجــل وفقهه وحرصه على الأمة.

قال: أنت تقول ذلك.. لكننا في سجوننا لا نقولـه.. لقـد عقـدنا في ذلـك المســاء اجتماعـا عامـا دعي لـه جميـع المعتقلين في سجوننا، وقد حكمنا فيه عليـه بأحكـام يربـأ لساني عن ذكرها.. ثم رمينـا قصاصـته في جهنم، وتلـذذنا بنارها الموقدة أياما.

في اليوم الثالث، دخلت على صاحبي الوهـابي الهـارب غرفتـه الـتي استضـفته فيهـا، فتعجبت إذ رأيتهـا على غـير الصورة التي كانت عليها، ولـولا أن عقلي كـان معي، وأن ذاكرتي كانت تحفـظ جيـدا بيـتي لتـوهمت أني دخلت بيتـا غير بيتي.

لقد صار بيـتي أقـرب إلى خيـام الـوبر منـه إلى بيـوت المدر..

سألته مستغربا: ما الذي حصل لبيتي؟

ابتسم، وقال: اعذرني سيدي.. فلا تزال لوثـة الوهابيـة تطيـف بعقلي أحيانـا، فأتصـرف من غـير وعي، وأتحـرك على غير رشد.

قلت: لا بأس عليك.. ولكن لم فعلت ببيـتي هـذا.. وأي ذكريات مؤلمة جعلتك تنحرف به هذا الانحراف؟

قال: ذكريات مؤلمة بدأت مع أول علاقتي بهم..

قلت: فهل تقصها علي؟

قال: ما دام قلمك معك، فسأقصها عليك.. فلا ينفعـني عند الله إلا أن أقصها عليك.

أخذ صاحبي الوهابي الهارب نفسا عميقا، ثم قـال: في تلـك الأيـام كنت طالبـا جامعيـا.. في تخصـص من التخصصـات العلميـة الحديثـة.. وكنت فخـورا حينهـا بالحضارة التي أنتمي إليها حضارة العلم والمعرفـة.. وقـد كنت أتصور نفسي أسير على ما سار عليه أجدادي الـذين قدموا أروع حضارة للعالم..

في بعض تلـــك الأيـــام شـــعرت بشـــوق يشـــدني إلى مجالس العلم، لما ورد فيهـا من الفضـل.. فأسـرعت إلى مجلس من المجالس، وليتني ما فعلت..

لقد وجدت في ذلك المجلس الذئب الـذي يلبس ثيـاب الحمل محتلا لذلك العرش الذي لا يجلس عليه إلا العلمـاء العاملون.

لقد كان ضبعا حقيرا، ولكنه كـان يـزأر كزئـير الأسـود.. يريد أن يجرد بزئيره المسـلمين والحضـارة الإسـلامية من كل منقبة، ليلصق بها بعد ذلك أي دعي أي مثلبة.

قلت: أمستشرق هو أم مبشـر؟.. أم مسـتغرب هـو أم ملحد؟

قـال: ليتـه كـان كـذلك.. لقـد كـان مسـلما ملتزمـا في سلوكه غاية الالتزام.. وقد رأيت أهل مجلسه يصفونه بأنه (السنة تمشي).. ولكنه كان في حديثه كحامل معول يريـد أن ينقض على البنيان الذي بنته أجيال من هذه الأمة.

قلت: فهلا حدثتني حديثه؟

قـال: يؤلمـني أن أحـدثك حديثـه.. لقـد أثـر في ذلـك المجلس كمـا لم يـؤثر في أي مجلس.. لقـد جلسـت مـع المستشرقين والمستغربين والمبشـرين فلم أسـمع أحـدا منهم ينهش في الأعـــراض مثلمـــا ينهش.. وللأسـف فقـد انحرف ذلك المجلس بي انحرافا تاما، وبدل أن أتوجه إلى العلم تـــوجهت إلى الجـــدل، وإلى الأوديـــة الســـحيقة والسجون المظلمة لأسكن فيها عقودا من عمري.

قلت: ما دمت قد ذكرته لي.. فلا مناص من أن تحدثني حديثه.. من هو أولا؟

قال: دعنا من اسمه.. فلو ذكرناه لم نأمن أن يحصل لك شر بسببه أو بسبب من يحيط به.. فقد كان لهم من الأنفة والعزة ما لم يكن لمروان القرظ، ولا لأم قرفة(1).

قلت: فحدثني حديثه.

قال: لقد سمعته يقول(2): إن الفتن في هذه الأزمان قد تتابعت كقطع الليل، وأحييت معالم الدَّهْمَاء، وأثير نقع الفتن، واستوري زناد الهَزَاهِز.. ولكن مستثار الفتنة وعرصة غيِّها؛ هو فيما حازه الكفار من زخارف الدنيا، فإنها قد بلبلت كثيراً من المسلمين، فمنهم من انسلخ عن دينه.. ومنهم من بقي حائراً.. ومنهم من ثبت على دينه على دَخَنٍ.. ومنهم من لم يرفع بهذه الفتنة رأساً، ولم يلق لها بالاً، بل ثبت على دينه ثبات الجبال الرواسي.

وفي هذا الجو الكئيب من غبار الفتن العصيب ظهر قوم منا ينطقون بألسنتنا، ولكن قلوبهم مملوءة بالشقاق والنفاق وسوء الأخلاق.. لقد ظهر هذا الفريق يحاول إبراز محاسن الإسلام للكافرين.. وأن المسلمين كانوا في حضارة وعلم من جنس حضارتهم وعلومهم..

وقد أخطأوا ـ ويلهم ـ خطأ شنيعا.. فالإسلام هو دين الحق والعلم والحضارة.. ولكنها حضارة غيرُ الحضارة وعلمٌ غير العلم.

---

1) هذه أمثال عربية قديمة يقال (أعز من مروان القرظ)، و(أعز من أم قرفة).

2) النص الذي نعرضه هنا ـ بتصرف ـ منتقدين له مستفاد من كتاب (حقيقة الحضارة الإسلامية)، للشيخ ناصر بن حمد الفهد، وقد اعتبر مذكرته هذه (جوابا عمَّن: جعل حضارة الإسلام؛ هي النبوغ في علوم الفلاسفة والملاحدة.. وجعلها هي تشييد المباني وزخرفة المساجد.. وجعل علماء الإسلام؛ هم الملاحدة).. وللأسف فإن مثل هذه الأفكار تجد سوقا واسعة هذه الأيام.. فكثير من الشباب يحملونها ويبشرون بها، بل يعتبرون التبشير بها من فروض الأعيان.. ويستغل المبشرون والمستشرقون والمستغربون ذلك أسوأ استغلال.

سارت مشرقة وسرت مغرباً شتان بين مشرقٍ ومغرب

حضارتهم دنيوية زائلة، وحضارتنا دينية نبوية باقية.. وعلومهم دنيوية دنيه، وعلومنا شرعية ربانية.. سلفية سنية نبوية.. ليست بذات شطحٍ ولا هذيانِ.

بعد أن أنهى محاضرته المملوءة بالسجع والجناس والطباق.. قام رجل من المحيطين به، وقال: حدثتنا عن حضارة السوء.. حضارة المزابل والقمامات.. فحدثنا عن حضارتنا.

رفع رأسه بأنفة وكبرياء، وقال: حضارتنا هي الحضارة الصحيحة.. وهي التي وجدت في القرون المفضلة.. في وقت الصحابة والتابعين، وأئمة الدين، فريق الهدى، وأشياع الحق، وكتائب الله في أرضه، الذين بلغوا من الدين والعلم والقوة غاية ليس وراءها مطلع لناظر، ولا زيادة لمستزيد، ففتحوا البلدان، وشيدوا الأركان، ودانت لهم الأمم، وتداعت لهم الشعوب.

وهم النجوم لكل عبدٍ سائرٍ يبغي الإله وجنة الحيوانِ

وسواهم والله قطّاع الطريق أئمةٌ تدعو إلى النيرانِ

أهل حضارتنا هم (أبر الأمة قلوباً، وأعمقها علوماً، وأقلها تكلفاً، وأقومها هدياً، وأحسنها حالاً)(1)

1) رواه سعيد بن منصور.

فَمن كـان مفـاخراً؛ فليفـاخِرْ بهم، ومن كـان مكـاثراً؛ فليكاثرْ بهم، فـدينهم هـو الـدين، وعلمهم هـو العلم، مكّن الله لهم في الأرض ففتحوا الدنيا وحكموا العالم في مـدةٍ لا يبلغ فيها الرضيع أن يفطم.

قـال الـذهبي: (واسـتولى المسـلمون في ثلاثـة أعـوام على كرسي مملكة كسرى وعلى كرسـي مملكـة قيصـر، وعلى أمَّي بلادهمـا، وغنم المسـلمون غنـائم لم يسـمع بمثلها قـط من الـذهب والحريـر والرقيـق، فسـبحان اللـه العظيم الفتاح)(1)

قام رجل من أصحابه، وقال: لقد ظهر في هذه الأزمنة التي أتت بكـل عجيب قـوم بهـرتهم زخـارف بـني الأصـفر وبلبلت أفكارهم وفهومهم، فشعروا - لبعدهم عن الحـق - بنقص إزاء مـا يرونـه.. فهبـوا إلى التـاريخ يقلبـون أوراقـه لعلهم يجدون فيه ملجأً أو مغاراتٍ أو مدَّخلاً يسـترون فيـه هذا النقص، فطووا ذكـر القـرون المفضـلة لأنهم يعلمـون أنه ليس فيها لشفرتهم محـزّا، ولا لبغيتهم طـائلاً، وأمعنـوا النظر في دويلات البدع والضـلالة، فـأخرجوا منهـا زبـالات التاريخ وحثالات المسـلمين ممن تفلسـف وتزنـدق وألحـد في دين اللــه، فلمَّعـوا وجـوههم الكاحلـة، ونفضـوا عنهـا الـدَرَن والنتن.. فبـارزوا بهم الكفـار، فكـانوا بحـقٍ كعبـدٍ صرعه أَمَةٌ، وكالمستجير من الرمضاء بالنار.

فهرفـوا بمـا لم يعرفـوا، فمـا كلامهم إلا خطـل، ومـا حديثهم إلا هَذَر، وقديماً قيل: (مَنْ أكثرَ أهجَرَ)

فما سر هؤلاء فضـيلة الشـيخ.. وبقيـة السـلف.. وسـيد الخلف؟

1) تاريخ الإسلام: ص159.

رفع الشيخ رأسه بكبرياء، ثم قال: إن النكتة في ذلك ترجع إلى أن هؤلاء القوم إنما أرادوا مبارزة بني الأصفر بعلومٍ من جنس علومهم، وهذه العلوم لم يبرع فيها من المسلمين إلا الملاحدة، وغفلوا أو تغافلوا عن قوله تعالى : ﴿ كُلاًّ نُّمِدُّ هَـؤُلاء وَهَـؤُلاء مِنْ عَطَاء رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاء رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾ (الإسراء: 20)، وهذا من عطائه تعالى، والدنيا يعطيها الله لمن يحب ويكره، ولكن الدين لا يعطيه إلا لمن يحب، وإلا فهذه العلوم لا تدل على حق ولا تمنع من باطل، بدليل أنك لو جمعت ما عند ملاحدة اليونان والمسلمين من هذه العلوم ثم قارنتها بما عند الكافرين اليوم لما بلغت عشر معشارها.. والنقص إنما يشعر به من ابتعد عن جادة الدين، وإلا فمن سلكَ الجَدَد؛ أَمِنَ العثار.

ولو أمعنوا في دراسة التاريخ؛ لاتضح لهم جلياً أن المسلمين لم يضعفوا ويتسلط عليهم الكفار والتتار والباطنية وغيرهم إلا بعد انتشار مثل هذه العلوم والعلماء بين المسلمين.

لقد كان العلم الشرعي في عهد السلف محصورا فيما دل عليه القرآن والسنة وكلام السلف.. لا علوم الفلاسفة والملاحدة.

كل العلوم سوى القرآن مشغلة	إلا الحديث وإلا الفقه في الدين
العلم ما كان فيه قال؛ حدثنا	وما سوى ذاك وسواس الشياطين

قال ذلك، ثم صاح بزئير كزئير الأسود: الله الله في الإسلام.. فإن الحضارة الإسلامية لا تقاس بعمران الدنيا ولا بعلومها، فإن المسلمين لما اشتغلوا ببناء القصور الفارهات، وبتعلّم الفلسفة والمنطق والطبيعيات، وركنوا إلى الدنيا واستهانوا بالعلوم الشرعيات؛ رماهم الله بالدواهي والمصيبات، فالفهمَ الفهمَ، فإن الإسلام لم يأتِ لعمارة الدنيا إلا بالطاعات.

قام رجل من القوم، وقال: إن بيننا من التبست عليه الأمور.. فراح يصف المارقين بأوصاف المسلمين.. وراح يعدل من ذكره ثقاتنا في المجروحين.. ونحن نطلب منك أيها الشيخ الوقور أن تذكر لنا الحكم الصحيح فيهم.. وهل هم من أهل الجنة أم من أهل النار؟.. أو هم من الطائفة المنصورة أم من طوائف البوار.. الذين يملؤون أطباق النار؟

قال الشيخ: سل عما بدا لك.. فلن تجد عندي إلا العلم الصحيح.. وكل حرف عداه بدعة.. وكل بدعة ضلالة.. وكل ضلالة في النار.

قال الرجل: نسألك عن عبد الله بن المقفع.

قال الشيخ: لقد كان مجوسياً فأسلم.. وكان يتهم بالزندقة.. وقد قال فيه المهدي: (ما وجدت كتاب زندقة إلا وأصله ابن المقفع)

قال الرجل: فأخبرنا عن جابر بن حيان.

قال الشيخ: لقد قال فيه شيخ الإسلام ــ عليه مني أفضل السلام، وأزكى الصلاة والإكرام ــ: (وأما جابر بن حيان صاحب المصنفات المشهورة عند الكيماوية؛

فمجهول لا يعرف، وليس له ذكر بين أهل العلم والدين)

ولو أثبتنا وجوده، فإنما نثبت ساحراً من كبـار السـحرة في هـذه الملـة، اشـتغل بالكيميـاء والسـيمياء والسـحر والطلسمات، وهو أول من نقل كتب السحر والطلسمات.

قـــال الرجـــل: فأخبرنـــا عن محمـــد بن موســـى الخوارزمي.. ذلك الذي اشتهر باختراع (الجبر والمقابلـة)، وكان داعيه لذلك المساعدة في حل مسائل الإرث.

قـال الشـيخ: لقـد رد عليـه شـيخنا.. شـيخ الإسـلام.. الناطق باسم الإسلام.. عليه مني أزكى السلام.. بأن ذلـك العلم وإن كـان صـحيحاً إلا أن العلـوم الشـرعية مسـتغنية عنه وعن غيره.

ثم هـو فـوق ذلـك كـان من كبـار المنجّمين في عصـر المـأمون والمعتصـم والواثـق.. وكـان من كبـار مَنْ تـرجم كتب اليونان وغيرهم إلى العربية.

قال الرجـل: فأخبرنـا عن عمـرو بن بحـر.. ذلـك الـذي لقب بالجاحظ.

قال الشيخ: ويل له.. ثم ويـل لـه.. لقـد كـان من أئمـة المعتزلـة، تنسـب إليـه (فرقـة الجاحظيـة).. وكـان شـنيع المنظر.. سيء المخبر.. رديء الاعتقاد.. تنسب إليه البدع والضلالات.. وربما جاز به بعضهم إلى الانحلال، حتى قيل: (يا ويح من كفّره الجاحط).

قال الرجل: فأخبرنا عن محمد بن موسى بن شاكر.

قـال الشـيخ: ويلـه.. ثم ويلـه.. لقـد جمـع جميـع أنـواع الضـلالة.. فهـو فيلسـوف، موسـيقي، منجّم، من الــذين

ترحموا كتب اليونان، وأبوه موسى بن شاكر، وأخواه أحمد والحسن؛ منجمون فلاسفة أيضاً.

قال الرجل: فأخبرنا عن الكندي.. يعقوب بن اسحاق.

قال الشيخ: ذلك المارق الفيلسوف.. لقد كان من أوائل الفلاسفة الإسلاميين.. وهو منجّم ضال، متهم في دينه كإخوانه الفلاسفة.

قال الرجل: فأخبرنا عن عباس بن فرناس.

قال الشيخ: ويله.. ثم ويله.. هو فيلسوف، موسيقي، مغنٍ، منجّم، نسب إليه السحر والكيمياء، وكثر عليه الطعن في دينه، واتهم في عقيدته، وكان إلى ذلك كله شاعراً بذيئاً في شعره مولعاً بالغناء والموسيقى.

قال الرجل: فأخبرنا عن ثابت بن قرة.

قال الشيخ: ويل للصابئ.. لقد كان كافرا، فيلسوفا، ملحدا، منجّما، وهو وابنه إبراهيم بن ثابت، وحفيده ثابت بن سنان.. كلهم ماتوا على ضلالهم..

قال الرجل: فأخبرنا عن اليعقوبي.. أحمد بن اسحاق.

قال الشيخ: ويل له.. لقد كان رافضيا، معتزليا، تفوح رائحة الرفض والاعتزال من تاريخه المشهور، ولذلك طبعته الرافضة بالنجف.

قال الرجل: فأخبرنا عن الرازي.. محمد بن زكريا الطبيب.

قال الشيخ: ويل له.. لقد كان من كبار الزنادقة الملاحدة.. يقول بالقدماء الخمسة الموافق لمذهب

الحرانـيين الصـابئة.. وهـو يفـوق كفـر الفلاسـفة القـائلين بقـدم الأفلاك، وصـنّف في مذهبـه هـذا ونصـره، وزندقتـه مشهورة.

قـال الرجـل: فأخبرنـا عن البتّـاني.. محمـد بن جـابر الحراني.

قال الشيخ: ويله.. لقد كان صابئاً.. فيلسوفاً.. منجّماً.

قال الرجل: فأخبرنا عن الفارابي.. محمد بن محمد بن طرخان.

قـال الشـيخ: ويلـه.. فقـد كـان من أكـبر الفلاسـفة، وأشدهم إلحاداً وإعراضاً، وكان ابن سينا على إلحاده خـير منه.

قـــال الرجـــل: فأخبرنـــا عن المســـعودي.. علي بن الحسين.

قال الشيخ: ويله.. لقد كان معتزلياً، شـيعياً.. قـال فيـه شيخنا.. شيخ الإسـلام.. الجبـل الهمـام.. عليـه مـني أزكى السلام: (وفي تاريخ المسعودي من الأكاذيب ما لا يحصـيه إلا اللـه تعـالى، فكيـف يوثـق في كتـاب قـد عـرف بكـثرة الكذب؟)

قـال الرجـل: فأخبرنـا عن المجـريطي.. مسـلمة بن أحمد.

قال الشـيخ: ويلـه.. هـو فيلسـوف، كبـير السـحرة في الأنـدلس، بـارع في السـيمياء والكيميـاء، وسـائر علـوم الفلاسفة، نقل كتب السحر والطلاسم إلى العربية.

قال الرجل: فأخبرنا عن مسكويه.. محمد بن أحمد.

قال الشيخ: ويله.. لقد كان مجوسياَ، فأسلم، وتفلسف، وصحب ابن العميد الضال، وخدم بني بويه الرافضة، واشتغل بالكيمياء فافتتن بها.

قال الرجل: فأخبرنا عن ابن سينا.. الحسين بن عبد الله.

قال الشيخ: ويله.. لقد كان إمام الملاحدة، فلسفي النحلة، ضال مضل، من القرامطة الباطنية، كان هو وأبوه من دعاة الإسماعيلية.. كافر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم بالآخر.

مساوئ لو قسمن على الغواني = لما أمهرن إلا بالطلاق

قال الرجل: فأخبرنا عن ابن الهيثم.. محمد بن الحسن بن الهيثم.

قال الشيخ: ويله.. لقد كان من الملاحدة الخارجين عن دين الإسلام، من أقران ابن سينا علماً وسفهاً وإلحاداً وضلالاً.. وكان في دولة العبيديين الزنادقة..

قال الرجل: فأخبرنا عن ابن النديم.. محمد بن اسحاق.

قال الشيخ: ويله.. لقد كان رافضيا، معتزليا، غير موثوق به.

قال الرجل: فأخبرنا عن المعرّي.. أبي العلاء أحمد بن عبد الله.

قال الشيخ: ويله.. ذلك المشهور بالزندقة على طريقة البراهمة الفلاسفة، وفي أشعاره ما يدل على زندقته

وانحلاله من الدين..قال فيه شيخنا القحطاني ـ عليه مـني السلام ـ في نونيته:

تعسَ العميُّ أبـو العلاء فإنـه = قـد كـان مجموعـاً لـه العَمَيانِ

قال الرجل: فأخبرنا عن ابن باجه..أبي بكر بن الصائغ.

قال الشـيخ: ويلـه.. فيلسـوف كأقرانـه، لـه إلحاديـات، يعتـبر من أقـران الفـارابي وابن سـينا في الأنـدلس، من تلاميذه ابن رشد، وبسبب عقيدتـه حاربـه المسـلمون هـو وتلميذه ابن رشد.

قال الرجل: فأخبرنا عن الأدريسي.. محمد بن محمد.

قال الشيخ: ويله.. لقد كان خادمـاً لملـك النصـارى في صقليه بعد أن أخرجوا المسلمين منها، وكفى بـذلك لؤمـاً وضلالاً.

قال الرجـل: فأخبرنـا عن ابن طفيـل.. محمـد بن عبـد الملك.

قــال الشــيخ: ويلــه.. كــان من ملاحــدة الفلاســفة والصوفية، له الرسالة المشهورة (حي بن يقظان)، يقـول بقدم العالم وغير ذلك من أقوال الملاحدة.

قال الرجل: فأخبرنا عن ابن رشـد الحفيـد.. محمـد بن أحمد بن محمد.

قال الشيخ: ويله.. فيلسوف، ضـال، ملحـد، يقـول بـأن الأنبياء يخيلون للناس خلاف الواقع.. ويقـول بقـدم العـالم وينكــر البعث، وحــاول التوفيــق بين الشــريعة وفلســفة أرسطو في كتابيه (فصل المقـال) و(منـاهج الملـة)، وهـو

في موافقته لأرسطو وتعظيمه له ولشيعته؛ أعظم من موافقة ابن سينا وتعظيمه له، وقد انتصر للفلاسفة الملاحدة في (تهافت التهافت)، ويعتبر من باطنية الفلاسفة، والحادياته مشهورة..

قال الرجل: فأخبرنا عن ابن جبير.. محمد بن أحمد.. صاحب الرحلة المعروفة بـ (رحلة ابن جبير)

قال الشيخ: ويله.. ألا ترى في رحلته تلك تقديسه للقبور والمشاهد الشركية، وتعظيمه للصخور والأحجار، واعتقاده بالبدع والخرافات وغيرها كثير؟

قال الرجل: فأخبرنا عن الطوسي.. نصير الدين محمد بن محمد بن الحسن.

قال الشيخ: ويله.. نصير الكفر والشرك والإلحاد، فيلسوف، ملحد، ضال مضل، كان وزيراً لهولاكو وهو الذي أشار عليه بقتل الخليفة والمسلمين واستبقاء الفلاسفة والملحدين، حاول أن يجعل كتاب (الإشارات) لابن سينا بدلاً من القرآن، وفتح مدارس للتنجيم والفلسفة..

قال الرجل: فأخبرنا عن ابن البناء.. أحمد بن محمد.

قال الشيخ: ويله.. لقد كان شيخ المغرب في الفلسفة والتنجيم والسحر والسيمياء.

قال الرجل: فأخبرنا عن ابن بطوطة.. محمد بن عبد الله.

قال الشيخ: ويله.. ذلك الصوفي، القبوري، الخرافي، الكذّاب.. كان جل اهتماماته في رحلته المشهورة؛ زيارة القبور والمبيت في الأضرحة، وذكر الخرافات التي

يسـمونها (كرامـات) وزيـارة مشـاهد الشـرك والوثنيـة، ودعائه أصحاب القبور وحضور السماعات ومجالس اللهو، وذكـر الأحـاديث الموضـوعة في فضـائل بعض البقـاع، وتقديسه للأشخاص، والافتراء على العلماء الأعلام.

***

بعـد أن نفث ذلـك الأسـد الهصـور سـمومه في أذني سـرت بكآبـة لا تعـدلها كآبـة.. وصـرت بين أمـرين إمـا أن أستمر في دراسـة العلـوم الحديثـة لتـنزل علي بعـدها مـا نزل على أجدادي من اللعنات، أو أنقطع لأظفر بمـا يعـده هؤلاء من الجنات.. وما أسرع مـا ملت إلى الجنـات، فقـد كنت حينها عظيم الإخلاص، قليل البضاعة من العلم.

لقـد سـرت في اليـوم الثـاني، وسـحبت انتمـائي من الجامعة التي انتميت إليها لأدخل سـجن الجهالـة والبـداوة مع من دخل إليه من الوهابيين وأذنابهم.

***

بعد أن حـدثني صـاحبي الوهـابي بهـذا سـألته: فكيـف أنقذك الله من هذا السجن؟

قال: بعد أن رأيت من الجهل والبداوة في أصحابي مـا رأيت.. وفي يـوم من أيـام اللـه.. سـرت حزينـا في بعض البوادي، أقلب النظر فيمـا كنت فيـه، وفيمـا صـرت إليـه، وبينـا أنـا كـذلك إذ ربت على كتفي رجـل.. وقـال لي: لا تحزن.. وواصل بحثك.. فالحقيقـة أعـز من أن تراهـا عنـد طرف واحد.

قلت: من أنت؟.. وكيف عرفت أمري؟

قال: لا يهمك اسمي.. ولكني من أحفاد رجل عظيم من بناة الحضارة الإسلامية كان اسمه (أبو إسحاق إبراهيم بن يحيى النقاش الزُّرْقَالي)(1).. وقد عاش في القرن الرابع الهجري.. وولد في قرطبة.. وعمل في طليطلة بالأندلس.

قلت: استر نسبك.. قبل أن يصيبك من ويلاته ما يخرجك من الإسلام.

قال: تقصد ذلك الشيخ الجراح وأتباعه؟

قلت: أجل.. فلم أسمع منهم إلا تهم الإلحاد والزندقة.

قال: لا عليك منه.. إن لأولئك تصورا خاطئا عن دين الله.. إن حالهم لا يختلف عن حال ذلك الأعرابي الذي قال في دعائه: (اللهم اغفر لي ولمحمد، ولا تغفر لأحد معنا)(2)

قلت: ولكن ألا ترى في كلامه وجوها من الصحة؟

قال: إن ذلك الرجل لم يفهم سر حضارة الإسلام..

قلت: فما سرها؟

قال: لقد تعامل المسلمون مع الخلق بما أرشدهم إليه

---

1) الزرقالي (420-480هـ/1029-1087م) هو من أعظم راصدي الفلك في عصره، وواحد زمانه في علم العدد، والرصد، وعلم الأبراج، قام بأكثر أرصاده بها، ثم انتقل منها إلى قرطبة وبقي فيها حتى وفاته..

2) هذا ما ورد في رواية ابن حبان في حديث الأعرابي الذي بال في المسجد، ونص روايته أنه (دخل أعرابي المسجد، ورسول الله ﷺ جالس، فقال: اللهم اغفر لي ولمحمد، ولا تغفر لأحد معنا. فقال ﷺ: لقد (احتظرت) واسعا.. ثم تنحى الأعرابي فبال في ناحية المسجد.. فقال الأعرابي بعد أن فقه الإسلام: إن رسول الله ﷺ قال له: (إن هذا المسجد إنما هو لذكر الله، والصلاة ولا يبال فيه)، ثم دعا بسجل من ماء، فأفرغه عليه.

ﷺ حين قال: (أنزلوا الناس منازلهم)(1)

قلت: ما تعني؟

قال: ألا ترى الحضارة الحديثة وكيف تزهو بنفسها؟

قلت: بلى.. أرى ذلك.

قال: فهل اختص ببنائها جنس دون جنس.. أو أهل دين دون أهل دين؟

قلت: لا.. هي تضم كل الأديان والمذاهب والأجناس.

قال: فهكذا الإسلام.. لقد وفر للحضارة قيمها والظروف المناسبة لها.. ثم ترك للمبدعين ليتحركوا في مجالات الإبداع الصحيحة.. ولذلك فإن الحضارة الإسلامية شملت ببركاتها كل الأديان والمذاهب والأعراق والطوائف..

قلت: ولكن الشيخ ذكر ملاحدة؟

قال: لقد رآهم بنظره القاصر ملاحدة.. لقد ذكرت لك أن هؤلاء رسموا للإسلام إطارا معينا.. فكل من جاوزه لم ينجو من سيوفهم أو من تصنيفهم.

قلت: ولكن منهم من قال كلمات ربما تؤدي به إلى الإلحاد..

قال: لقد علمنا رسول الله ﷺ أن لا ننظر إلى الأمور من هذه الزاوية.. لقد علمنا أن لا نمحو قناطير الحسنات بخطيئة واحدة قد لا تكون مقصودة.. وقد لا تكون خطيئة أصلا.

1) رواه مسلم وغيره.

ألم تسمع أنه ﷺ ذكر (رجلا فيمن سلف أعطاه الله مالا، وولدا، فلما حضرت الوفاة، قال لبنيه، أي أب كنت لكم، قالوا: خير أب، قال: فإنه لم يبتئر، عند الله خيرا، وإن يقدر الله عليه، يعذبه، فانظروا إذا مت فأحرقوني، حتى إذا صرت فحما فاسحقوني، فإذا كان يوم ريح عاصف، فأذروني فيها ـ فأخذ مواثيقهم على ذلك، وربى ـ ففعلوا، ثم أذروه فى يوم عاصف، فقال الله عز وجل: كن، فإذا هو رجل قائم، قال الله: أى عبدى، ما حملك على أن فعلت ما فعلت؟ قال: مخافتك ــ أو فرق منك ـ فما تلافاه أن رحمه عندها)(1)؟

قلت: إن هذا حديث عظيم.. دعني أذهب وأبشره به.. عساه يكف عن إدخال الناس إلى النار.

ابتسم، وقال: دعك منه.. فهو يحفظ الحديث.. ويحفظ أسانيده.. ولكن المسكين انشغل بعد رواته عن البحث عن معناه أو عن إدراك معناه.. ألم تسمع قوله ﷺ: (نضر الله امرءا سمع منا حديثاً فحفظه حتى يبلغه غيره، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه، ورب حامل فقه ليس بفقيه)(2)

______

1) رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

2) رواه ابن حبان في صحيحه، والحاكم وقال: صحيح على شرط الشيخين.

في اليوم الرابع، دخلت على صاحبي الوهـابي الهـارب غرفته التي استضفته فيهـا، وبقيت معـه لحظـات ألاطفـه وأخفف عنه بعض ما يعانيه من أعباء الماضي، وقد عجبت إذ رأيته على غير عهدي به هادئا ممتلئا صفاء وسلاما..

وكان من قولي لـه - وأنـا أجتهـد في التخفيـف عنـه -: انظر إلى السماء وما حوت من مجـرات ونجـوم وكـواكب وسدم وما نرى وما لا نرى.. لترى أن الواسع العليم الذي اتسعت قدرته لكل هذا لن تضـيق مغفرتـه بمـا سـبق لـك من خطأ لم تكن تقصده.

بمجــرد أن قلت هــذا رأيت ملامحــه تتبــدل، وجبينــه يتقطب، وسحنته يكسـوها غضـب شـديد لم أدر سـببه، ثم رأيتــه يقــوم بقــوة جهــة البــاب، وهــو يقــول: تكــذبون.. تكـذبون.. أنتم أجهـل النـاس.. أنتم أحقـر النـاس.. أنتم لا تتقنــون إلا الــدعاوى.. أنتم أصــحاب الجهــل المــركب.. تجهلون، وتجهلون أنكم تجهلون..

اقتربت منه، وحاولت أن أخفف مـا بـه، فرمـاني بيـده، وهو يقول: دعني.. دعني.. فإن كوابيس أولئك المدعين لا تـزال تطـاردني كـل حين.. ولـو لم أقم لأرميهم بجمـرات سبابي لانفجرت.

قلت: روديك.. ما الذي حصل؟.. ما الذي جعلـك تفعـل هذا؟

أخذ نفسا عميقا، ثم قال: ما أشد الظلمـات الـتي كـان عقلي يسكن فيها!!

قلت: العقـل لا يسـجن.. لا يسـجن في هـذه الـدنيا إلا

الجسد.. أما العقل، فلصاحبه مطلق الحرية فيه.. وكم رأينا من العلماء سجنوا، فلم يزدهم سجنهم إلا ذكاء ونشاطا ونبوغا.

قال: ولذلك قلت لك: إن سجون الوهابية لا تعادلها جميع سجون الدنيا.. ذلك لأن المسجون فيها ليس الجسد، وإنما العقل والروح والقلب.. وجميع اللطائف الكريمة.. المتحرر الوحيد في سجون الوهابية هو هذا الطين.. هذا الحمأ المسنون الذي لا يختلف عن كل حمأ تراه.

قلت: أنى لهم أن يسجنوا العقل.. العقل بيد صاحبه.. لا يستطيع أحد في الدنيا مهما كان أن يسلبه من صاحبه.

قال: إلا الوهابيون، ومن كان على شاكلتهم.. إن لهم القدرة على أن يقوموا بغسيل للعقل.. لا يعرف بعده معروفا ولا ينكر منكرا.. وهم يستغلون في ذلك أقدس كلام، وأعظم هدي.

قلت: ما تعني؟

قال: الوهابيون يستعملون النصوص المقدسة التي جبلت القلوب والبصائر على تعظيمها والتسليم لها ليقوموا بمهمتهم الخطرة.

قلت: للنصوص المقدسة من العصمة والقداسة ما يستحيل معه أن تمس طهارتها.. ألم تسمع قوله تعالى: (لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ (79)(الواقعة)، وقوله: (لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ (42)(فصلت)؟

قال: أجل.. هي كذلك.. ولكن ألم تسمع قول النبي ﷺ:

(إن أخــوف مــا أخــاف عليكم بعــدي كــل منــافق عليم اللسان) (1)

قلت: أجل.. وما في هذا مما نحن فيه؟

قال: إن هذا الحديث يتحدث عن عين ما نحن فيه.. إن هؤلاء لا يتقنون إلا هذا الفن من العلم.. إنهم يعمـدون إلى أقدس كلام لينجسوه بأفهامهم المدنسة.

قلت: لم أفهم ما تقول.. أو لعلي لم أقتنع بما تقول.

قال: سأقص عليك قصة ربما تجعلك تعي ما أقول.

قلت: هلم بها.. فما أحلى قصصك.

نظر من نافـذة الـبيت إلى الأفـق البعيـد، ثم قـال: في تلك الأيام المظلمة زار بيتي صديق قديم لي، كان يسـكن أمريكا، وكان عالما كبيرا من علماء الفلك.. وكان مسيحيا من المسيحيين العرب.. وقد جمعتـني بـه صـداقة قديمـة، ولكنه أتاني في تلك الأيام لأمر خاص.. خاص جـدا.. طلب مني أن أكتمه عن الكل..

لقد كان يبحث حينهـا عن الحقيقـة.. وقـد ذكـر لي أنـه ظهر له من جمال الإسلام وقوته وروحانيتـه مـا لم يظهـر له في المسيحية، ولا في أي دين آخر.

وكان من جملة ما قال لي: انظر.. الإسـلام هـو الـدين الوحيد المنسجم مـع العلم.. وهـو الـدين الوحيـد الـذي لم يقع فيما وقعت فيه سـائر الـديانات وخصوصـا المسـيحية من الصراع مع العلم(2).

1) الطبراني في معجمه الكبير 18/237.

2) تحدثنا بتفصيل عن هذا في (ثمار من شجرة النبوة)، و(معجزات علمية)

فلم يحدث في الإسلام ما حدث ل (ويكلف) الذي نبش قبره وأحرقت جثته.. ولا لـ (جون هيس) عميد جامعة براج الذي أحرق حيا.. ولا لـ (لوثر كنج) الذي عانى الكثير منهم.. ولا لـ (كلفن).. ولا لـ (نيكولاي كوبرنيكوس) الفلكي البولندي - رائد الانقلاب الذي حدث في علم الفلك، وحلت فيه الشمس في مركز النظام الشمسي - الذي أحرقته الكنيسة.

لم يحدث في الإسلام أن أحضر رجل بعظمة (جاليليو جاليلي) الفلكي المشهور إلى قاعة للتحقيق للإجابة على أسئلة المحقق للرد على الاتهامات التي وجهت إليه حول قوله بدوران الأرض ــ وهو قول مخالف لاعتقاد الكنيسة التي كانت تعتبر الأرض ثابتة وهي مركز الكون ــ حيث حوكم أمام عشرة من الكرادلة، وهي المحاكمة التي دفعته إلى التراجع عن رأيه، فكتب بخط يده: (أنا جاليلو جاليلي قد اعترفت بأخطائي علانية كما في أعلاه ودونتها بيدي)

لم يحدث في الإسلام أن اعتبر علم الكون هرطقة.. ولا محاولة فهم كتابكم المقدس لرجل غير رجال الدين هرطقة، كما حصل لنا.

بعد أن ذكر لي - متأسفا - هذا وغيره.. طلب مني أن أسير به لعالم من علماء الدين، ليسأله عن الإسلام، وليزداد معرفة به، ووعدني بأنه سيعتنق الإسلام إن زالت بعض الشبهات التي لا تزال تلاحقه.

عندما قال لي هذا، لم أجد إلا أن أسير به إلى عالم من علمائنا المعتقلين معنا في سجوننا المظلمة التي لم نكن نرى فيها سماء ولا نجوما.. كان يدعي المعرفة بكل

شيء.. وكان أجهل الناس بكل شـيء.. كـان اسـمه الـذي يحرص أن ينادى به دائمـا رغم طولـه هـو (يحـيى بن علي بن أحمد بن علي بن يعقوب الحجـوري)[1]، وقـد كـان من أعمـدة الوهابيـة في اليمن، وقـد خلـف الوهـابي الكبـير (مقبل بن هادي الوادعي) في التدريس في دار الحديث.

عندما دخلنا عليه مجلسـه المكتـظ بـالمعتقلين، بادرنـا مرحبـا بي، ومغضـيا في نفس الـوقت عن صـديقي الـذي حضر معي، حتى أنه لم يمد يده إليه مصافحا، وقد فطنت إلى ذلـك، فقـد كـان صـاحبي حليقـا.. والشـيخ (يحي بن علي) كان يرى حرمة مصافحة حليقي اللحيـة قياسـا على حرمة مصافحة المرأة.

لم أهتم بـذلك، بـل رحت أقـدم صـاحبي، قـائلا: هـذا صديق يبحث عن الحقيقة.. ليعتنقها.

قال يحي: فقد ولج الأمر من بابه.. فليس للحقيقة باب إلا بابنا.. وليس للسماء معراج إلا معراجنا.

قلت: ولذلك أتيت به إليك عساه ينتفـع بكلامـك.. فقـد ذكر أن لديه شبهات يريد طرحها عليك لتجيبه عنها.

قال يحي: أجبني أولا.. ما وظيفته.. فلا يمكن أن يعـالج المرض قبل أن يعرف المريض.

قلت: هو يعمل في (ناسا).

قال يحي: وما ناسا؟

---

1) انظر ترجمته لنفسه على هذا الموقع: (http://www.sh-yahia.net/show_news_10.html)، وننبه هنا إلى أن القصة التي نوردها هنا ليست حقيقية، وإنما هي رمز لما يفعله هؤلاء لأتباعهم.. بدليل أن الأفكار التي يطرحونها لا ندعيها عليهم، بل نقتبسها من كتبهم، وقد اقتبسنا النصوص الواردة هنا من كتاب (الصبح الشارق على ضلالات عبد المجيد الزنداني في كتابه توحيد الخالق) للشيخ يحي بطل هذه القصة.

قلت: هي وكالة الفضاء الأمريكية..

قال يحي: وكالة الفضاء!!.. وما وكالة الفضاء؟

قلت: هي المركز الذي يبحث فيه الفلكيون عن الكـون وأجرامـــه وظـــواهره.. وهي تقـــوم في الأســـاس على: (الأرصـاد الفلكيـة) و (الملاحظـات الـتي يلاحظهـا العلمـاء الفلكيون) إما بالعين المجردة، أو بمعاونة الأجهزة العلمية المعروفة.

قـــال يحي: الفلكيـــون!!.. إنهم كـــذابون مخـــادعون سحرة.. لقد قال فيهم شيخنا شيخ الإسلام الناطق باســم الإسلام كلاما عظيما.. الآن عرفت مرضـه.. فلا حاجـة لأن يذكره لي.. وعـرفت شـبهته فلا حاجـة أن يسـردها علي.. بل أنا الذي سأتولى سردها عليه، وسأتولى فوق ذلك بمــا آتاني الله من علم أن أجيبه عنها.

احتار صاحبي في هذه القدرات العجيبـة للشـيخ يحي.. ولم يجد المسكين أي فرصة للحـديث.. فقـد أخـذ الشـيخ يحي بأزمة الكلام جميعا سؤاله وجوابه.

جلسنا بعد أن طلب منا الشيخ يحي الجلوس.. ثم أخــذ المكبر، وراح يخاطب الجمع قائلا: اسـمعوا.. سـنرد اليـوم بمعـاول الهـدم على شـبهات خطـيرة تنتشـر في واقعنـا انتشـار النـار في الهشـيم.. سـأرد عليهـا جميعـا كالصـبح الشارق الماحق لكل ظلام.. فاكتبوا جميع ما أمليـه عليكم من حديثي مع هذا الرجل المارق..

قال بعض الحاضرين: فبماذا نعنون درسنا هـذا.. نرجـو أن يكون عنوانا جميلا كسابقيه.

قال يحي: العنوان بسيط وجميل كسائر العناوين الــتي

أمليهـا عليكم.. اكتبـوا (الصـبح الشـارق في الـرد على الفلكي المارق)

ابتلـع صـاحبي المسـكين غصـته بعـد أن تحـول من مستفت إلى مارق.. لكنه كان صبورا حليما، فلم يتصـرف أي تصرف قد يجر عليه الويلات.

بعـد أن اعتـدل الشـيخ يحي في جلسـته، نظـر إلى الجمـع، ثم قـال: أول شـبهة ننسـفها هي شـبهة (**صعود الإنسان إلى القمر**)

ضحك الحاضـرون جميعـا، وقـالوا: الإنسـان صـعد إلى القمـر!!.. في أي قصـة هـذا.. أو في أي أسـاطير.. وبـأي أجنحة؟

قال يحي: اسمعوا.. (إن الكفار يدعون كذبا وزورا أنهم صـعدوا إلى القمـر، وهـذه كذبـة عظيمـة بلغت الآفـاق يستحق صاحبها أن يشرشر شدقه على قفاه ومنخره إلى قفاه وعينه إلى قفاه، ولا يزال يفعل به ذلك)[1]

التفت إلى صـاحبي، فوجدتـه قـد اصـفر وجهـه، وامتلأ رعبـا.. واصـل الشـيخ يحي يقـول: (وهـذه الكذبـة صـنعها أعداء الإسلام لاحتقار من سواهم من المسـلمين حيث لم يستطيعوا صعود القمر، ولغير ذلك من المقاصـد الخبيثـة، ونشرها الببغاوات.. وقد أنكرها ذلك السيف الصـارم على البـدع والمحـدثات الشـيخ حمـود التـويجري في كتابـه (الصـواعق الشـديدة على أهـل الهيئـة الجديـدة)، ومثلـه علامة اليمن شيخنا مقبـل الـوادعي حفظـه اللـه برعايتـه، وجعله تحت بالغ لطفه وعنايته)

1) الكلام المنقول بين قوسين من كتاب (الصبح الشارق على ضلالات عبد المجيد الزنداني في كتابه توحيد الخالق) للشيخ المذكور، يمكن تصفحه وتحميله من خلال هذا الرابط: (http://www.sh-yahia.net/show_books_12.html)

(وقد ظهرت هذه الكذبة منذ أكثر من أربعين سنة وإلى الآن فلم تتكرر ولم يأتوا لها بثانية، وحيث ظهر كذبُهم سكتوا إلا من لا يستحيي من هؤلاء.. ثم لماذا عِلْمهم هذا لم يتطور حتى يكون صعود القمر كصعود الطائرة الآن)

كبر الحضور معجبين بتلك الأدلة التي أوردها.. فانتفخ صاحبنا على كرسيه، ثم نظر إلي، وإلى من حوله، دون أن ينظر إلى صاحبي تورعا، ثم قال: أما الشبهة الثانية التي يريد هذا الرجل الحليق أن يطرحها علينا، والتي سننسفها بصبحنا الشارق، فهي قول الفلكيين السحرة الكذبة بوجوب أن يعتقد بأن (**المجرة هي مجموعة كبيرة من النجوم)**، وأن (**الشمس أكبر من الأرض بمرات كثيرة.. وأن هناك من النجوم ما هو أصغر من الشمس ومنها ما هو أعظم من حجم شمسنا**)

وهذا كلام باطل من وجهين: أولهما أن هؤلاء الكذبة يريدون أن يوجبوا على الناس ما لم يوجبه الله ولا رسوله ومن المعلوم عند الفقهاء والأصوليين أن الواجب يثاب فاعله ويستحق العقاب تاركه، وعليه فإن من لم يعلم الواجب فهو آثم فبالله عليكم أي دليل من كتاب الله وسنة رسوله اعتمد هؤلاء على إيجاب أن يعلم الناس أن الشمس أكبر من الأرض، وأن بعض النجوم أكبر من الشمس حتى يصير من لم يعلم ذلك آثمًا؟ أليس هذا من التشدد في الباطل وفيما العلم به لا ينقذ من نار ولا يدخل جنة، والجهل به لا يضر في دنيا ولا أخرى؟

أما الوجه الثاني، وهو الطامة الكبرى، فهو قول الفلكيين السحرة الكذبة (**إن من النجوم ما هو أكبر**

من الشمس)، وأنا أشهد بالله أن هذا كذب لا دليل عليه من كتاب ولا سنة.. لقد أمدنا الله عز وجل بأبصار ناظره، وبصائر مدركة مميزة واعية نفرق بِها بين الصغير والكبـير من المشاهدات.. وهذا يعتبر علمًا اضطراريًا عند كل بشر من المبصـرين.. فمن الـذي صـعد إلى الشـمس الملتهبـة والنجوم الغابرة في الأفق ووزنَهـا بِهـذا المـيزان الـدقيق، ورجح له في الميزان أن بعض النجوم أكبر من الشمس؟

ثم إن هؤلاء الجهلة غفلوا عما قاله أبو الخطـاب قتـادة بن دعامة، فقد قال قولا فصلا في هذا الباب.. قال: (خلق اللــه النجــوم لثلاث علامــات يهتــدى بِهــا وزينــة للســماء ورجومًا للشياطين فمن تـأول فيهـا غـير ذلـك فقـد أخطـأ وأضاع نصيبه وتكلف مالا علم له به)

وغفلوا قبل ذلك عن القرآن.. كلام الله.. فقد رتب الله عز وجل المخلوقات على عظمها في كتابه فقـال تعـالى: (أَلَمْ تَـرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْـجُدُ لَـهُ مَنْ فِي السَّـمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّـمْسُ وَالْقَمَـرُ وَالنُّجُـومُ وَالْجِبَـالُ وَالشَّـجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِـيرٌ مِنَ النَّاسِ وَكَثِـيرٌ حَـقَّ عَلَيْـهِ الْعَـذَابُ وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَـهُ مِنْ مُكْـرِمٍ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَـلُ مَـا يَشَـاءُ (18) (الحج)، ولا يليق ببلاغة القرآن أن يأتي بالمفضول قبل مـا هو أعظم منه.

كـبر الحاضـرون، فـازداد انتفـاخ الرجـل، ثم نظـر إلي، وإلى من حوله، دون أن ينظـر إلى صـاحبي، ثم قـال: أمـا **الشبهة الثالثة** التي يريد هذا الرجل الحليق أن يطرحها علينـا، والـتي سننسـفها بصـبحنا الشـارق، فهي قـول الفلكيين السـحرة الكذبـة بوجـوب أن يعتقـد بأنـه (**يمكن تحديد المسافة بيننا وبين الشـمس**)، بـل إنهم زادو طين كذبهم بلة، فزعموا أن المسافة بيننـا وبين الشـمس

هي (93) مليون ميل يقطعها الضوء في ثمان دقائق..

وهــذه المســألة كســابقتها مبنيــة على التهوكــات والتهــويلات.. وإلا فــإنكم تلاحظــون مــا إن يخــرج قــرص الشمس من المشرق إلا وتمتلئ الـدنيا بالضـوء دون أقـل من دقيقة واحدة، ولـو أن الشـمس كـانت تحت السـحاب ثم تجلى عنها لـرأيت أن الـدنيا سـرعان مـا تضـيء بـدون تحديد أقصـر زمن، وكـذلك القمـر فمن التخـرص الـذي لا يصـدقه ذو عقــل وبصــر وفطــرة سـليمة أن يقــال (إن الشمس حين تطلـع جليـة من المشـرق أو في السـماء لا يصل الضوء إلى الأرض إلا بعد ثمان دقائق وتبقى السماء صــافية والشــمس مضــيئة مــدة ســبع دقــائق والنــاس يشـاهدون ذلـك بين ظلمـة الأرض وفي الدقيقـة الثامنـة يصل إليهم الضوء فتشرق الأرض)

فانظروا إخـواني أعـزكم اللـه إلى هـذا الكلام السـامج الـذي يقولـه الملاحـدة يحـاولون بـه إدخـال الشـكوك في قلوب جهال المسلمين وإضاعة أعمارهم في دراسة مثـل هـذا الهـذيان الفـارغ، بـل الطعن في عقائـد المسـلمين وعلومهم والحط من قدر علماء الشـريعة الإسـلامية حيث لم يعلمــوا المســافة بين الشــمس والأرض، ومن حســن حظهم أن تحصـــلوا على مجموعـــة خاويـــة من الحمقى والمغفلين يثبتون لهم هذه الأطروحـات على أنَّهـا حقـائق ويتعـاونون معهم على الإثم والعـدوان باسـم الـدين.. فإنـا لله وإنا إليه راجعون.

وإن أرادوا أن الشـمس لا تطلـع والأرض مظلمـة لكن عرفوا ذلك فيما يزعمون بسرعة الضوء ونحوه قلنا: كيف عرفوا ذلك وأنى لهم أن يعرفوا المسـافة بسـرعة الضـوء في الأرض وأي ضـوء وصـل إلى الشـمس وأضـاء عليهـا

على ذلـك البعـد الهائـل من الأرض، فـأفٍ لمن رضـي بالكذب وأفٍ للكذابين.

عنـدما قـال هـذا كـبر الحاضـرون من فـرط إعجـابهم، فازداد انتفاخ الرجـل، ثم نظـر إلي، وإلى من حولـه، دون أن ينظر إلى صـاحبي، ثم قـال: أمـا الشـبهة الرابعـة فهـو زعمهم أن **الكـون في تمـدد مسـتمر**.. وهـذا جهـل عظيم..

قـال بعض الحاضـرين: ولكن اللـه تعـالى يقـول في القـرآن: (وَالسَّـمَاءَ بَنَيْنَاهَـا بِأَيْـدٍ وَإِنَّا لَمُوسِـعُونَ (47) (الذاريات)

نظر إليه الشيخ يحي بشزر، ثم قـال: هـذا من التلاعب بـالقرآن وليِّ أعنـاق النصـوص لتـبرير أفكـار اليهـود ونظرياتِهم.

ويـدل على هـذا أن جميـع المفسـرين الموجـودة تفاسيرهم في مكتبة شيخنا العامرة يفسرون قوله تعالى: (وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ)، أي قد أوسـعناها، أو بنحـو هـذا التفسـير الدال على أن الله عز وجل قد خلـق السـموات وفرضـها وأوسعها وفرغ منهـا حـتى جـاء هـؤلاء المـارقين يـذكرون يفسرها بتفسير محدث يقتضي أن الله عـز وجـل لا يـزال يزيـد في السـماء قليلاً قليلاً كحـال من يعجـز عن إيجـاد الشيء دفعة واحدة تعالى الله عن ذلك.

كـبر الحاضـرون، فـازداد انتفـاخ الرجـل، ثم نظـر إلي، وإلى من حوله، دون أن ينظـر إلى صـاحبي، ثم قـال: أمـا الشبهة الرابعة التي يريد هذا الرجـل الحليـق أن يطرحهـا علينـا، والـتي سننسـفها بصـبحنا الشـارق، فهي قـول الفلكيين السحرة الكذبـة بـأن (**الليل يحيـط بـالأرض**

من كل مكان، وأن الجزء الذي تتكـون فيـه حالـة النهـار هـو الهـواء الـذي يحيـط بـالأرض ويمثـل قشـــرة رقيقـــة تشـــبه الجلـــد وإذا دارت الأرض سلخت حالة النهار الرقيقة)

وللجواب على هذه الشبهة نقول: كيف استطاع هــؤلاء أن يعرفوا سمك النهـار، وأنـه قشـرة رقيقـة تشـبه الجلـد فـإن المعلـوم يقينـا أن الليـل والنهـار ليسـت لـه سـماكة محسوسـة بحاسـة اللمس.. ثم إن المفسـرين من سـلفنا الصالح لم يفهموا هذا الفهم الذي فهمه اليهـود والنصـارى ونشره عنهم تلاميذهم.

كـبر الحاضـرون، فـازداد انتفـاخ الرجـل، ثم نظـر إلي، وإلى من حوله، دون أن ينظـر إلى صـاحبي، ثم قـال: أمـا **الشبهة الخامسة** الـتي يريـد هـذا الحليـق أن يطرحهـا علينـا، والـتي سننسـفها بصـبحنا الشـارق، فهي زعمـه أن (**السحاب ماء يطـير في الهـواء فـإذا كـان كثـيرًا تكونت منه السيول العظيمة**)

قال بعض الحاضرين: ألا يمكن أن يسـتدل لهـذا بقولـه تعالى: (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَـابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعاً مُخْتَلِفاً أَلْوَانُـهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَـرَاهُ مُصْــفَرّاً ثُمَّ يَجْعَلُــهُ حُطَامــاً إِنَّ فِي ذَلِــكَ لَــذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ) (الزمر:21)

نظر الشـيخ يحي بشـزر إلى السـائل، ثم قـال: لا أزال أرى في عقلك لوثة لا يزيلها إلا فصل رأسك..

ثم التفت إلى الحضور، وقال: ليس في الآية دليل على هذا الباطل.. فالآيـة تـدل على أن اللـه ينْـزل من السـماء ماءً، ثم إن هـذا المـاء ينتفـع بـه أهـل الأرض فيكـون فيهـا

ينابيع وتحصل منه الثمار ونحو ذلك ولا يعود إلى السماء، بل يبقى في الأرض كما هو ظاهر الآية.

ثم التفت إلى السائل، وقال: لم يذهب أحد من مفسري السلف الصالح إلى ما ذكرت، فهنيئًا لك تقليد المستشرقين الملاحدة الذين يطالبون بتجديد الدين فيما يزعمون فيريدون توحيدًا جديدًا وتفسيرًا جديدًا وفقهًا جديدًا كل ذلك على غير نَهج الأنبياء والمرسلين والسلف الصالح رضوان الله عليهم.. وتالله إن هذا لم يقله كبار المنافقين في القرون المفضلة. فينبغي لكل مسلم عنده محبة لدين الإسلام أن يحذر هذا الخطر الداهم ويحذِّر غيره منه.

كبر الحاضرون، فازداد انتفاخ الرجل، ثم قال: أما **الشبهة السادسة** التي يريد هذا الحليق أن يطرحها علينا، والتي سننسفها بصبحنا الشارق، فهي زعمه أنه (**يمكن حساب الأشعة الشمسية التي ننتفع بِها في أرضنا**)

وهذا مروق من القول.. فمن قدر ذلك فهو من الكاذبين لأن الله يقول: (وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ (34)(إبراهيم).. ومن الذي استطاع أن يزن ضوء الشمس المتفرق في جميع أرض الله الواسعة فيحصره بِهذا العدد المحدود! وصدق رسول الله ﷺ حين قال: (إِذَا لَم تَستَحِ فَاصنَع مَا شِئتَ)[1]

كبر الحاضرون، فازداد انتفاخ الرجل، ثم قال: أما **الشبهة السابعة** التي يريد هذا الحليق أن يطرحها علينا، فهي زعمه أن (**الأرض واحدة من الكواكب**

1) رواه البخاري.

السيارة حول الشمس)، بل جاوز حده فاعتبر الأرض كوكبا، فقال – لا هداه الله- (الكوكب الأرضي)

انظروا ما يقول أصحاب العقول السخيفة.. ولكن حراس الحدود من أصحابنا وقفوا في وجه هؤلاء المدعين منذ زمان طويل:

فقد رد على هذا الادعاء أبلغ رد شيخنا الكبير محمد بن يوسف الكافي، فقد قال رادًا على بعض أشياع محمد عبده المصري: (قوله: (هي كوكب) كذب وافتراء على الله تعالى من سماها كوكبًا لأن الله تعالى الذي خلقها سماها أرضًا، والكوكب هو النجم ومحله العلو ومن صفاته الإضاءة والإشراق والأفول والطلوع والأرض بخلاف ذلك) (1)

ونقل عنه هذا الرد البليغ الشيخ الكبير (حمود التويجري) في كتابه (الصواعق الشديدة على أتباع الهيئة الجديدة)

بل رد على هؤلاء جميعا ابن كثير، فقد ذكر في تفسيره(2) عدم الخلاف في أن الأرض خلقت قبل السماء بما في السماء من نجوم وغيرها، وذكر عند قول الله تعالى: هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُم مَا في الأَرضِ جَمِيعًا ثُمَّ استَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبعَ سَمَوَاتٍ، وغيرها، ثم قال: ففي هذه دلالة على أنه تعالى ابتدأ بخلق الأرض أولاً ثم خلق السموات سبعًا وهذا شأن البناء يبدأ بعمارة أسافله ثم عاليه.

كبر الحاضرون، فازداد انتفاخ الرجل، ثم قال: أما

---

1) انظر: (الصواعق الشديدة على أتباع الهيئة الجديدة) ص (117)

2) تفسير ابن كثير (ج1 ص69)

الشبهة الثامنة التي يريد هذا الحليق أن يطرحها علينا، فهي زعمه أن (المجموعة الشمسية هي الشمس وما يدور حولها من كواكب كعطارد والزهراء والأرض والمريخ وغيرها، وأن كلا منها يدور في فلك محدود وطريق مرسوم)

وهذا كذب وافتراء، فأين الدليل على تسمية الأرض والنجوم شمسًا، ثم إن هذا تناقض مفضوح كيف يقول هذا الرجل وشاكلته أن الأرض كوكب واحد من الكواكب، ثم يقول إن الأرض هي واحد من مجموعة الشمس، فهذا القول فيه أن الكون كله متحد بعضه ببعض فالنجوم عندهم يقال لها أرض، والأرض من النجوم، والشمس يقال لها أرض، والأرض من الشمس، والنجوم من الشمس، والشمس من النجوم.. وهلم جرًا، فما أقرب هذا القول من قول ابن عربي الحلولي الكافر الذي يقول إن الله حال ومتحد في مخلوقاته، فيقول في شعره:

أنا الله والله أنا ... وإذا أبصرته أبصرتنا

فإذا أبصرتني أبصرته كلانا روحان حللنا بدنا

كبر الحاضرون، فازداد انتفاخ الرجل، ثم قال: أما **الشبهة التاسعة** التي يريد هذا الحليق أن يطرحها علينا، فهي زعمه أن (المجرة هي مجموعة كبيرة جدًا من النجوم.. وأن علماء الفلك يعتقدون أن في مجرتنا حوالي مائة مليون نجم في مدينتنا النجمية)

وقد رد الله على هذه السخافات، فقال: (قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ (10) الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ (11) (الذاريات).. فكل ما يقوله هؤلاء مبني على الهوس والوساوس الإبليسية والتقليد والثقة بأعداء رب البرية من

ذوي الملل والنحل اليهودية والنصرانية ليزاحموا بِهذه التخرصات علوم الكتاب والسنة النبوية فيشغلوا بذلك السذج من أبناء المسلمين والذين لا يهمهم أمر هذا الدين فيبقون على هذه التراهات عاكفين وبِها معجبين ومفتخرين، فيقتلون فيها الأوقات ويضلون بِها العامة وأشباههم من ذوي الجهالات فيغضبون بذلك رب الأرض والسموات.. فتبًا لمن أعرض عن ذكر الله وسنة رسوله وأقبل على دعم كيد الماكرين من أهل الشرق والغرب واليونان.

***

عندما بلغ الحديث بالشيخ يحي إلى هذا الموضع أذن المؤذن.. فقطع حديثه.. ثم قمنا إلى الصلاة.. وبعد الخروج من المسجد اجتهدت في البحث عن صاحبي المسيحي العربي.. لكني لم أجده.. ومنذ ذلك الحين لم أجده..

لقد فر المسكين بجسده خشية أن يحصل له ما حصل لـ (ويكلف) أو (جون هيس) أو (لوثر كنج) أو (نيكولاي كوبرنيكوس) أو (جاليليو جاليلي) ممن أخبرني عن أحاديثهم متأسفا.

في اليوم الخـامس، كنت جالسـا في بيـتي أصـغي إلى بعض البرامج، وفجأة رأيت صـاحبي الوهـابي يـدخل علي، ثم يجلس بجـانبي من دون اسـتئذان، ثم يقـول بحماسـة: لقد قررت أن أفعل اليوم كل ما تفعله.. فقد اقتنعت بأني لن أخرج من جلابيب أولئك المجرمين إلا بعد أن ألبس مـا تلبسه من ملابس الأبرياء.

قلت: مرحبا بك.. ولو أني لست أهلا لـذلك.. فأنـا عبـد ضعيف حقير ممتلئ بالتقصير.

قال: أعلم ذلك.. ولكن التقصير الذي تقع فيـه لا يصـل إلى حد الجريمة.. فذنوبك على الأقل بينك وبين ربك، وما أسرع مثلها للغفران.

ما قال هذا حتى انقطع البرنامج الذي كنت أصغي إليـه باهتمام، ثم جاءت الأخبار العاجلة تعلن أن الأيـادي الآثمـة امتدت إلى كنيسة القديسين في الإسكندرية، كما امتــدت قبلهـا إلى رهـائن في كنيسـة سـيدة النجـاة بحي الكـرادة العــراقي أثنـــاء تجمـــع نحـــو 100 شـــخص في قـــداس مسائي(1).

ثم جاءت التصريحات والتحاليل تؤكد أن الواقفين وراء الحادث لهم علاقة بالفكر الوهـابي المتطـرف.. فقـد جـاء في التصـريحات(2) أن تنظيم القاعـدة أصـدر من خلال مـا

---

1) وقد أسفرت عملية كنيسة سيدة النجاة عن مصرع 52 شخصاً على الأقل، من بينهم 25 رهينة وسبعة من رجال الأمن العراقيين وخمسة من الانتحاريين.

2) وردت هذه التصريحات في موقع يحمل اسم (شبكة شموخ الإسلام)، ففيه هذه النداءات: (قم ودع عنك الرقاد مهم بخصوص تفجير الكنائس أثناء الاحتفال بعيد الكريسماس)

يسمى (دولة العراق الإسلامية) أمراً باسـتهداف عـدد من الكنائس القبطية في مصر وأوروبا خلال رأس السنة.

عندما سمعت هذا شعرت بألم كبير يعتصرني، فصحت من حيث لا أشـعر: ويـل للآثمين.. مـا بـالهم يمتـدون إلى الذين عهـد إلينـا بحمـايتهم.. ألم تكفهم تلـك الـدماء الـتي أسـالوها من أجسـادنا حـتى راحـوا إلى أجسـاد إخواننـا وجيراننا يسيلونها ليؤلبونا عليهم، أو يؤلبوهم علينا؟

ألم يقرؤوا قوله تعالى: وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَـلَوَاتٌ وَمَسَـاجِدُ يُـذْكَرُ فِيهَـا اسْـمُ اللَّهِ كَثِـيراً وَلَيَنْصُـرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُـرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَـوِيٌّ عَزِيزٌ (الحج: من الآية40)؟

ألم يسمعوا قوله ﷺ: (لا يزال العبد في فسحة من دينه

وقد تضمن البيان تحريضا صريحا على الإرهاب واستهداف الأقباط في مصر، حيث جاء به التالي (أتوجه بندائي هذا إلى نفسي وإلى كل مسلم غيور على عرض أخواته بتفجير دور الكنائس أثناء الاحتفال بعيد الكريسماس، أي في الوقت الذي تكون فيه الكنائس مكتظة)

وحوى البيان بالتفصيل أسماء وعناوين بعض الكنائس في مصر. بالإضافة إلى بعض الكنائس القبطية في أوروبا، ومن ضمن هذه الكنائس كنيسة القديسين في الإسكندرية التي استهدفها التفجير الأخير.

ويتضمن البيان تفاصيل تصنيع عبوة ناسفة قائلاً: (الآن نذهب إلى الإعداد وحتى يكون الهجوم مباغتاً وفتاكاً يحصيهم ويأخذهم اخترنا العبوة اليدوية الناسفة من إنتاج دولة العراق الإسلامية)

ويعرض الموقع صوراً لعبوات يدوية مختلفة، منها ما هو على شكل قنينة ومنها على شكل علب (بيبسي كولا) يتم إدخال المواد المتفجرة داخلها.

ويتضمن الموقع إشارات بتنفيذ عملية الاسكندرية منها رسالة مضى عليها يوم واحد فقط كتبها الكاتب نفسه (أيمن) يقول فيها: (اللهم لك الحمد والمنة سيأتيكم ما يسوؤكم بإذن الله)

وتحته رسالة كتبها شخص يلقب نفسه بـ(أبو القعقاع مجاهد) وفيها أسماء أربع كنائس في مدينة الإسكندرية بينها بخط عريض وبارز اسم كنيسة القديسين، بما يوحي أن هذه الكنائس كانت مستهدفة في ذلك التوقيت وأن التنفيذ تم فقط في تلك الكنيسة.

ما لم يصب دما حراما)(1)، وقوله: (يأتي القاتل متعلقا رأسه بأحدى يديه متلببا قاتله بيده الاخرى تشخب أوداجه دما حتى يأتي به تحت العرش فيقول المقتول لله: رب هذا قتلني! فيقول الله للقاتل: تعست! ويذهب به إلى النار)(2)؟

ما بال هؤلاء، وقد تحولت أرواح بني آدم عندهم كأرواح الثيران والدجاج لا يبالون بها، ولا يهتمون لها؟

ويلهم ليتهم – إن حن بهم الطبع إلى سفك الدماء المحرمة - سفكوا من دمائنا ما تعودوا أن يسفكوا، ولم يمدوا أيديهم الآثمة إلى هؤلاء.. إنهم بهذه الدماء يشوهون تلك التعاليم الجميلة التي جاء الإسلام للدعوة إليها وتربية الناس عليها..

ويلهم.. إنهم يزعمون أنهم يقرؤون القرآن.. ألم يقرؤوا فيه قوله تعالى: ﴿ لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (8)﴾ (الممتحنة)؟

ويلهم.. ألم يقرأوا وصية رسول الله ﷺ بأهل مصر، فقد ورد في الحديث عن أبى ذر قال قال رسول الله ﷺ: (إنكم ستفتحون مصر وهى أرض يسمى فيها القيراط فإذا فتحتموها فأحسنوا إلى أهلها فإن لهم ذمة ورحما)(3)

ألم يقرؤوا ما كتبه الفقيه الأصولي المحقق شهاب الدين القرافي وهو يشرح معنى البر المذكور في القرآن،

1) رواه البخاري.

2) رواه الطبراني في الكبير.

3) صحيح مسلم (7/ 190).

فذكر منه: (الرفق بضعيفهم، وسد خلة فقـيرهم، وإطعـام جـائعهم، وكسـاء عـاريهم، ولين القـول لهم ــ على سـبيل اللطــف لهم والرحمــة لا على ســبيل الخــوف والذلــة ـ واحتمـال إذايتهم في الجـوار ــ مـع القـدرة على إزالتـه ـ لطفًا منـا بهم، لا خوفًـا ولا طمعًـا، والـدعاء لهم بالهدايـة، وأن يجعلــوا من أهــل الســعادة، ونصــيحتهم في جميــع أمــورهم، في دينهم ودنيــاهم، وحفـظ غيبتهم، إذا تعـرض أحد لأذيتهم، وصون أمـوالهم وعيـالهم وأعراضـهم وجميـع حقـوقهم ومصـالحهم، وأن يعـانوا على دفـع الظلم عنهم، وإيصالهم إلى جميع حقوقهم..)[1]؟

لسـت أدري كيـف تغـير صـاحبي بعـد أن ذكـرت قـول القرافي، ثم صاح في منفعلا: اسكت يا رجـل.. فمن منهم يسـمع بـالقرافي.. بـل من منهم من يسـمع من رسـول الله.. بل من منهم من يسمع من الله نفسه؟

قلت: ويلهم.. فلمن يسمعوا إن لم يسمعوا من هؤلاء؟

قال: إن صنمهم الذي يسمعون إليه واحد..

قلت: من هو؟.. ألم يحرم الإسلام عبادة الأصنام؟

قــال: ابن تيميــة.. إنــه الصــنم الــذي يشــرع لهم.. فيخضعون له.. ويعبدونه من دون الله.

قلت: رويدك يا رجل.. ما دخل ابن تيمية المسكين في هذا.. ألم تعلم في أي عصر عـاش؟.. كـف عن هـذا، فـإن لحوم العلماء مسمومة؟

قال: دعني من حديثك.. فإني لا أذكر لـك إلا مـا رأيت، وما سمعت.. ولو أن اللـه لم يمن علي بالتوبـة لكنت الآن

---

1) الفروق: 3 /15.

من الساجدين شكرا له على ما حصل.

قلت: أكنت رجلا من القاعدة؟

قال: وهل القاعدة بجحافلها سوى تلاميـذ بسـطاء لابن تيميـة وابن عبـد الوهـاب؟.. أليس هـؤلاء هم المنظـرون، وهم الأساتذة، وهم السند الفكري الذي يتغذى منه أولئـك السفاحون؟

قلت: أنت تعلم أني لا أقبـل تهمـة من غـير دليـل يـدل عليها.. إني أخاف أن ينطبق علي قولـه تعـالى: ﴿ يَـا أَيُّهَـا الَّذِينَ آمَنُــوا كُونُــوا قَــوَّامِينَ لِلَّهِ شُــهَدَاءَ بِالْقِسْــطِ وَلَا يَجْـرِمَنَّكُمْ شَـنَآنُ قَـوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْـدِلُوا اعْـدِلُوا هُـوَ أَقْـرَبُ لِلتَّقْــوَى وَاتَّقُــوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِــيرٌ بِمَــا تَعْمَلُــونَ (8)﴾ (المائدة)، أو قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَـكَ بِـهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُـلُّ أُولَئِكَ كَـانَ عَنْـهُ مَسْـئُولًا (36)﴾ (الإسراء)

قـال: ومـا كـان لي بعـد أن من اللـه علي بالتوبـة أن أتقـول على خلقـه بغـير علم.. سـأقص عليـك قصـة من ماضي المؤلم لتعلم بأني لم أتهم أحدا.. فما أقوله هو مـا يقولونه في مجالسهم وكتبهم وفضائياتهم..

***

اعتدل صـاحبي في جلسـته، وسـرح بطرفـه، ثم قـال: كان لنا في تلـك الأيـام الغـبراء شـيخ نرجـع إليـه في كـل شيء من ديننا ودنيانا.. لست أدري هل سحرنا ببيانه، وبما نتوهمـه من علمـه وحجتـه؟.. أم سـحرنا بتلـك السـيوف التكفيرية والتضليلية التي يتوجه بها لمن يخالفه؟

لم نكن نعرف اسمه بالضبط، ولكنه من كثرة مـا كـان

يردد اسم (ابن تيمية) صرنا نطلق عليه (ابن تيمية)

في ذلك اليوم المشؤوم كان معنا شباب ممتلئ بالقوة والنشاط، وكان مستعدا من فـرط حماسـته لكـل شـيء.. لست أدري ربما كان من أولئك الشباب الذين كـانوا معنـا من نسف نفسه في هذه الكنيسـة.. ولسـت أدري كم من الشباب ممن لا يزال يعد نفسه لمثل تلك الفعلة.

في ذلك اليوم.. وبعد أن دخلنا عليه مجلسه رأيناه يضع أمامه خارطة تشمل بلادا كثيرة كالشـام والعـراق ومصـر وغيرهـا.. ويضـع على محـال كثـيرة من تلـك الخارطـة علامات حمراء..

بعـد أن جلسـنا بين يديـه، وبعـد أن قـدم المقـدمات الكثيرة التي شحن بها عواطفنا البريئـة، قـال: لقـد جئتكم اليوم برسالة من شيخنا شـيخ الإسـلام العظيم ابن تيميـة يمكن أن يطلق عليها (مسألة في الكنائس).. وهي رسالة تستحق منا الدراسة.. بل تستحق منـا أن نسـعى لتنفيـذنا بكل ما أوتينا من وسائل.. إنها رسالة معطلة..

لقد طبقنـا رسـائل ابن تيميـة في القبـور.. فهـدمناها.. وطبقنـا رسـائله في تكفـير الصـوفية والشـيعة والخـواص والعـوام، فشـننا حروبنـا عليهم.. ولكنـا للأسـف لازلنـا مقصرين مع هذه السورة من مصحف ابن تيمية.

أخرج لنا الرسالة، ثم قـال: انظـروا إنهـا مطبوعـة في بلاد التوحيد.. وهي بتحقيق الحجـة ناصـر السـنة (علي بن عبدالعزيز الشبل) اسمعوا إلى ما تحمله هذه الرسالة من العلم.. وما ينبغي علينا بعده من العمل.

تبـدأ الرسـالة كعـادة رسـائل ابن تيميـة بسـؤال يقـول

صاحبه: (ما تقول السادة العلماء أئمة الدين، وهداة المسلمين رضي الله عنهم أجمعين، وأعانهم على إظهار الحق المبين، وإخمال الكفار والمنافقين، في الكنائس التي بالقاهرة وغيرها التي أغلقت بأمر ولاة الأمور، إذا ادعى أهل الذمة: أنها غلِّقت ظلماً، وأنهم يستحقون فتحها، وطلبوا ذلك من ولي الأمر أيده الله تعالى ونصره.. فهل تقبل دعواهم؟ وهل تجب إجابتهم أم لا؟!)(1)

قرأ السؤال بطوله، ثم التفت إلينا، وقال: أتدرون بما أجاب شيخنا، بل شيخ الإسلام ابن تيمية..

لقد قال في قوته التي واجه بها التتر والصوفية والشيعة والأشاعرة والمعتزلة وغيرهم: (الحمد لله رب العالمين، أما دعواهم أن المسلمين ظلموهم في إغلاقها فهذا كذبٌ مخالفٌ لأهل العلم.. فإنهم.. أي علماؤنا.. وسلفنا الصالح.. متفقون على أن الإمام لو هدم كل كنيسةٍ بأرض العنوة كأرض مصر والسواد(2) بالعراق، وبر الشام ونحو ذلك، مجتهدًا في ذلك، ومتبعًا في ذلك لمن يرى ذلك، لم يكن ذلك ظلماً منه؛ بل تجب طاعته في ذلك.. وإن امتنعوا عن حكم المسلمين لهم، كانوا ناقضين العهد، وحلت بذلك دماؤهم وأموالهم)(3)

قال شاب منا ممتلئ حيوية ونشاطا: أيحل لنا بهذه الفتوى هدم جميع ما نراه من كنائس في بلادنا.. أنا من

---

1) تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني، مسألة في الكنائس، تحقيق: علي بن عبدالعزيز الشبل، مكتبة العبيكان – الرياض، الطبعة: الأولى 1416هـ، ص1.

2) المقصود بأرض السواد الأرياف وأماكن الزراعة , وصارت علماً على ما حول دجلة والفرات من أراضي الزراعة.

3) مسألة في الكنائس (ص: 102)

سـكان القـاهرة.. وفيهـا كنـائس كثـيرة.. أيجـيز لي شـيخ الإسلام أن أسعى لهدمها؟

قال الشيخ: أجل.. ولك أجر عظيم على ذلك.. انظر ما يقول ابن تيمية في خصوص كنائس القـاهرة تحت عنـوان (تكذيب دعوى وجود الكنائس بالقاهرة منـذ عهـد الخلفـاء الراشدين).. إنه يقول: (وأما قولهم إن هـذه الكنـائس من عهـد أمـير المؤمـنين عمـر بن الخطـاب وأن الخلفـاء الراشدين أقروهم عليها، فهذا أيضًـا من الكـذب. فـإن من المعلوم المتواتر أن القاهرة بنيت بعد عمر بثلاثمائة سنة، بنيت بعد بغداد، وبعد البصرة والكوفة وواسط.. وقد اتفق المسـلمون على أن مـا بنـاه المسـلمون من المـدائن لم يكن لأهل الذمـة أن يحـدثوا فيهـا كنيسـة، مثـل مـا فتحـه المسلمون صلحاً، وأبقـوا لهم كنائسـهم القديمـة، بعـد أن شرط عليهم فيـه عمـر بن الخطـاب أن لا يحـدثوا كنيسـة في أرض الصلح، فكيف في بلاد المسلمين؟!)(1)

قال الشاب: ولكن كيف بقيت كنائس القاهرة كل هذه المـدة لم تمتـد إليهـا يـد المسـلمين؟.. أليس في هـذا مـا ينقض قول ابن تيمية من اتفاق السلف والخلف؟

قـال الشـيخ: اسـمع.. لقـد أجـاب ابن تيميـة عن هـذه الشـبهة.. إنـه يقـول في هـذه الرسـالة العظيمـة: (فـإن القـاهرة بقي ولاة أمورهـا نحـو مـائتي سـنةٍ، على غـير شريعة الإسلام، فقد كانوا يظهـرون أنهم رافضـة.. واتفـق طوائف المسلمين: علماؤهم، وملـوكهم، على أنهم كـانوا خارجين عن شريعة الإسلام، وأن قتـالهم كـان جـائزاً، بـل نصّوا على أن نسبهم كان باطلاً.. وهؤلاء من أعظم الناس عداوة للمسلمين وملوكهم، ثم الرافضة بعدهم فالرافضـة

1) مسألة في الكنائس (ص: 102)

يوالون من يعادي أهلَ السنة والجماعة، يوالون التتار، ويوالون النصارى) (1)

التفت إلى الشاب، وقال: أرأيت السر في انتشار الكنائس وبقائها.. إنهم أولئك الكفار الذين تسلطوا على مصر فحكموها قرونا من الزمان.. إنهم الشيعة الرافضة أعداء الصحابة.. إنهم وحدهم الملاذ الأمين الذي يأمن في ظله النصارى.

قال الشاب: فما قال شيخ الإسلام في الكنائس القديمة في بر مصر؟

قال الشيخ: انظر.. إن شيخنا، بل شيخ الإسلام كان يقرأ ما في باطنك.. فقد أجابك من ذلك الزمن البعيد..

لقد صدق ابن القيم حين وصف فراسته، فقال:(ولقد شاهدت من فراسة شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله أمورا عجيبة وما لم أشاهده منها أعظم وأعظم ووقائع فراسته تستدعي سفرا ضخما أخبر أصحابه بدخول التتار الشام سنة تسع وتسعين وستمائة وأن جيوش المسلمين تكسر وأن دمشق لا يكون بها قتل عام ولا سبي عام وأن كلب الجيش وحدته في الأموال: وهذا قبل أن يهم التتار بالحركة ثم أخبر الناس والأمراء سنة اثنتين وسبعمائة لما تحرك التتار وقصدوا الشام: أن الدائرة والهزيمة عليهم وأن الظفر والنصر للمسلمين وأقسم على ذلك أكثر من سبعين يمينا فيقال له: قل إن شاء الله فيقول: إن شاء الله تحقيقا لا تعليقا

وسمعته يقول ذلك قال: فلما أكثروا علي قلت: لا تكثروا كتب الله تعالى في اللوح المحفوظ: أنهم

1) مسألة في الكنائس (ص: 104)

مهزومون في هذه الكرة وأن النصر لجيوش الإسلام)[1]

التفت بعضنا إلى بعض منبهرين، ثم لم نشعر إلا ونحن نكبر تعظيما لهذا الرجل الذي ما ترك كتابا إلا اطلع عليه حتى اللوح المحفوظ.

عندما رأى الشيخ منا هذا قال: اسمعوا ما أجاب به ابن تيمية هذا الشاب حول كنائس مصر القديمة: (وقد كان في بر مصر كنائس قديمة، لكن تلك الكنائس أقرهم المسلمون عليها حين فتحوا البلاد؛ لأن الفلاحين كلهم كانوا نصارى، ولم يكونوا مسلمين، وإنما كان المسلمون الجندَ خاصة، فأقرهم كما أقر النبي ﷺ اليهود على خيبر لما فتحها؛ لأن اليهود كانوا فلاحين، وكان المسلمون مشتغلين بالجهاد. ثم إنه بعد هذا في خلافة عمر لما كثر المسلمون واستغنوا عن اليهود، أجلاهم عن خيبر، حتى لم يبق في خيبر يهودي. وهكذا القرية التي يكون أهلها نصارى وليس عندهم مسلمون، ولا مسجدٌ للمسلمين، فإذا أقرهم المسلمون على كنائسهم التي فيها، جاز ذلك، كما فعله المسلمون) [2]

قال الشاب: فهل لنا أن نفعل ذلك؟

صاح الشيخ بشدة: لا.. لا ينبغي أن تبقى كنيسة في بلاد العرب.. إن كل أرض دخلها مسلم لا يجوز أن يبقى فيها غير الإسلام.

قال ذلك، ثم راح يقرأ لنا من الرسالة ما ملأنا قناعة بما يقول..

---

1) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (2/ 489)

2) مسألة في الكنائس (ص: 118)

فلما رأى ذلك منا، أرانا الخارطة، ثم قال: انظـروا.. ألا ترون هذه العلامات الحمراء؟

قلنا: أجل.. هل هي مدن أم مصانع؟

قال: لقد وضعت على هذه الخارطة كل الكنائس الـتي أفتى ابن تيمية بوجـوب هـدمها.. فـرحم اللـه من بلـغ ابن تيمية منيته.

قال رجل منـا: لكن الوضـع الآن يختلـف.. فنحن نعيش في عالم غير الذي عاش فيه ابن تيمية.

قال الشيخ: اسكت ويلـك.. لا يصـح أن تقـول هـذا في شيخ الإسلام.. إن مـا قالـه من فتـاوى يصـلح لكـل زمـان ومكان.

قال الرجل: ولكن ذلك قد يثير الناس علينا.

قال الشـيخ: إن من يعبـد اللـه.. ومن يسـير خلـف ابن تيمية لا يبالي بالناس.. ألم تسمع ابن تيمية وهو يردد: (ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، إن رحت فهي معي لا تفـارقني، إن حبسـي خلـوة، وقتلي شـهادة، وإخراجي من بلدي سياحة)؟

ألم تعلم أن ابن تيمية قد أجمع الكل على سـجنه، فلم يبال بهم..

وقد نصره الله أخيرا على يـدي أهـل التوحيـد.. فـرحم اللـه من أكمـل مسـير ابن عبـد الوهـاب الـذي أحيـا سـنة الهدم والتدمير.

قال الرجل: ولكن ابن عبد الوهاب لم يهدم الكنائس.

قال الشيخ: لأنه لم تكن بين يديه كنائس.. ولو كانت بين يديه كنائس لهدمها.. فليست الكنائس أعظم حرمة من تلك المباني التي هدمها.

قال الرجل: فما تنصحنا؟

قال الشيخ: احملوا هذه الخارطة، وبشروا بها.. فكل من مات في هذه السبيل سار إلى الجنة دون أن يعترضه أحد.

***

التفت صاحبي إلي، ثم قال: أتراني تجنيت عليهم حين اتهمتهم بما اتهمهم به؟.. اذهب إلى أي مكتبة في الإسكندرية أو في القاهرة.. وستجد هذه الرسالة.. وتجد معها من يقنعك بأن كل ما يقوله ابن تيمة منزل من اللوح المحفوظ..

قلت: أنت تدعو بهذا إلى منع كتب هذا الرجل الذي يتتلمذ عليه الملايين؟

قال: لا أدعو إلى منع كتبه فقط.. بل أدعو إلى منع كتب كل متأثر به أو متتلمذ عليه أو مصاب بعدواه.

قلت: إنك بذلك ستمنع كتب ذلك الرجل الصالح (ابن القيم) الذي تتلمذ على ابن تيمية وكتب كتابه في (مدارج السالكين)

قال: وكتب معه كتابه (أحكام أهل الذمة) الذي حشاه بشتى أنواع القذائف المسلطة على إخواننا المسيحيين، وأولها ذلك الكم من الروايات التي ينسبها زورا وبهتانا إلى رسول الله ﷺ، ومنها: (لا خصاء في الإسلام ولا

كنيسة)

ومنها ما نسبه لابن عباس من قوله: (أيما مصر مصرته العرب فليس للعجم أن يبنوا فيه ولا يضربوا فيه ناقوسا ولا يشربوا فيه خمرا ولا يتخذوا فيه خنزير، وأيما مصر مصرته العجم ففتحه الله على العرب فنزلوا فيه فإن للعجم ما في عهدهم وعلى العرب أن يوفوا بعهدهم ولا يكلفوهم فوق طاقتهم)

قلت: فهل ترى أن نمنع هذا الكتاب أيضا؟

قال: ألا تمنعون الكتب التي تحث على الإجرام والرذيلة؟

قلت: أجل..

قال: فهذه الكتب أخطر من تلك الكتب.. إن كتب الرذيلة تصنف في كتب الرذيلة.. وكتب الإجرام تصنف في كتب الإجرام.. بينما كتب هؤلاء تصنف ضمن كتب الدين.. وما أخطر أن يتحول الإجرام إلى دين.

قلت: ولكن ذلك قد يرمينا بقمع حرية الفكر.

قال: لا بأس.. انشروها كما تشاءون.. ولكن اكتبوا عليها كما تكتبون على علب السجائر.

قلت: أنكتب (كتب مضرة بالصحة)؟

قال: بل اكتبوا (كتب مدمرة للإنسانية والحضارة والقيم).. إنها كتب الدجال التي ينشرها ليملأ الأرض ظلما وجورا وصراعا.

في اليـوم السـادس من زيارتـه لي دخلت عليـه، وأنـا أحمل عددا من أعداد مجلة (الإسلام وطن)، فقدمته إليه، عساه يستنير بما فيه من هدي وعلم ونور، وليخفـف عن نفسه بعض ما تعانيه من أعباء ماضيه الثقيل.

وقد قدر الله أن يفتح المجلة على مقال لمولانا محمـد علاء الـدين ماضـي أبـو العـزائم عن المنظمـات اليهوديـة وآثارهـا في العـالم، وقـد قـدر اللـه أيضـا أن يكـون ذلـك المقال هـو المحـرك لحـديثنا هـذا اليـوم، والـذي سأقصـه عليكم.

رأيته يقـرأ المقـال لا يتجـاوزه.. ولا يتعـداه إلى غـيره.. فاستفزني ذلك لأسأله عما شده فيه.

نظر إلي بحزن، وقال: هل تعرف كاتب هذه المقالات؟

قلت: أجل.. وهو رجل من العلمـاء الصـالحين الهـداة.. قل من يهتم لهمه، ومن يقدر كتقديره.

قـال: صـدقت.. إن هـذه المقالـة تـدل على ذلـك.. لا يمكن أن يحسـن التقـدير والتخطيـط من لا يعـرف مكـر هؤلاء وكيدهم، وكيف يلبسون الحق بالباطل.

قلت: الحمد لله.. لقد أمنك الله من شرهم.. فقد كنت على الأقل من طائفة تعتبر الـبراءة من المشـركين أصـل أصـولها، فهم كـل حين يصـيحون محـذرين من الاقتـداء باليهود، ومن هم على شاكلة اليهـود، بـل هم يـدعون كـل حين أن ييتم الله أطفال اليهود، ويرمـل نسـاءهم، ويجمـد الدماء في عروقهم.. !!

تنفس الصعداء، وقال: للأسف..

قلت: لم تتأسف.. هذا شيء ينبغي أن تحمد الله عليه.. فقد قال الله تعالى في اليهود: ﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا.. (82)﴾ (المائدة)، وهذه الآية دليل صريح على ما يكنه اليهود للمؤمنين من عداوة.

قال: أجل.. صدقت في هذا.. ولكن العبرة ليست فيه وحده.

قلت: فأين العبرة إذن؟

قال: هناك من يسب اليهود، ولكنه لا يشرب إلا من مياههم، ولا يرتوي إلا من منابعهم.. بل يجعلهم أئمته الذين يأتم بهم، فلا يرى جواز مخالفتهم، بل يرمي بالبدعة والضلالة من يفعل ذلك.

قلت: ويل له.. ثم ويل له.. كيف رضي لنفسه إمامة أمثال هؤلاء.. ألم يسمع ما ورد في القرآن الكريم من شأنهم.. ألم يعتبر بما ورد في النصوص المقدسة من التحذير من اتباعهم أو السير على خطاهم..؟؟

قال: بل سمع.. ولكنه لم يع.. لم تصل المعاني القرآنية النبيلة إلى قلبه.. لأنه اكتفى من قراءته بحروفه.. وزين له من اعتبر أئمة له الباطل.. فغفل عن تحذيرات القرآن.. وتوجيهات الرسول.

قلت: من هؤلاء الذين تتحدث عنهم؟

قال: هم من كنت عندهم معتقلا في سجونهم الرهيبة.

قلت: تقصد الوهابية.

قال: اسمهم لا يهم.. فهم في كل حين يختـارون اسـما جديدا.. والعبرة بالمسمى لا بالأسماء.

قلت: أراك تتجنى عليهم هذه المـرة.. فمـا رأيت أحـدا يبغض اليهود بغضهم.. ولا رأيت أحـدا يحـذر من أن يتشـبه بـاليهود منهم.. ألا تـراهم لا يأخـذون من لحـاهم نقـيرا ولا قطميرا خشية أن يتشبهوا بهم!؟

قال: هذا الذي يسمونه الورع البارد.. إنـه كـذلك الـذي قال عنه الحسن البصري عندما سـأله بعض أهـل العـراق عن دم البرغوث: (أتقتلون ابن بنت رسول الله، وتسألون عن دم البرغوث!؟)

قلت: فهل لك أدلـة تـدل على هـذا.. فالـدعاوى إن لم تبرز البراهين الدالة عليها، أبناؤها أدعياء؟

قــال: الأدلــة على هــذا أكــثر من أن تحصــر.. لكــني سأكتفي اليـوم بواحـد منها[1].. وهـو يمس أسـاس أسـس الدين.

قلت: تقصد الألوهية.. فالدين يقوم على الإيمـان باللـه وتوحيده.

قال: أجل..

قلت: فهـل اسـتطاع اليهـود أن يـدخلوا هـذا الحصـن الحصين.. إن القـرآن حـذر مهم.. واعتـبرهم مخلطين في هذا الباب كما خلطـوا في غـيره.. قـال تعـالى: ﴿ وَقَـالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنْفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ.. (64)﴾ (المائدة)

---

1) سنعرض في حلقات أخرى لتأثيرات اليهود المختلفة على الوهابية.

قال: سأذكر لك أدلة تثبت هذا(1).. وقد دعاني إلى البحث فيها شيخ من مشائخنا في ذلك الحين يقال له الشيخ (حمود التويجري)، فقد كان حينها يملي علينا من كتابه الذي سماه (عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن)، وهو كتاب من الكتب المهمة عند جميع أصحابنا من المعتقلين، ولذلك زكاه شيخ الطائفة في زمانه ابن باز، قال لنا في أثناء حديثه، وهو يحاول بكل قوة أن يرسم لنا صورة لربنا تضارع أي صورة نراها: (وأيضًا فهذا المعنى عند أهل الكتاب من الكتب المأثورة عن الأنبياء كالتوراة فإن في السفر الأول منها (سنخلق بشرًا على صورتنا يشبهها)(2)

انتفض بعض السائلين متعجبا: أتستدل بما ورد في كتب اليهود.. ألا ترى أننا بذلك نفتح بابا خطيرا من التحريف على أنفسنا؟

نظر إليه الشيخ بشزر، ثم استأنف إملاءه قائلا، وكأنه يجيبه عن سؤاله: (و أيضًا فمن المعلوم أن هذه النسخ الموجودة اليوم بالتوراة ونحوها قد كانت موجودة على عهد النبي ﷺ فلو كان ما فيها من الصفات كذبًا وافتراء ووصفًا لله بما يجب تنزيهه عنه كالشركاء والأولاد لكان إنكار ذلك عليهم موجودًا في كلام النبي أو الصحابة أو التابعين كما أنكروا عليهم ما دون ذلك، وقد عابهم الله في القرآن بما هو دون ذلك فلو كان هذا عيبا لكان عَيب الله لهم به أعظم وذمهم عليه أشد)(3)

---

1) استفدت هذه المقالة من كتاب (دراسة مقارنة بين عقيدة الوهابية وعقيدة اليهود) (انظر: http://soufia.org)..

2) عقيدة أهل الإيمان في خلق آدم على صورة الرحمن، طبع دار اللواء – الرياض، الطبعة الثانية، ص/ 76:.

3) المصدر السابق: 77.

قلت: إن هذا الكلام خطير جـدا.. إنـه يفتح البـاب على مصراعيه على التلمذة على حاخامات اليهود.

قال: ولهذا، فقد دفعني هذا القول إلى البحث في كتب اليهود عن عقائـدنا.. وقـد وجـدتها للأسـف نسـخة لا تكـاد تختلف عنها..

قلت: هلا ضربت لي أمثلة على ما وصلت إليـه عسـاها تكون أدلة على ما تقول؟

قال: سـأذكر لـك عشـرة أمثلـة كاملـة.. تكفي العاقـل ليستنتج النتائج التي ذكرتها لك.

قلت: فهلم بالمثال **الأول**.

قـال: لعلـك تعلم أن اليهـود تنسـب إلى اللـه تعـالى الجلوس والقعود والاستقرار والثقل والوزن والحجم..

قلت: أجـل.. ففي (سـفر الملـوك)(22:ـ 19-20)ـ : (وقال فاسمع إذاً كلام الرب قـد رأيت الـرب جالسًـا على كرسـيه وكـل جنـد السـماء وقـوف لديـه عن يمينـه وعن يساره)

و في سفر مزامير (47/8) يقـول اليهـود: (اللـه جلس على كرسي قدسه)

قـال: وهكـذا يقـول الوهابيـة.. ففي كتـاب (مجمـوع الفتـاوى) (4/374) الـذي يعتـبر الكتـاب المقـدس الأول والأخير للوهابيين، يقول ابن تيمية: (إن محمدًا رسول الله يجلسـه ربـه على العـرش معـه)، وفي نفس الكتـاب (ج 1/527)، وكتاب شـرح حـديث النـزول (ص 400) يقـول ابن تيمية: (فما جاءت به الآثار عن النبى من لفظ القعـود

والجلوس فى حق الله تعالى كحديث جعفر بن أبي طالب وحـديث عمـر أولى أن لا يماثـل صـفات أجسـام العبـاد)، وفي نفس الصحيفة يقول: (إذا جلس تبـارك وتعـالى على الكرسي سُمِع له أطيط كأطيط الرَّحل الجديد)

وفي كتاب (شرح القصيدة النونية) لابن القيم الجوزيـة لمحمد خليـل هـراس (ص256) يقـول: (قـال مجاهـد: إن الله يُجلس رسوله معه على العرش)

والمراجع في هذا أكثر من أن تحصر.. فهل يكفيـك مـا ذكرت من النصوص أم تراك تريد نصوصا أخرى؟

قلت: أجل.. يكفي ما ذكرت، وقد قـرأت مثلـه الكثـير، وهم يصرحون بهذا ولا يستحون منه.. فهات **الثاني**.

قال: لعلك تعلم أن اليهود تنسب الصورة والشكل للـه تعـالى، ولا تفهم من الصـورة والشـكل إلا مـا نفهمـه من صور الأجسام وأشكالها.

قلت: أجـل.. فإننـا نجـد في سـفر التكـوين (الاصـحاح الأول: 26-28): (وقال اللـه نعمـل الإنسـان على صـورتنا على شبهنا... فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه ذكرًا وأنثى خلقهم)، وفي سفر (التثنية الاصحاح 4: 15-16): (فإنكم إن لم تروا صورة ما في يوم كلَّمكم الـرب في حـوريب من وسـط النـار لئلا تفسـدوا وتعملـوا لأنفسكم تمثالا منحوتاً صورة مثال ما شبه ذكر أو أنثى)

قال: وهكذا يقول الوهابية.. ففي كتـاب (التوحيـد) لابن خزيمـة (طبـع دار الـدعوة السـلفية، تعليـق محمـد خليـل هراس، ص156) يقـول: (ثم يتبـدّى اللـه لنـا بصـورة غـير صورته التي رأيناه فيها أول مرة، وقد عاد لنـا في صـورته

التي رأيناه فيها أول مرة فيقول أنــا ربكم)، وفي (ص39) يقول محمد خليـل هـراس: (فالصـورة لا تضـاف إلى اللـه كإضافة خلقه إليه لأنها وصف قائم به)

وفي كتـاب (عقيـدة أهـل الإيمـان في خلـق آدم على صـورة الـرحمن) لحمـود بن عبـد اللـه التـويجري، وفيـه تقريـظ كبـير لابن بـاز، (طبعـة دار اللـواء في الريـاض – الطبعــة الثانيــة، ص16): (قــال ابن قتيبــة: فــرأيت في التـوراة: إن اللـه لمـا خلـق السـماء والأرض قـال: نخلـق بشرًا بصـورتنا)، وفي (ص17): (وفي حـديث ابن عبـاس: إن موسى لما ضرب الحجر لبـني إسـرائيل فتفجَّر وقـال: اشربوا يا حمير فـأوحى اللـه إليـه: عمـدت إلى خلـقٍ من خلقي خلقتهم على صورتي فتشـبههم بـالحمير، فمـا بـرح حتى عوتب)، وفي (ص40): (إن الله خلـق الإنسـان على صورة وجهه الذي هو صفة من صفات ذاته)

قلت: وعيت هذا.. فهات **الثالث**.

قال: لعلك تعلم أن اليهـود يعتـبرون الوجـه عضـوا للـه تعالى كما هو وجه ابن آدم.

قلت: أجل.. فقـد قـرأت في سـفر التكـوين (الإصـحاح 32:ـ 30): (فدعا يعقوب اسـم المكـان فنيئيـل قـائلاً لأني نظرت الله وجهًا لوجه)، وفي سفر التثنية (الإصحاح5:4): (وجهًا لوجه تكلم الرب معنا في الجبل من وسط النار)

قال: وهكذا يقـول الوهابيـة.. ففي كتـاب (رد الـدارمي على بشر المريسي: ص159) يقول المؤلـف: (كـل شـئ هالك إلا وجه نفسه الذي هو أحسن الوجوه وأجمل وأنــور الوجـوه وإن الوجـه منـه غـير اليـدين، واليـدين منـه غـير الوجه)، وفي (ص161) يقول: (فصـعد - أي جبريـل - بهن

- أي بكلمات الذكر - حتى يُحَيِّ بهن وجه الرحمن)، وفي (ص190) يقول الدارمي: (والنور لا يخلو من أن يكون له إضاءة واستناره ومنظر ورواء، وإنه يدرك يومئذ بحاسة النظر إذا كشف عنه الحجاب كما يدرك الشمس والقمر في الدنيا)

وفي كتاب (قرة عيون الموحدين) لعبد الرحمن بن حسين بن محمد بن عبد الوهاب (تحقيق بشير محمد عيون - طبع مكتبة المؤيد الطائف – سنة 1990، ص 187): (روى ابن جرير عن وهب بن منبه: فيأتون إلى الرحمن الرحيم فيسفر لهم عن وجهه الكريم حتى ينظروا إليه ثم يقولون فأذن لنا بالسجود قدامك)

قلت: وعيت هذا.. فهات **الرابع**.

قال: لعلك تعلم أن اليهود تنسب الصوت إلى الله تعالى، وتشبهه في ذلك بخلقه.

قلت: أجل.. ففي سفر التثنية (5/26): (من جميع البشر الذي سمع صوت الله)، وفي نفس السفر (5/24): (إن عدنا نسمع صوت الرب إلهنا)، وفي نفس السفر (4/12): (فكلمكم الرب من وسط النار وأنتم سامعون صوت كلام ولكن لم تروا صورة بل صوتاً)

قال: وهكذا يقول الوهابية.. ففي كتاب (مجموع الفتاوى: 5/556) يقول ابن تيمية: (وجمهور المسلمين يقولون إن القرآن العربي كلام الله، وقد تكلم به بحرف وصوت)، وفي كتاب (شرح حديث النزول، طبعة دار العاصمة – الرياض - علّق عليه محمد الخميس، ص220) يقول ابن تيمية مفتريًا على موسى عليه السلام: (إن

موسى لما نودي من الشجرة: (فَـاخْلَعْ نَعْلَيْـكَ) (طـه:12) أسرع الإجابة وتابع التلبية وما كان ذلـك منـه إلا استئناسًـا منه بالصوت وسكوناً إليه وقال: إني أسمع صـوتك وأحسّ حسّك)

وفي حاشـية الكتـاب المسـمى (كتـاب التوحيـد، لابن خزيمة طبع دار الـدعوة السـلفية ص 137) يقـول محمـد خليل هراس المعلق على هذا الكتاب إن معنى :(مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) (الشورى: 51) (يعني تكليمـا بلا واسـطة لكن من وراء حجـاب فيسـمع كلامـه ولا يـرى شخصـه)، وفي (ص 138) يقول المعلق: (وإن كلامه حروف وأصوات يسمعها من يشاء من خلقه)، وفي (ص146) يقول المعلـق أيضًـا: (يسمعون صوته عز وجل بالوحي قويـا لـه رنين وصلصـلة ولكنهم لا يميزونه، فإذا سمعوه صعقوا من عظمة الصوت وشدته)

وفي كتـاب (الأسـماء والصـفات) يقـول ابن تيميـة في معـرض ردّه على الجهميـة (ص73): (وحـديث الزهـري قال: فلما رجع موسى إلى قومه قـالوا لـه صـف لنـا كلام ربك، قال: سمعتم أصوات الصواعق التي تقبـل في أحلى حلاوة سمعتموها؟ فكأنه مثله)

وفي كتاب (شرح نونية ابن القيم) لمحمد خليل هراس (ص 545) يقول المؤلف: (ولكنه – أي القرآن – قول الله الذي تكلم به بحروفه وألفاظه بصوت نفسـه)، وفي نفس الكتـاب (ص778) يقـول: (بـل قـد ورد أنـه سـبحانه يقـرأ القرآن لأهل الجنة بصوت نفسه يسمعهم لذيذ خطابه)

وفي كتاب (فتاوى العقيدة) لمحمد بن صـالح العـثيمين (ص72): (في هذا إثبات القول لله وأنـه بحـرف وصـوت،

لأن أصل القول لا بد أن يكون بصوت فإذا أطلق القول فلا بد أن يكون بصوت)

وفي كتاب (معارج القبول) لحافظ حكمي (2/191) يقول: (فيضع الله كرسيه حيث يشاء من أرضه ثم يهتف بصوته)

قلت: وعيت هذا.. فهات **الخامس**.

قال: لعلك تعلم أن اليهود تنسب الفم واللسان الى الله.

قلت: أجل.. ففي سفر أيوب (37/2-6): (اسمعوا سماعًا رعد صوته والرمذمة الخارجة من فيه تحت كل السموات)، وهم يريدون ب (من فيه): (من فمه)

قال: وهكذا يقول الوهابية.. ففي (الأسماء والصفات) لابن تيمية (1/73) يقول ابن تيمية في معرض الرد على الجهمية: (وحديث الزهري قال: لما سمع موسى كلام ربه قال: يا رب هذا الذي سمعته هو كلامك؟ قال: نعم يا موسى هو كلامي وإنما كلمتك بقوة عشرة آلاف لسان)

وفي كتاب (رد الدارمي على بشر المريسي) (ص 112) عن الله تعالى: (إن الكلام لا يقوم بنفسه شيئا يرى ويحس إلا بلسان متكلم به)

وفي كتاب (الرد على الجهمية) لأبي سعيد الدارمي (ص81) يقول الدارمي: (قال كعب الأحبار: لما كلم الله موسى بالألسنة كلها قبل لسانه طفق موسى يقول: أي رب ما أفقه هذا حتى كلّمه آخر الألسنة بلسانه بمثل صوته يعني بمثل لسان موسى وبمثل صوت موسى)، ثم يقول: (فهذه الأحاديث قد رويت وأكثر منها ما يشبهها

كلها موافقة لكتاب الله في الإيمان بكلام الله)

وفي كتاب (طبقات الحنابلة) لأبي يعلى (1/32) يقول: (وكلَّمَ الله موسى تكليمًا من فيه – يعني من فمه – وناوله التوراة من يده إلى يده)

وفي كتاب (رد الدارمي على المريسي) (ص123) يقول المؤلف: (وهو يعلم الألسنة كلها ويتكلم بما شاء منها، إن شاء تكلم بالعربية وإن شاء بالعبرية وإن شاء بالسريانية)

قلت: وعيت هذا.. فهات **السادس**.

قال: لعلك تعلم أن اليهود تنسب التغير والحدوث والحركة والارتفاع والنزول الحسي الى الله تعالى.

قلت: أجل.. ففي سفر التكوين (11/5): (فنزل الرب لينظر المدينة والبرج اللذين كان بنو آدم يبنوهما)، وفي نفس السفر (46/3-4): (فقال أنا الله إله أبيك... أنا أنزل معك إلى مصر)، وفي سفر الخروج (19/21): (لأنه في اليوم الثالث ينزل الرب أمام عيون جميع الشعب على جبل سيناء)

قال: وهكذا يقول الوهابية.. ففي كتاب (جهالات خطيرة في قضايا اعتقاديه كثيرة) (ص18) يقول مؤلفه، وهو عاصم ابن عبد الله القريوتي في تفسير الاستواء على العرش: (صعد أو علا: ارتفع أو استقر ولا يجوز المصير إلى غيره)

وفي كتاب (الأسماء والصفات) لابن تيمية (ص91): (فثبت بالسنة والإجماع أن الله يوصف بالسكوت، لكن السكوت تارة يكون عن التكلم وتارة عن إظهار الكلام

وإعلامه).

و يقول محمد زينو في كتابه المسمى (مجموعة رسائل التوجيهات الإسلامية لإصلاح الفرد والمجتمع) (ص 21): (إن الله فوق العرش بذاته منفصل من خلقه)

وفي كتاب (معارج القبول) لحافظ حكمي (1/235): (إن الله ينزل إلى السماء الدنيا وله في كل سماء كرسي، فإذا نزل إلى السماء الدنيا جلس على كرسيه ثم مد ساعديه، فإذا كان عند الصبح ارتفع فجلس على كرسيه)، ثم يقول: (يعلو ربنا إلى السماء إلى كرسيه)، وفي الصفحة التالية يقول: (قال النبي: إن الله يفتح أبواب السماء ثم يهبط إلى السماء الدنيا ثم يبسط يده)

وفي كتاب (شرح قصيدة النونية) لمحمد خليل هراس (ص774): (فرفعوا رؤوسهم فإذا الجبار قد أشرف عليهم من فوقهم)

وفي كتاب (رد الدارمي على بشر المريسي) (ص54): (معنى (لا يزول) لا يفنى ولا يبيد، لا أنه لا يتحرك ولا يزول من مكان إلى مكان)، ويقول في (ص54): (فإن أمارة ما بين الحي والميت التحرك وما لا يتحرك فهو ميت لا يوصف بحياة كما وصف الله الأصنام الميتة)، ويقول في (ص55): (فالله الحي القيوم الباسط يتحرك إذا شاء)

قلت: وعيت هذا.. فهات **السابع**.

قال: لعلك تعلم أن اليهود تنسب اليد والساعد والذراع والكف والاصابع جوارح حقيقية الى الله.

قلت: أجل.. ففي سفر الخروج (15/16): (بعظمة ذراعك يصمتون كالحجر)، وفي سفر المزامير (44/2-3):

(أنت بيــدك استأصــلت الأمم وغرســتهم لكن يمينــك وذراعك)

قال: وهكذا يقـول الوهابيـة.. ففي كتـاب (رد الـدارمي على بشر المريسي) (ص26) يقول الـدارمي:(فأكـد اللـه لآدم الفضـيلة الـتي كرّمـه وشـرّفه بهـا وآثـره على جميـع عباده إذ كـل عبـاده خلقهم بغـير مسـيس بيـد وخلـق آدم بمســيس)، وفي (ص 30):(فلمــا قــال خلقت آدم بيــدي علمنا أن ذلك تأكيد ليديه وأنه خلقه بهما)، وفي (ص 35): (عن ميسرة قـال: إن اللـه لم يمس شـيئاً من خلقـه غـير ثلاث: خلـق آدم بيـده، وكتب التـوراة بيـده، وغـرس جنـة عدن بيده)

وفي حاشية (كتاب التوحيد) لابن خزيمـة يقـول محمـد خليـل هـراس المعلـق على هـذا الكتـاب (ص 63):(فـإن القبض إنما يكون باليد الحقيقية لا بالنعمـة، فـإن قـالوا إن الباء هنا للسببية أي بسبب إرادته الإنعام، قلنـا لهم: بمـاذا قبض؟ فــإن القبض محتــاج إلى آلــة، فلا منــاص لهم لــو أنصـفوا من أنفسـهم إلا أن يعـترفوا بثبـوت مـا صـرح بـه الكتاب والسـنة)، وفي ص 64 يقـول المعلـق أيضًـا:(هـذه الآية صريحة في إثبات اليد، فـإن اللـه يخـبر فيهـا أن يـده تكون فوق أيدي المبـايعين لرسـوله ولا شـك أن المبايعـة إنما تكون بالأيدي لا بالنعم والقدر)

وفي كتـاب (السـنة) المنسـوب لأحمـد والـذي نشـره الوهابية (ص 77) يقولون فيه: (وكلّم الله موسـى تكليمًـا من فيه – يعني فمه – وناوله التوراة من يده إلى يده)

وفي كتاب (العقيـدة) لمحمـد بن صـالح العـثيمين (ص 90):(وعلى كل فـإن يديـه سـبحانه اثنتـان بلا شـك، وكـل

واحدة غير الأخرى، وإذا وصفنا اليد الأخرى بالشمال فليس المراد أنها أنقص من اليد اليمنى)

قلت: وعيت هذا.. فهات **الثامن**.

قال: لعلك تعلم أن اليهود تنسب الرجل الجارحة والعين على معنى الجارحة الى الله تعالى.

قلت: أجل.. ففي سفر الخروج (13/20): (وكان الرب يسير أمامهم)، وفي سفر المزامير (53/2): (الله من السماء أشرف على بني البشر لينظر)، وفي سفر التكوين (3/8-10):(وسمعا صوت الإله ماشيا في الجنة)

قال: وهكذا يقول الوهابية.. ففي كتاب (طبقات الحنابلة) (1/32) يقول أبو يعلى: (والسموات والأرض يوم القيامة في كفه ويضع قدمه في النار فتنزوي ويخرج قومًا من النار بيده)

وفي كتاب (عقيدة أهل السنة والجماعة) (ص 14-15) يقول ابن عثيمين:(ونؤمن بأن لله عينين اثنتين حقيقيتين)

وفي كتاب (رد الدارمي على بشر المريسي) (ص 69):(يضع الجبار فيها – أي في النار – قدمه فإذا كانت جهنم لا تضر الخزنة الذين يدخلونها ويقومون عليها فكيف تضر الذي سخرّها لهم)

وفي كتاب (فتاوى العقيدة) لمحمد بن صالح العثيمين (ص 112):(إن الله يأتي إتياناً حقيقياً)، ويقول في (ص 114):(فإن ظاهره ثبوت إتيان الله هرولة وهذا الظاهر ليس ممتنعا على الله فيثبت لله حقيقة)

قلت: وعيت هذا.. فهات **التاسع**.

قـال: لعلـك تعلم أن اليهـود تنسـب الجهـة والحـيز والمكان والحد الى الله.

قلت: أجل.. ففي سـفر المزامـير (2/4):(السـاكن في السموات يضـحك الـرب)، وفي سـفر التكـوين (28/16): (حقّاً إن الرب في هذا المكـان وأنـا لم أعلم)، وفي نفس السفر (18/1): (وظهر له الرب عند بلوطات)، وفي سفر زكريا (2/13):(اسكتوا يا كل البشر قـدام الـرب لأنـه قـد استيقظ من مسكن قدسه)

قال: وهكذا يقـول الوهابيـة.. ففي كتـاب (رد الـدارمي على بشـر المريسـي) والـذي يجلونـه ويعتبرونـه أحـد مـراجعهم (ص 82):(بـل هـو على عرشـه فـوق جميـع الخلائـق في أعلى مكـان وأطهـر مكـان)، وفي (ص96): (لأنا قد أيَّنَّا له مكانـاً واحـداً، أعلى مكـان وأطهـر مكـان وأشـرف مكـان، عرشـه العظيم المقـدس المجيـد فـوق السماء السابعة العليا حيث ليس معه هناك إنس ولا جـان ولا بجنبه حشٌّ ولا مرحاض ولا شيطان)، وفي (ص 100): (رأس الجبل أقـرب إلى اللـه من أسـفله، ورأس المنـارة أقرب إلى الله من أسـفلها لأن كـل مـا كـان إلى السـماء أقرب كان إلى الله أقرب، فحملة العرش أقـرب إليـه من جميع الملائكة)، وفي (ص 79):(إنـه فـوق عرشـه بفرجـة بينة، والسموات السبع فيما بينـه وبين خلقـه في الأرض)، وفي (ص 79):(وإلـه السـموات والأرض على عـرش مخلوق عظيم فوق السـماء السـابعة دون مـا سـواها من الأماكن من لم يعرفه بذلك كان كـافر بـه وبعرشـه)، وفي (ص 80) يقول :(لأنه وصـف نفسـه بأنـه في موضـع دون موضع ومكان دون مكان)

وفي كتاب (شرح نونية ابن القيم) لمحمد خليل هرّاس

(ص 249) :(وهـو صـريح في فوقيـة الـذات لأنـه ذكـر أن العرش فوق السموات وهي فوقية حسيَّة بالمكان فتكون فوقية الله على العرش كذلك، ولا يصح أبداً حمل الفوقية هنا على فوقية القهر والغلبة)

وفي كتاب (قـرة عيـون الموحـدين) لعبـد الـرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب (ص 263) ينقل ما نصـه: (أجمع المسلمون من أهل السنة على أن الله مستو على عرشه بذاتـه)، ثم قـال:(استوى على عرشـه بالحقيقـة لا بالمجاز)

قلت: وعيت هذا.. فهات **العاشر**.

قـال: لعلـك تعلم أن اليهـود تنسـب الأوصـاف القبيحـة والشنيعة إلى الله.

قلت: أجل.. وقد ذكر القـرآن بعض أقـوالهم في هـذا.. فهل وقع الوهابية في هذا أيضا؟

قــال: أجــل.. وكيــف لا يفعلــون وهم يتتلمــذون على اليهود.

قلت: فاذكر لي أدلة على هذا، فأنت تعلم أني لا أقبــل الدعاوى من غير براهينها.

قــال: من ذلــك مــا ورد في كتــاب (فتــاوى العقيــدة) للعثيمين (ص 50) يقول: (لا يوصف الله بالمكر إلا مقيداً، فـإن قيـل كيـف يوصـف اللـه بـالمكر مـع أن ظـاهره أنـه مـذموم قيـل إن المكـر في محلـه محمـود)، وفي ص 51 يقول: (إن الله له مَلَلٌ وأما مَلَلُ الله فإنـه ملـل يليـق بـه عز وجل)، وفي ص 52 يقول:(وأمـا الخـداع فهـو كـالمكر يوصف الله به حين يكون مدحًا)

انتفضت من مكاني غاضبا، وأنا أردد: أوصلت بهم الجرأة إلى هذا الحد؟

قال: من عزل أولياء الله وآل بيت رسول الله الذين أمرنا أن نتمسك بهم لا يمكن أن يقع إلا في يد اليهود ليتلاعبوا به وبعقيدته ما شاءت لهم أهواؤهم أن يتلاعبوا.

قلت: ولكنك لم تذكر لي مشايخهم من اليهود، أنت ذكرت لي فقط ما تتلمذوا به على اليهود.. أنت ذكرت لي الدروس، ولم تذكر لي المدرس.

قال: يكفيك ما حدثتك به اليوم.. سأحدثك في يوم آخر كيف بدأت القصة.. كيف عزل آل البيت الكرام الذين أمرنا رسول الله ﷺ أن نتمسك بهم.. ثم كيف صار كعب الأحبار ووهب بن منبه ومقاتل بن سليمان وغيرهم هم أساتذة المسلمين بدل على والحسن والحسين وآلهم الطاهرين..

في اليوم السابع من زيارته لي دخلت عليه، وأنا أحمل أشرطة سمعية من تفسير الشيخ محمد متولى الشعراوي للقرآن الكريم، وقد قلت في نفسي حينها: إن صوت هـذا الرجـل الممتلئ بالإيمـان سيقضـي على كـل تلـك الآلام والوساوس التي لا تزال تلقي بسمومها في نفس صاحبي الذي لا أزال أجهل عنه الكثير.

عندما دخلت عليه، وسـلمت الأشـرطة، قـال لي: لمن هذه الأشرطة؟

قلت: إنهـا لشـيخ جليـل، قضـى عمـره مـع الإيمـان والقرآن.. فلم يفارقهما طول حياته.. وها هي ثمار صحبته لهما تمتد إلى ما بعد وفاته، لتنشر في العالم جميعا عبـير الإيمان، وحلاوة القرآن.

قال: شوقتني إليه.. فما اسمه الذي به ينادى.. أو لقبـه الذي به يلقب؟

قلت: إنه رجل من أهل مصر يقـال لـه الشـيخ محمـد متولى الشعراوي يعرفه فيهـا الصـغير والكبـير، والمسـلم وغير المسلم.

قـال: ونحن كـذلك كنـا نعرفـه.. لقـد أقمنـا المجـامع الكثيرة حوله.

قلت، وقد استفزني الطرب: وأخيرا التقى المسـلمون جميعا على شخص واحـد.. الحمـد للـه رب العـالمين.. مـا أجدر الشيخ الشعراوي أن يكون هو ذلك الشخص.

قال: ما تقول؟.. أنت لم تفهم قصدي.

قلت: كلامك واضح.. لقد ذكرت لي أنكم كنتم تقيمـون المجامع الكثيرة حولـه.. وهكـذا يفعـل الصـوفية والفقهـاء وغـيرهم من أصـناف المسـلمين.. فكلهم يجتمعـون حـول مائدة الإيمان والقرآن الـتي كـان يقيمهـا كـل حين.. كلهم كان يأكل من لذائذها، وينتشي من عبيرها.

تنفس الصـعداء، ثم قـال: إلا نحن.. والمعتقلـون في سجوننا الرهيبة.

قلت متعجبا: فلم إذن تجتمعون حوله؟

قـال: بـل كنـا نجتمـع عليـه.. كنـا نصـيح في كـل نـاد محذرين منه.. لقد كنا نفعل نفس مـا كنـا يفعلـه أبـو لهب وأبـو جهـل عنـدما كـانوا يسـيرون خلـف محمـد ﷺ في الأسواق ليقولوا لهم: إن محمدا كاذب وساحر ومجنون.

قلت: ولكـني لم أسـمع أحـدا ينعت الشـعراوي بمـا تذكره.

قـال: لم نكن نرميـه بالسـحر ولا بـالجنون.. ولكنـا كنـا نرميه بما هو أخطر منهما.

قلت: أخطر منهما!.. ما تعني؟

قال: كنا نرميه بسلاحنا النافذ الذي يوجهه لكـل مصـلح وصالح.

قلت: ما هو هذا السلاح؟

قال: الشرك.. لقد كنا نرمي الشيخ بالشرك.. لقـد كنـا نعتـبره داعيـة شـرك.. لا فـرق بينـه وبين أبي لهب وأبي جهل وأبي سفيان.

قلت: أتقصد أن أصحابك من الوهابية كانوا يرمون الشيخ الشعراوي بالشرك؟.. رويدك يا رجل لعل الأمر اختلط عليك، فقد كان الشيخ محل احترام من الجميع.

قال: للأسف.. لم يختلط الأمر علي.. لقد كنت أحد أولئك الدعاة.. وقد كان لنا حينها كتاب نرتله على الناس كما نرتل القرآن.. فلا نقرأ صفحته الأخيرة حتى نعود إلى صفحته الأولى.. ولهذا تراني من كثرة ما ختمته أكاد أحفظه.

قلت: ما هذا الكتاب؟

قال: كان مشهورا بيننا ب (بيان الحقيقة في أن محمد متولي الشعراوي يدعو إلى الشرك بالله تعالى وإلى الكفر والبدع)(1)

قلت: فهلا ذكرت لي بعض ما فيه؟

قال: على الرحب والسعة.. فقد ذكرت لك أني من كثرة ترديدي لما فيه امتلأ به صدري، كما امتلأ بغيره.. الحقد عندنا أهم وسيلة من وسائل الحفظ..

لقد كنا في كل مجلس نحل فيه لننفث فيه سمومنا نصيح بقوله تعالى: (قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ) (الزمر: 64)

فإذا تساءل الناس عن هؤلاء الجهال الذي يأمروننا أن نعبد غير الله قلنا ببديهة حاضرة: إن أخطرهم في هذا العصر رجل تدعونه (محمد متولي الشعراوي)

---

1) والهدف من الكتاب كما يذكر أصحابه هو: (بيان أن الشعراوي هو ضال مبتدع مفسد في دين الله تعالى ولا يجب أن يؤخذ عنه العلم والتوحيد كما أفتى بذلك كبار العلماء ومنهم الإمام العلامة محمد ناصر الدين الألباني)

فـإذا تعجب النـاس أو انقبضـوا، قلنـا لهم: إن الشـيخ محمد متولى الشـعراوي (عـاش كـل حياتـه ومنـذ نعومـة أظفـاره وحـتى هلاكـه بين القبـور والأوثـان والأضـرحة.. يصلي بين القبـور والأوثـان.. يلقي محاضـراته بين القبـور والأوثان لا يهنأ لـه بـال إلا بين القبـور والأوثـان.. وعقيـدة محمـد متـولي الشـعراوي هي عقيـدة الفرقـة القبوريـة الصوفية الضالة، فالشعراوي يعتقـد ويـدعو للشـرك باللـه تعالى كدعاء غير الله تعـالى.. أضـف لـذلك دعوتـه لبعض الكفريات والبدع... وكل ما يدعو إليه الشعراوي هو تكرار مقـزز من الـتراث الصـوفي القبـوري عـبر التـاريخ؛ هـذا الضلال وهذه الخرافات والبـدع والشـركيات والاعتقـادات الكفرية التي أدت إلى ضعف المسلمين وتخلفهم وتسـلط عدوهم عليهم.. فكيف ينصـر اللـه من يـدعو غـيره ويتجـه بقلبه لسؤال الموتى في القبور؟!

فالشعراوي هو صوفي أشعري قبوري عنيد جـداً؛ حـتى أنـه أقـام فـترة في بلاد التوحيـد في المملكـة السـعودية ودرَّس العلــوم اللغويــة في بلاد التوحيــد لبعض الــوقت؛ ورغم ذلك فإن قلبه القاسي لم يخشـع للـه تعـالى ولـذكر الله تعالى ولتوحيد اللـه تعـالى، بـل أبى الشـعراوي إلا أن يسـتمر على مذهبـه الضـال الصـوفي الأشـعري القبـوري الذي تلقاه في بلده مصـر منـذ نعومـة أظفـاره رغم بيـان وجلاء الحق له خلال فترة إقامته في بلاد التوحيد)(1)

فإذا ظهر بين من نخاطبهم من يجادل في ذلك، أو من يزعم بأن هذا قد يكون مرتبطا بفتره من حياته، ولا علاقة له بالشيخ حال جلوسه على كرسي المشـيخة، كنـا نقـول لهم بقوة: (إن ما يرد من أدلة على دعـوة الشـعراوي إلى

1) ما بين قوسين منقول من الكتاب المذكور.

الشرك بالله تعالى وإلى الكفـر ليس خاصاً بفـترة معينـة من حياته، بل هي عقيدته منذ الطفولة وحتى هلاكـه.. ولم يعلن الشـعراوي إعلانـاً صـريحاً توبتـه وندمـه عن تلـك الشـركيات والكفريـات بـل على العكس اسـتمرار الشعراوي على تلـك الشـركيات والكفريـات حـتى النفس الأخير من حياته؛ فالقول بأن تلك الأدلة كانت في مرحلـة معينة في حياته أو في شـبابه هـو قـول يقصـد بـه تضـليل المسـلمين، لأن الشـعراوي عنـدما يحكي مـا حـدث في شـبابه أو في أي فـترة من حياتـه إنمـا يحكيـه ليس على سبيل إعلان التوبة والنـدم، بـل على سـبيل تأكيـد وتقريـر دعوته للكفر والشرك بالله تعـالى ولرغبتـه في نشـر هـذا الكفر والشرك بين المسلمين، ولكي يقتدي به المسلمون ويتعلموا منه هذا الشرك والكفر الذي وقع فيه..)

وكنـا نقـول لهم: (أمـا مـا يزعمـه البعض من أن الشعراوي قد تاب عن هذا الضلال ورجع في أواخر أيامـه أو في أواسط أو أوائل أيامه فكل هذا لا قيمـة لـه لأنـه بلا دليـل فلم نـر الشـعراوي يعلن على الملأ وفي وسـائل الإعلام أو في أحد كتبـه أنـه قـد تـاب من تلكم الضـلالات؛ وإن من شروط التوبـة الإصـلاح والبيـان وخاصـة في حـق من ظهرت منه أقوال انجرّ من خلالها فساد عريض)

وكنـا نقـول لهم متبجحين، وكأننـا على عـرش الدينونـة متربعين: (بعـد أن نشـر الشـعراوي الشـرك باللـه تعـالى والكفـر باللـه تعـالى والبـدع والضـلالات في كتبـه وفي وسائل الإعلام لمئـات الملايين وحـتى الآن هـذا الشـر مـا يزال مستمراً ؛ ولم نر كتابـاً واحـداً أو تصـريحاً واحـداً من الشعراوي يعلن فيه توبته من تلـك الضـلالات وندمـه على مـا اقترفـه من جـرائم نشـر الشـرك والكفـر والبـدع بين

المسلمين بل على العكس رأينا سوء خاتمة الشعراوي وقوله كلمة الشرك وهو على فراش الموت (نعوذ بالله من سوء الخاتمة)؛ فالقول بأن الشعراوي قد تاب عن تلكم الضلالات هو تضليل وخداع وغش للمسلمين، وإننا لنعجب ممن يغار على هؤلاء المبتدعة من أن تبين ضلالاتهم نصحاً للمسلمين في حين أن هؤلاء الغيارى لم تتمعر وجوههم من دعوة هؤلاء المبتدعة للشرك بالله تعالى والكفر والبدع، أ فتغارون على أهل الضلال ولا تغارون على دين رب العالمين؟!)

فإذا طالبنا بعضهم بالأدلة رحنا نذكر لهم ما قاله ابنه عبد الرحيم عندما سئل عن خاتمة والده، فقال: (جاءت الساعة الموعودة... وفجأة نظر إلى السقف ومحييا بالأسياد والأئمة ومدد يا أهل البيت ،ثم قال فجأة: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك محمد رسول الله.. ثم تمدد على فراشه عندها قمت وغطيته بعباءة بيضاء ثم أخذناه إلى البلد)

فإذا لم يقتنع الناس بهذا، رحنا نسوق لهم ما أورده الشيخ من مذكراته(1) حول محبته لآل البيت الكرام عليهم الصلاة والسلام إلى درجة التعلق بكل أثر من آثارهم..

كنا نحكي لهم ما ذكره عن تعلقه بالحسين.. وبالأثر المبارك الموجود له في مصر.. وكنا نقص لهم قوله عن نفسه: (أما البشارة التي تلقيتها في الروضة الشريفة هي أن لنا باباً في مصر يسمى الحسين، والتي فهمت منها أن مقامي سيكون إلى جوار سيدنا الحسين.. فقد تحققت هي الأخرى وسكنت فعلاً إلى جوار سيدنا الحسين)(2)

1) أقصد بذلك كتاب (الشعراوي يبوح بأسراره الروحية) طبعة دار أخبار اليوم، وقد أجرى الحوار معه في هذا الكتاب (سعيد أبو العينين)
2) (الشعراوي يبوح بأسراره الروحية) ص 28.

وقوله في محل آخر: (و رحت أزور سيدنا الحسين وهناك شكرت الله كثيراً.. وشكوت حالي أيضاً ويقسم الشيخ وهو يقول: والله العظيم لم يمر أسبوع إلا وجاء الفراش الذي كان يعمل معي وقال لي: مبروك يا عم ! فسألته على إيه؟ فقال: الشقة بقت بتسعة جنيه ! لأنهم عملوا تخفيض وطلعت بتسعة جنيه بس ! قال الشيخ: كانت هذه أول مسألة مع سيدنا الحسين ثم توالت المسائل بعد ذلك !)(1)

فإذا رأينا الناس هزوا رؤوسهم متأثرين بشدة تعلق الشيخ بسيدنا الحسين، وهو أهل لأن يتعلق به صحنا فيهم: ويلكم انظروا جيدا ما يقول (إن كل تلك القصص التي يرويها الشعراوي هي تعلق قلبه القاسي بغير الله تعالى من المخلوقين، وهذا من الكفر بالله تعالى ومن الشرك به؛ فالتعلق والرجاء يكون لله تعالى وحده أولاً وأخيراً.. أما الشعراوي فيجعل مع الله أنداداً يتعلق بهم قلبه القاسي فتأمل كيف أن الشياطين يوحون إليه في المنامات وهو كالأبله بدلاً من أن يستعيذ بالله من وسوستهم يتعلق قلبه بتلك الوساوس الشيطانية؛ فهذا الشعراوي جاءه الشيطان في المنام وأوحى إليه أن الحسين رضي الله عنه هو بابه في مصر، فصدق الشعراوي ذلك وعندما تحدث له أي نعمة بدلاً من أن يحمد ويشكر الشعراوي الله ولي النعم عليها يعتقد قلب الشعراوي في الحسين وأنه بابه وأن تلك النعم من مسائل وفضائل الحسين المتتالية عليه.. إن هذا الذي يقوله الشعراوي يخالف أبجديات التوحيد والإيمان ولا حول ولا قوة إلا بالله تعالى)

---

1) المصدر السابق ص 40.

وهكذا ينضم إلينا نـاس من النـاس.. وللأسـف يضـمون لبغضهم للشيخ بغضهم للحسين أيضـا.. لأن حب الحسـين هو الذي جر الشيخ إلى الكفـر والشـرك وقسـوة القلب.. حـتى أن اسـم الحسـين الممتلئ بالجلالـة صـار مرادفـا عندهم للات والعزى ومناة الثالثة الأخرى.

فإذا نفرت الناس من الحسين الذي كـان سـبب ضـلال الشعراوي وشركه انتقلنا بهم إلى السيدة الجليلـة خطيبـة آل بيت النبوة والمنافحة عنهم السـيدة زينت، وحكينـا لهم ما ذكره الشيخ عن ذكرياته معها، ومن ذلك أنه عندما كان طالباً في الشهادة العليا كان يسكن بجـوار ضـريح ومقـام السيدة زينب فحدث أن فاته امتحان الدور الأول لمرضـه، ثم فاته امتحان الدور الثاني، فحزن الشـعراوي لأنـه كـان مجتهـداً وقـال الشـعراوي: (وقلت للسـيدة زينب: إحنـا ساكنين جنبك.. وبنصلي عندك.. وفاتنا الامتحان في الدور الأول والدور الثـاني.. وضـاعت السـنة.. وخاصـمتها ! ولم أعد أصلي في مسجدها)

ثم يروي بعـد ذلـك أن أحـد أصـدقائه دعـاه لأن يصـالح السيدة زينب بأن دعـاه لحضـور مولـد السـيدة زينب عنـد قبرها، ثم عندما نـام في الليـل ظهـرت لـه السـيدة زينب وقالت له: (إنت زعلان مننا؟ إن كانت راحت منـك سـنة.. حنعوضها لك بخمسة..) ثم يقول الشعراوي بأنه أدرك سر تلـك الخمسـة عنـدما اشـتغل موظفـاً بـالأزهر بالدرجـة السادسـة، ففـوجئ الشـعراوي بترقيتـه من الدرجـة السادسة للخامسة بالاختيار وليس بالأقدمية فتـذكر قـول السيدة زينب له في المنام(1).

فإذا نفرت الناس من السيدة زينب معتبرين إياها كـأي

---

1) (الشعراوي يبوح بأسراره الروحية) ص63.

صنم من الأصنام التي كانت تعبد في الجاهلية انتقلنـا بهم إلى السيدة الجليلة عائشة بنت جعفـر الصـادق.. وحكمنـا بالشرك عليه بسبب بيت من الشيخ كـان الشـيخ والـزوار يذكرونه عندها، وهو:

بمقـام عائشـة المقاصـد أرخت سـل بنت جعفـر الوجيه الصادق

فإذن نفر النـاس من عائشـة، انتقلنـا بهم إلى السـيدة الجليلة نفيسة، وحكينا لهم ما ذكره الشيخ عنها من قصـة رجل اسمه (عفان بن سـليمان) تعـرض للظلم من جـانب حاكم مصر آنذاك ويسمى (تكين)، ثم يذكر الشـعراوي أن الرجل فكر في الهروب من مصر فـراراً من ظلم (تكين)، ولكن الرجل المظلوم توجه لرجل يسمى (الشـريف علي بن عبد الله) الذي أخذ عفانـاً وتوجـه بـه للقـبر المنسـوب للسيدة نفيسة.

و يقول الشـعراوي مـا نصـه (وقـرأ الـرجلان آيـات من القرآن.. وسألا اللـه عـز وجـل أن يجعـل ذلـك واصـلاً إلى السيدة نفيسة، وأن يفرج كـرب عفـان بن سـليمان الـذي تعرض لظلم الجبار تكين، وأخذتهما سنة من النوم.. ورأى الشريف السيدة نفيسة وهي تقول لـه: (خـذ عفـان معـك واذهب إلى تكين)، فقد قضـيت حاجتـه.. وتوجـه الشـريف ومعـه عفـان إلى تكين.. فاسـتقبلهما أحسـن اسـتقبال.. وقال إني رأيت السيدة نفيسة وهي تقول: أكرم الشريف عليـاً.. وارجـع عن عفـان.. واردد عليـه مالـه.. فإنـه قـد استجار بنا)(1)

وهكذا.. لا نزال نسير بمن يسمع لنا من ولي إلى ولي،

---

1) (الشعراوي يبوح بأسراره الروحية) ص 112.

ومن صالح إلى صالح.. فنضرب بذلك عصافير كثيرة.. العصفور الأول، والمقصود الأول هو الشيخ الشعراوي ذلك الذي أقض مضاجعنا، وملأ قلوب مشايخنا حقدا وحسدا إذ كيف تنصرف الأبصار إليه دونهم.

وأما العصافير الثانية، فهي تلك الأنوار التي شرف الله بها أرض مصر وحماها من الدجالين والبغاة والخارجين والناكثين والقاسطين.

بعد أن أنهى صاحبي حديثه، قلت: أبهذه الأدلة كان أصحابك يحكمون بالشرك على الشيخ الشعراوي؟

قال: كانوا ولا يزالون..

ثم ضحك، وقال: حتى أبناؤهم لم ينجو من هذه الأحكام، فقد ذكرنا في كتابنا ذلك ابنه عبد الرحيم، وزججناه في قفص الشرك مع أبيه.

قلت: لم؟

قال: لأنه ذكر والده، فقال: (وكان متعلقا بآل البيت لدرجة أنه أقام مطعماً فوق سطح العمارة لإطعام الفقراء والمحتاجين توددًاً وتقربا لأهل البيت.. وكان يقول بأن ضيوف الإمام الحسين ضيوفي، وعندما جئنا إلى قرب السيدة نفيسة خصصت له أرض هناك، وأنشأ مؤسسة مائدة الرحمن على مساحة ألفي متر)

وكنا نقول معلقين على هذا: انظروا إن (ابن الشعراوي لا يجد حرجاً في أن يتفاخر بوقوع أبيه في الكفر والشرك بالله تعالى.. إن عبد الرحيم الشعراوي يتفاخر بأن أباه محمد متولي الشعراوي يطعم الطعام للفقراء تودداً وتقرباً لآل البيت، ولم يقل هذا القاسي

القلب ابن هذا القاسي القلب أن الواجب أن يتم إطعام الفقراء توددا وتقربا لله وحده لا شريك له)

بعد أن قص علي صاحبي قصته مع الشيخ الشعراوي أخذ الأشرطة، ثم قبلها، وقال: في ذلك الحين.. وفي قرارة نفسي كنت أعلم أن تلك الأحكام الجائرة لم يكن لها إلا سبب واحد.

قلت: ما هو؟

قال: لقد كان لمشايخنا من الكبرياء والغرور ودعوى الألوهية ما جعلهم يعتبرون كل من يزاحمهم صنما من الأصنام.. فهم في قرارة نفوسهم يعتبرون أنفسهم آلهة.. ويعتبرون كل من لا يسمع لهم ولا يخضع لهم مشركا.. وقد كان من سوء عاقبة الشيخ أنه لم يكن ليحني رأسه لأمثالهم.. فمستواه العلمي.. ومرتبته الروحية.. وطهارة نفسه أرفع من تتنجس بالاستماع لأمثالهم أو الخضوع لهم.

قلت: ولكن كيف عرفت مستوى الشيخ العلمي ومرتبتة الروحية، وأنت لما تسمع أشرطته.

قال: ومن قال لك أني لم أسمعها.. لقد كنت أسمعها بيني وبين نفسي كل حين.. ولعل ما من الله به علي من التوبة والهداية يرجع في جزء منه لما كنت أسمعه منها.

قلت: ولكن أصحابك كانوا يحذرونك منها.

قال: وكانوا من غير أن يقصدوا يدعونني إلى استماعها.. فقد كان لي نفس تأبى الخضوع، فتقبل على ما تمنع منه، وتسرع إلى ما تنفر عنه.

أهل السنة.. والشرك

في اليـوم الثـامن من زيارتـه لي جلسـت مـع صـاحبي الوهابي التائب نتفـرج على شاشـة التلفزيـون، وكـان من حكمة الله أن أُبدلت بعض القنوات التي كنـا نتفـرج عليهـا بقناة أخرى جديدة، ويظهر من حلتها، وممن يتحـدث فيهـا أنها قناة وهابية بامتياز، وقد شد نظـري فيهـا عبـارة كتبت أعلى شاشتها تقول (الدم السني واحد)

فقلت لصاحبي متعجبا: ما معنى هذا؟ أنا أظن أن الدم واحد.. فكـل دم محـترم دم سـني أم غـير سـني.. بـل دم مسـلم أو غـير مسـلم.. فالإنسـان مهمـا كـانت ديانتـه ومعتقده محترم إلا إذا جلب لنفسه العقوبة، وهو في ذلك لا يختلف عن السـني أو غـير السـني، أو المسـلم أو غـير المسلم.. فالناس - كما قال الإمام علي- (إمـا أخ لـك في الدين أو نظير لك في الخلق)

ابتسم، وقال: أتعرف من هم أهل السنة؟

قلت: وكيـــف لا أعـــرف.. إنهم الأغلبيـــة المســـلمة المتواجـــدة في جميـــع بقـــاع الأرض، ولم يشـــذ عنهم إلا طوائف من المنحرفين.. وهم يكسبون بهذه الكثرة حرمة خاصة، بل إن من الفقهاء من يعتبر الكثرة دليل الصحة.

قـال: بغض النظـر عن صـحة الاسـتدلال بـالكثرة على الصحة.. فإن هؤلاء الذين علقـوا هـذا الشـعار لا يعتقـدون أن أهل السنة كثرة.. بل يعتقدون أنهم قلة، بـل يعتقـدون أنهم أقل من القليل.

قلت: ولكن هــذا الشــعار لم يرفعــوه إلا ليــبينوا أنهم الكثرة الكثيرة التي ينبغي أن تحترم ويخشى جنابها.

قال: في وجه من رفعوا هذا الشعار؟

قلت: لا أكتمك أنهم في هـذه الأيـام خصوصـا يرفعونـه في وجه الشيعة.. وفي وجه إيران وحزب اللـه خصوصـا.. بـل إنهم يبـدلون اسـم (اللـه) في الحـزب باسـم (اللات)، ولست أدري لم.

قال: فهم يتاجرون بهذا الشعار إذن؟

قلت: ما تعني؟

قـال: إن هـؤلاء تجـار مـاهرون.. بـل دهـاة محتـالون.. يخاطبون الناس كل حين بما يتناسب مع مصالحهم.. فـإن رأوا من المصـلحة أن يعتـبروهم سـنة جميعـا اعتـبروهم سـنة، وإن رأوا من المصـلحة أن يعتـبروهم مبتدعـة اعتبروهم مبتدعة.. إنهم يحاربون الأمة بعضها ببعض، فهم إن وقفوا ضد الشيعة اعتـبروا كـل من وجـد خـارج البقـاع الـتي يسـكنها الشـيعة سـنيا حـتى لـو كـانوا في قـرارة نفوسهم يعتقدون كفره وضلاله، بل حتى لـو اعتقـدوا أنـه أكفر من كل كافر، وأضل من كل ضال.

قلت: مـا تقـول.. إن هـذا نفـاق.. إن هـذه هي نفسـها السياسة الأمريكية التي قد تسـتعمل بعض أعـدائها.. فـإذا انتهت من استغلالهم رمتهم أو قامت بتصفيتهم.

قال: وهكذا هؤلاء.. إنهم الآن يصرخون في كـل محـل: استيقظوا أهل السنة قبل أن يكتسـحكم تيـار الـروافض.. ولكنهم إن خلوا إلى أنفسهم ضـحكوا ضـحكة سـخرية من كل أولئك الجموع.. لأن مرتبة أولئك الجموع لم تـرق بعـد إلى مرتبة أهل السنة، الـذين هم - في تصـورهم - شـعب الله المختار.. بل لم ترق بعد إلى مرتبة الإسلام نفسه.

قلت: أهم يحكمون عليهم بالكفر إذن؟

قال: بل يحكمون عليهم بأبشع الكفر.. يحكمون عليهم بالشرك الأكبر.. بل يعتقدون أن اليهود أفضل منهم.. بل هم لا يكتفون بتكفيرهم لوحدهم، بل يكفرونهم ويكفرون معهم آباءهم وذرياتهم.. بل قد يكفرون من يتوقف في تكفيرهم.

قلت: ما تقوله عجيب.

قال: ولكنه - للأسف - صحيح.

قلت: ولكنه مع ذلك يظل دعوى.. وأبناء الدعاوى التي لا يبرهن عليها أدعياء.

قال: ولدي بحمد الله البراهين.. وأتحدى بها جميعهم.

قلت: من أين لك بها؟

قال: ألم أكن واحدا منهم؟ لقد جلست معهم مجالس سرية، وقد بث لي فيها ما أبثه لك الآن.

قلت: فهلا أخبرتني عنها؟

قال: إن ذلك يحتاج وقتا طويلا.. لقد ظللنا سنين طولا في سجون الوهابية لا نلقن إلا الحقد.

قلت: فحدثني من ذلك عما يبرهن لي على ما ذكرت.

قال: سأحدثك عن مجلس من مجالس كنا نعقدها مع شخص يظهر على القناة التي تراها يقوم ويقعد كل حين، ويغضب ويضحك لسبب ولغير سبب، ويوزع الجنة والنار على من يشاء وكيف يشاء.

ابتسمت، وقلت: أتقصد ذلك المهرج الذي يقال له

(العرعور)؟

غضب، وقال: لا يحق لك أن تسميه بهذا الاسم.

طأطأت رأسي، وقلت معتذرا: أعتذر إليك.. لم أكن أقصد.. فقط كنت أحب السماع إليه لا لأستفيد منه، ولكن لأن حركاته تعجبني.

قال: أنا لم ألمك على إهانتك للعرعور، وإنما لمتك على إهانتك للمهرج.. فأين المهرج وأين العرعور.. المهرج يضحك الناس، ويملأ قلوبهم بالسرور، ويملأ حياتهم بالمرح.. بينما العرعور سفاح مجرم.. ليس له من دور إلا نشر الضغينة.. والتحريض على سفك الدماء، هو لا يملأ حياة الناس إلا ألما، وأرضهم إلا دماء.

قلت: صدقت.. والله نحن في زمن غريب صار المهرج فيه أفضل من العالم.. والممثل فيه أفضل من الإمام.. والمطرب فيه أفضل من الخطيب.

قال: إنه زمن الفتنة الذي تحدث عنه رسول الله ﷺ.

قلت: فهلا حدثتني عن المجلس الذي وعدتني به.

قال: في مجلس لنا مع (العرعور) طرح عليه بعضنا هذا السؤال: ما تقول يا شيخ في تلك الجماعات التي تسمى (الطرق الصوفية) إنهم يشكلون الكثرة الكاثرة من الأمة، فهل هم منا أهل السنة.. أو تراهم من أولئك الذين استحوذ عليهم الشيطان فأنساهم ذكر الله؟

غضب العرعور غضبا شديدا، ووبخ السائل توبيخا مرا، ثم وقف، وقال: ويل لك.. ثم ويل لك.. إن أولئك ضلال كفار مشركون..

كان السائل وقورا حليما، فلم يستفزه التوبيخ، بل راح يسأل - وكأنه لم يسمع أي توبيخ- قائلا: ولكن أولئك يا شيخ طوائف وفرق.. فهلا سمحت لي بأن أسألك عنهم واحدا واحدا.. فلعل بعضهم أقرب إلى السنة من بعض.

تصور العرعور أن السائل يجهل قدره العلمي، فقال: سل عما بدا لك.. فأنا موسوعة في فقه الطوائف.. وأستطيع أن أناظرهم جميعا، وأنتصر عليهم جميعا.. بل أنا مستعد لأن أعطي من جيبي الخاص عشرين مليون دولار لمن ينتصر علي.

قال السائل: إن منهم طائفة يقال لهم القادرية، وهم ينتسبون لشيخ يقال له (عبد القادر الجيلاني)، ولهم فروع كثيرة في العالم.. إنهم ينتشرون في الجزائر واليمن والصومال ومصر والهند والمغرب والسودان الغربي(1).. وغيرها كثير.. فهم بشر كثير.

قام العرعور غاضبا، وقال: ولو ملأوا الأرض جميعا.. فإن ذلك لا ينفي عنهم الضلالة.. إن شيخهم صاحب بدع كثيرة في الأوراد، والسماع، وصلوات الأيام والليالي.. أما أتباعه فشر منه، فقد ذهبوا إلى ما ذهب إليه الصوفية من الربط بين العقائد الكلامية والتصوف، كما نسبوا للشيخ كثيراً من الكرامات والأقوال التي فيها غلو كبير، والتي تصل إلى الشرك في توحيد الربوبية وفي توحيد العبادة، ونسبوا له قصائد شركية فيها دعوى الربوبية، ونسبوا إليه القول بالحقيقة المحمدية، ونسبوا إليه الورد المسمى (صلوات الكبريت الأحمر) وهو في الصلاة على النبي ﷺ، و(الباز الأشهب) و(القصيدة العينية)، وقد تضمنت عبارات تدل على وحدة الوجود.. ألا يكفي كل هذا ليخرجهم من

1) انظر: الموسوعة الصوفية د. عبدالمنعم الحنفي ص269.

الملة؟

جلس العرعور، فقال السائل: فما تقول في طائفة يقال لها (الشاذلية)، وهي تنتسب لشيخ يقال له أبو الحسن الشاذلي.. وهي من أكثر الطرق الصوفية انتشاراً، وأكثرها أتباعا[1]، وكثير من الأعلام المشهورين من المتأخرين ينسبون إليها[2].

قام العرعور، وقال: ويل له، وويل لهم جميعا.. لقد أخرجه أهل تونس، وكتبوا إلى أهل مصر إنه يقدم عليكم مغربي زنديق، وقد أخرجناه من بلدنا فاحذروه.. ولكن أهل مصر استقبلوه ورفعوا من شأنه حتى عم ضلاله الآفاق.. أما أتباعه فقد وقعوا في الشرك الأكبر.. فللشاذلية قبر يعبدونه من دون الله تعالى، ولهم أدعية يتوسلون فيها بغير الله تعالى، ومنهم ذلك الزنديق الذي يقال له عبد الوهاب الشعراني، وذلك الأفاك يوسف النبهاني اللذان صرحا بالشرك الأكبر في كتبهما.

ومنهم ذلك الذي يسمونه حكيما، ويحفظون حكمه كما يحفظ القرآن، ذلك الذي يقال له (ابن عطاء الله).. فقد جاء في الحكم ما يثبت قوله بوحدة الوجود، كما قال بالأنوار كثيرا، والتي ليست سوى الفلسفة الإشراقية.. فإياك ثم إياك أن تتوقف في كفرهم، وإلا ألحقتك بهم؟

جلس العرعور، فقال السائل: فما تقول في طائفة يقال لها (الرفاعية)، وهي تنسب لشيخ لها يقال له (أحمد الرفاعي)، وهم ينتشرون في العراق ومصر وسوريا

---

1) الطرق الصوفية وأثرها في نشر الإسلام د. حسين مؤنس ص22 ط/ الأولى 1320هـ الناشر مكتبة الثقافة الدينية بور سعيد مصر.

2) كجلال الدين السيوطي ت(911هـ) صاحب (الحقيقة العلية وتشييد الطريقة الشاذلية)

وغرب آسيا.. وغيرها من بقاع العالم.

قام العرعور غاضبا، وقال: ويل له.. وويل لهم.. لقد انتشر الشرك الأكبر عند الرفاعية مثل غيرهم من الصوفية.. ألم تسمع أبيات الصيادي الرفاعي التي يقول فيها:

بيتان حج العارفون إليهما بيت الرسول وشبله ببطاح

أعني به المولى الرفاعي الذي خلقت أنامله من الأرباح

وللصيادي كتاب (بوارق الحقائق) كله استعانة واستغاثة وتوجه للقبور وشرك جلي.. وعقيدتهم الظاهرة يتابعون فيها الأشعرية الضالين في تعريف التوحيد، ونفي العلو، وأن القرآن قديم وغير ذلك.. كما يتابعون الصوفية في الحقيقة المحمدية والنور المحمدي.. بل ذكر الرفاعي ما يشير إلى الحلول أو الوحدة.. بل وافق متأخروهم أهل وحدة الوجود، ودافعوا عنهم.

جلس العرعور، فقال السائل: فما تقول في طائفة يقال لها (النقشبندية)، وهي تنسب لشيخ لها يقال له (محمد بن بهاء الدين النقشبندي).. فإن لهؤلاء وجودا كثيرا في الصين وتركيا، وبعض بلدان آسيا الوسطى، والهند، وجاوه، وغيرها(1).

قام العرعور غاضبا، وقال: ويل له.. وويل لهم.. إن سلسلة هؤلاء تعود لأئمة الرافضة، وحسبهم بذلك ضلالا.. وهم فوق ذلك يصرحون بالشرك الأكبر في توحيد

---

1) انظر: الموسوعة الصوفية ص 270،393 - 394.

الربوبية والألوهية، وهم ممن يقولون بوحدة الوجود، وقـد كـثرت شـروحهم لكتب ابن عـربي وغـيره من القـائلين بوحدة الوجود.. فإياك أن تتوقف في تكفـيرهم وتضـليلهم وإلا حكمت عليك بحكمهم.

جلس العرعور، فقـال السـائل: فمـا تقـول في طائفـة يقال لها (الختمية)، وهي تنسب لشيخ لها يقال له (محمـد عثمـان بن الميرغـني المحجـوب)، ويلقبونـه ب (الختم)، وتنتشر في شرق إفريقيا وغربها ووسطها وشمالها.

قام العرعور غاضبا، وقال: ويل له.. وويل لهم.. فهؤلاء يتابعون ابن عربي ويعظمونه وأهل نحلته، ويقولون بوحدة الوجود، ويقولون بالشرك الأكبر، بـل زعمـوا أن شـيوخهم يغيثـون من يلتجئ بهم، ويزيلـون الكربـات، وأنهم وسـيلة النجاة.. وهم فوق ذلك كلـه يسـبون الصـحابة، ويتهمـونهم بكتم ولاية علي، بل يعتبرون أنفسهم امتـداداً لولايـة أهـل البيت، لـذلك يـدعون للتقـارب مـع الرافضـة، ومناصـرتهم والدعوة لهم.. فإياك ثم إياك أن تتوقف في شأنهم.

جلس العرعور، فقـال السـائل: فمـا تقـول في طائفـة يقـال لهـا (البكتاشـية)، وهي تنسـب لشـيخ لهـا يقـال له (بكتاش ولي)، وهي تنتشـر في تركيـا، وكردسـتان وآسـيا الصغرى، وفي ألبانيـا، وقـد كـانت موجـودة في مصـر في عهـد الخـديو إسـماعيل، بـل حظيت بعنايـة أسـرته، ولهـا ارتبـاط قـوي بالحركـة الوطنيـة في ألبانيـا، ولهـا أوقـاف شائعة في تركيا، ويذكر البـاحثون أنهـا في تزايـد مسـتمر في تركيا ومصر.

قام العرعور غاضبا، وقال: ويل لـه.. وويـل لهم.. ففي عقائد هؤلاء رائحـة الـروافض المنتنـة إنهم يغـالون في آل

البيت، خاصة جعفر الصادق، بل يضعون على رؤوسهم قلنسوات أسطوانية ذات 12 طيَّة، إشارة إلى الأئمة الاثني عشر، أئمة الرافضة.. وهم فوق ذلك ومعه أصحاب شرك أكبر في دعاء الأولياء، وتأليه علي بن أبي طالب، ويقولون بوحدة الأديان، ويقيمون الرقصات والأذكار الخاصة بهم، ويطلقون على حركاتهم في الرقص (الحضرة).. فإياك ثم إياك أن تحتار في أمرهم.

جلس العرعور، فقال السائل: فما تقول في طائفة يقال لها (التجانية)، وهي تنسب لشيخ لها يقال له (أبو العباس أحمد التجاني)، وهي تنتشر بكثرة في شمال أفريقيا وغربها، بل إن بعضهم يعد أتباعها بمئات الملايين.

قام العرعور غاضبا، وقال: ويل له.. وويل لهم.. إن هؤلاء شر الطوائف.. لقد كان لهم شيخ يقال له (أحمد سيكرج)يدرس (الفتوحات المكية) لابن عربي، و(الإنسان الكامل) للجيلي.. وهم فوق ذلك يعتقدون الشرك الأكبر في شيوخهم، فيحجون إلى فاس حيث قبر شيخهم قبل توجههم للحج إلى مكة، وهم يقولون بوحدة الوجود، ويقولون بالحقيقة المحمدية، والنور المحمدي.. فإياك إياك أن تتوقف في الحكم عليهم بالشرك الأكبر.

جلس العرعور، فقام السائل، وقال: ما أقل المسلمين إذن يا شيخ؟

صمت العرعور لفترة، ثم أطبق شفتيه، ثم راح يبكي بكاء حارا جعلنا نتأثر له، لكن السائل لم يتأثر، بل راح يسأله قائلا: أتبكي يا شيخ على قلة المسلمين؟ أم تبكي على أن هؤلاء يتوهمون أنفسهم مسلمين بينما هم غارقون في ضلالهم وكفرهم؟ ألا ترى أن نصرح لهم بما

هم فيه لعلهم ينزجرون عنه.

نظـر العرعـور إلى السـائل، وقـال: ويلـك.. ثم ويلـك.. إياكم أن يخرج هذا الكلام من بيننا، وخاصة هذه الأيام..

قال السائل: ولم هذه الأيام بالضبط؟

قــال العرعــور: نحن هــذه الأيــام نحشــد الملايين من الأغبياء لنضرب بهم الروافض.. فلذلك قولوا للجميع.. أنتم مسلمون.. بل أنتم أهل السنة.. بل أنتم من أهـل الجنـة.. مغفورة لكم ذنوبكم إن وقفتم ضد هذا التـنين الـذي يريـد أن يكتسح الأمة..

قال السائل: ألا ترى أننا نكذب عليهم بذلك؟

قــال العرعــور: الحــرب خدعــة.. فلنضــرب الظــالمين بالظالمين.. ونخرج نحن وحدنا من بينهم سالمين..

***

التفت صــاحبي إلي، وقــال: هــذا مجلس واحــد من المجالس التي كنا نعبأ فيهـا بأطنـان من الحقـد والضـغينة والصراع.

قلت: فما سر صاحبكم هذا الذي يسأل كثيرا؟

قال: لقد هداه الله فلم يكتف بما قال له العرعور.. بل ذهب إلى تلك الطوائـف جميعـا.. والحمـد للـه، فقـد كـان ذلك سببا من أسباب خروجـه من معتقـل الوهابيـة.. وقـد لقيته في فترة من الفترات قبل اهتـدائي، وكـان نـورا من أنوار هدايتي.

في اليوم التاسع من زيارته لي، خرجت مع صاحبي الوهابي إلى قريتنا الهادئة نتجول، ولست أدري كيف قدر الله أن يزورنا في ذلك اليوم رجل يزعم الناس له الولاية والصلاح، ولذلك كانوا بمجرد أن يسمعوا بحضوره يلتفون حوله، ويقدمون له ما تعودوا عليه من قرابين الولاء والمحبة.. وقد كان منها ما يقبله الذوق السليم، ومنها ما لا يقبله.

وقد خشيت على صاحبي أن يحدث له ما رآه من تلك القرابين ردة تعيده إلى السجون التي خرج منها، خاصة وأنه كان في قوم يعتقدون أن أي تعظيم لغير الله شرك أعظم يخرج صاحبه من الملة، ويخلده في جهنم.

لكني لم ألحظ على أسارير وجهه أي تغير، بل على العكس من ذلك، وجدته ينظر إليهم بحنان ومحبه، فسألته متعجبا: كيف لم تغضب لله في هذا الموقف؟

قال: وهل ترى في هذا محلا للغضب؟

قلت: أجل.. ألا تراهم كيف يعظمون غير الله؟

قال: بل أراهم في موقفهم هذا لا يعظمون إلا الله.. ولذلك تراني أحسدهم على هذه الفطرة النقية التي حرمني الوهابيون منها.

قلت: ماذا تقول؟.. أراني أخالفك في هذا.. فأصحابك، وإن أخطأوا في أشياء كثيرة، فقد أحسنوا في هذه.. فلا ينبغي أن يعظم غير الله.

قال: ألم تسأل نفسك لم يحترم هؤلاء هذا الرجل؟

قلت: إنهم يعتقدون فيه الولاية.

قال: وما معنى الولاية؟

قلت: هي في تصورهم تعني القرب من اللـه.. فهـؤلاء الجموع التي تراها تعتقد أن هـذا الرجـل أقـرب منهـا إلى الله، فلذلك تراها تتزلف إليه عساها تظفـر منـه ببركـة أو دعاء.

قال: ألا يدلك هذا على حب هؤلاء للقرب من الله؟

قلت: أجل.. ما داموا يحبون القـريب من اللـه بحسـب اعتقادهم، فهم يحبون القرب من الله.

قال: ألا ترى في هذا قمة الإيمان؟

قلت: ولكنهم يحبـون القـرب دون أن يسـعوا لتحصـيله بالطرق الصحيحة.

قال: وما يفعلونه هو طريق من هذه الطرق.. فمن ملأ قلبه بحب القـريب من اللـه، فلا شـك أن اللـه يقربـه.. ألا تعلم أن أعظم شعائر الدين حب أولياء الله؟

قلت: بلى.. صدقت في هـذا.. لكن مـا أدراهم أن هـذا ولي لله؟

قـال: لا يهم ذلـك.. فـالعبرة بالحقيقـة الـتي انطلقـوا منها.. لا بالواقع.. ألا تعـرف قولـه ﷺ: (إن اللـه يؤيـد هـذا الدين بالرجل الفاجر)(1)؟

قلت: بلى.. وقد فهمت قصدك.

1) رواه البخاري ومسلم، معنى يؤيد: ينصر، والرجل الفاجر يشمل من كان كافرا ومن كان فاسقاً، ولا يعارضه قوله ﷺ: إنا لا نستعين بمشرك لأنه محمول على من كان يظهر الكفر، أو هو منسوخ بما ثبت من الاستعانة بصفوان بن أمية في حنين، كذا قال ابن حجر في الفتح، وتابعه المناوي في الفيض.

بمجرد أن وصلنا إلى هذا الحديث أخذ الرجل يلقن الملتفين حوله بعض الصلوات على رسول الله ﷺ بطريقة إنشادية جميلة اهتزت لها الأرواح والأجساد، وقد حصل لصاحبي من الوجد ما لم أكن أتصوره فيه، وقد دعاني ذلك إلى سؤاله عن سره، فقال: لقد كنت طيلة فترة اعتقالي في سجون الوهابية لا أعرف (محمد بن عبد الله) بقدر ما كنت أعرف محمد بن عبد الوهاب.. لقد كان أول درس لقنوه لي هو (محمد بن عبد الوهاب)

في تلك الأيام ذهبت، وليس في قلبي إلا محمد رسول الله.. كنت أتحدث عنه كل حين.. فقد كانت حرارة أشواقي إليه لا تعدلها أي حرارة..

لكني بمجرد أن جلست إلى حلقة ذلك النجدي الذي قيل لي إن بيده مفاتيح الجنة، كما أن بيده مفاتيح النار بدأ (محمد بن عبد الله) ينزل من عرش قلبي ليحل بدله (محمد بن عبد الوهاب)

في بداية تلك الحلقة تذكرت في نفسي ذلك العصر المظلم الذي ولد فيه رسول الله ﷺ، والذي بلغ فيه فساد العقائد والعادات والأخلاق مبلغاً عظيماً.. فالأصنام كانت تعبد من دون الله في المسجد الحرام عند الكعبة وغيرها.. وكانت العرب قد انحطت إلى أسفل الدركات من الوثنية والعادات السافلة الرذيلة.

بمجرد أن حدثت نفسي بهذا نظر إلي النجدي بسخرية، وقال: وهكذا كان عصر محمد بن عبد الوهاب إن لم يكن أشد جاهلية منه، فقد كانوا في جاهلية مطلقة، كما كانوا غارقين في أودية الجهالة والرذيلة والوثنية المسبوكة في قالب حب الصالحين.

قلت في نفسي: لقد بعث الله محمد بن عبد اللـه بعـد فترة من الرسل، وكانت الإنسانية بما أصـابها في مقاتلهـا تنتظر وتتعطش إلى هذه البعثة الكريمة، لعلها تهتدي بعــد الضـلال البعيـد، وتنتقـل من فوضـى الأخلاق والطبـاع إلى نظام وطمأنينة وراحة.

قـاطع النجـدي حـديثي لنفسـي، وقـال وهـو ينظـر إلي بسخرية: لقد جاء محمد بن عبـد الوهـاب في وقت كـانت جزيـرة العـرب في أمس الحاجـة إلى مصـلح يعالجهـا من أمراضها القاتلة، وينقذها مما وقعت فيه ويأخــذ بيــدها من تلك الهـوة السـحيقة الـتي ارتطمت فيهـا، لكي تسـير في سبيل مستقيم، حيث تصفو العقائد، وتشفى العقول.

قلت في نفسي: لقد وفق الله نبينا محمد بن عبد اللــه في الدعوة إلى الله وتوحيده ونبذ الشرك وتهجينه.

نظر إلي ساخرا، وقال: وقد وفق الله أيضــا محمــد بن عبد الوهـاب في تجديـد الـدعوة الـتي بليت والسـير على المنهـاج الأقـوم الـذي اعـوج وجعلـه نقيـاً خالصـاً من كـل شائبة وباطل.

قلت في نفسي: لم يطب المقام لمحمد بن عبـد اللــه بمكة الـتي ولـد فيهـا بإيـذاء قـريش لـه، وتسـلطهم عليـه بالسوء والأذى حتى أجمعوا أخـيراً على قتلـه، فهـاجر إلى المدينـة، ووجـد من الأنصـار عونـاً وحبـاً ثم تبعـه صـحابته فانتقلوا إليها مستخفين، خشية من الأذى والفتك..

نظر إلي ساخرا، وقال: وكذلك محمد بن عبد الوهـاب، فقد تـآمر عليـه مماليـك بلـده الـذي ولـد فيـه على قتلـه، وتسوروا عليه الجدار، ولقي من أهلـه الأذى والتنكيـل، مـا جعل الإقامة به أمـراً مسـتحيلاً.. ففـر بدينـه وعقيدتـه إلى

الدرعية، ولقي فيها محبين كانوا عوناً له، وهناك استطاع أن يهنأ بالعبادة والدين، وانتقل مريدوه وأتباعه إليها هرباً بمعتقداتهم وأرواحهم.

قلت في نفسي: لقد حدث لمحمد بن عبد الله في طريقه للمدينة وهو مهاجر، أن تبعه سراقة بن مالك ،طمعاً في جعل قريش ولما أدرك النبي ﷺ ساخت قوائم فرسه في الأرض، فإذا هو في وثاق، لا يستطيع منه فكاكا، حتى يستنجد بالرسول فينطلق.

نظر إلي ساخرا، وقال: كذلك قد جرى للشيخ محمد بن عبد الوهاب، فقد وكل به أمير العيينة عثمان بن معمر عندما أمر بمغادرة الشيخ البلاد فارساً والشيخ كان راجلاً حافي القدم، حاسر الرأس، إلا من مروحة يتقي بها لظى القفر حتى إذا رام أن يقتله، واستل سيفه، إذا بيده القوية تتهالك ،فيسقط منها.

قلت في نفسي: كان محمد بن عبد الله يعرض نفسه على القبائل، ويستقبلها في المواسم والأسواق فينصره بعضها، ويخذله بعضها، ويهزأ به بعضها، وينالـه بعضها بما يكره، ولكنه صابر يقول في ابتسامته الحلوة الرائعة: (اللهم اهدي قومي فإنهم لا يعلمون)

نظر إلي ساخرا، وقال: وكان ابن عبد الوهاب يعرض نفسه على القبائل والبطون فمن ناصرة ومجيرة، إلى خاذلة وصادفة عنه، إلى قبائل لا تتورع عن إيذائه والكيد له كما كان يكيد له الكبراء والزعماء، فلا تلين له قناة.

قلت في نفسي: لقد تعرض محمد بن عبد الله إلى كثير من المخاطر.

نظر إلي ساخرا، وقال: وهكذا محمد بن عبد الوهاب.. لقد تعرض لكثير من الويلات والكوارث.. فكان يستدبر كارثة ليستقبل أخرى بنفس مطمئنة وقلب مفعم بالإيمان.

قلت في نفسي: كان محمد بن عبد الله يغزو بنفسه، ويزج بها في المعارك والميدان، وإذا احتدم القتال يقوي قلوب صحابته الكرام، ويعززهم ويذكرهم، ويدعو الله لهم.

نظر إلي ساخرا، وقال: وكان محمد بن عبد الوهاب، يغزو بنفسه مع محمد بن سعود، ولا يبخل بالرأي السديد وكان من أبرز رجال القيادة العليا حتى إذا اختلف في الرأي بينه وبين غيره، قدم رأيه لأنه يسير بهدي الله ونوره.

قلت في نفسي: لقد كان محمد بن عبد الله يرسل الرسل للملوك، يدعوهم إلى الهدى ودين التوحيد، ويرسل السرايا للغزو، إن أعلنوا الحرب على الدعوة.

نظر إلي ساخرا، وقال: وكان ابن عبد الوهاب يفعل ذلك.. بل أكثر من ذلك.

قلت في نفسي: ابتلى الرسول بأعداء أقوياء لدد في الخصومة، ينفسون عليه ويتهمونه بالسحر والكذب، حتى إن أقرب ذوي قرباه كانوا في حيرة من أمره وحتى إن عمه أبا لهب، كان لا يرضى عنه وخاصمه وسفه حلمه، ولم يألو جهداً في تأليب الناس عليه.

نظر إلي ساخرا، وقال: وقد ابتلى ابن عبد الوهاب أيضاً بخصوم أشداء، نصبوا له الحبائل. ورشقوه بالسهام،

ولكنها كانت تطيش وكان ينجو، بفضل الله، حتى أخوه سليمان كان عدواً لدوداً، طعنه طعنات وانظم إلى صفوف المناوئين لا يتورع عن شتمه ونقد آرائه ودعوته وطريقة نقداً لاذعا.

قلت في نفسي: لقد انتصر محمد بن عبد الله على أعدائه وخضعوا له وأصبحوا من خيرة أنصاره.

نظر إلي ساخرا، وقال: وكذلك انتصر المخلص الأواه محمد بن عبد الوهاب على مناوئيه وأتوا إليه معتذرين. فإذا به يعفوا كرماً، ويرتاح إليهم، ويصفح عنهم وإذا بهم يعودون إخوة وأنصاراً مخلصين.

بعد أن انتهى من حديثه، وبعد أن سدت علي نفسي، فلم أجد ما أقول لها، ولم تجد ما تقوله لي، سأله بعضنا عن الاستشفاع برسول الله لقضاء الحوائج، فغضب غضبا شديدا، وقال: من هذا الذي يستطيع أن يشفع لك.. أترى عصاي هذه.. (عصاي هذه خير من محمد، لأنها ينتفع بها في قتل الحية ونحوها، ومحمد قد مات ولم يبق فيه نفع أصلاً!!)[1]

---

1) نقل هذه المقولة الشيخ أحمد زيني دحلان مفتي مكة في أواخر السلطنة العثمانية حيث قال في الدرر السنية:1/42، في حديثه عن محمد بن عبد الوهاب: (حتى أن بعض أتباعه كان يقول:عصاي هذه خير من محمد، لأنها ينتفع بها في قتل الحية ونحوها، ومحمد قد مات ولم يبق فيه نفع أصلاً!!)

.

لا تذكروا (الله)

في اليوم العاشر من زيارته لي، كنا في البيت، وكان من عادة ابني في ليلة كل جمعة أن يحضر معه أصدقاءه وبعض زملائه في الدراسة إلى غرفة لنا في موضع هادئ من البيت اتخذناه قبلة ومسجدا..

وكان ابني ومن معه من الأصدقاء يعقدون هذا المجلس الأسبوعي لذكر الله، ويذكرون لي أن الله يفتح عليهم بهذا المجلس من العلوم والمعارف والأحوال ما لا يجدونه في جميع مدارس الدنيا، وأن الله يفتح عليهم فوق ذلك من الفهم في دراستهم ما لا تعوضه أي دروس أو برامج.

وكنت أقبل منهم ذلك، لأني أجد نتائجهم الدراسية جميعا طيبة، وأخلاقهم ممتلئة دماثة وسماحة وكرما ونبلا.. وفوق ذلك كنت أجدهم من أكثر الناس أدبا مع الله ومع رسوله، وأكثرهم تعظيما للشريعة واحتراما لها من غير تعصب ولا غلو ولا تطرف.

وكنت أنظر في المقابل إلى بعض زملائهم من المتدينين، فأجد قسوة وشدة وتعصبا تنفر منه النفس، ولا ينبئك إلا عن سطحية وجفاء لا يدلان على إيمان عميق، ولا أحوال راقية، ولا معارف سامية.

وكان هؤلاء الأصدقاء الذاكرون الذين كنت أفخر بأن ينتمي ابني إلى كوكبتهم يبدؤون مجلسهم ذلك بتلاوة القرآن الكريم، ويثنون بأذكار كثيرة، وكان من بينها، وهو خاتمة المجلس ولبه ذكر الاسم المفرد (الله الله).. كانوا يكثرون منه إلى أن يغيب أحدهم عن كل شيء.

وكنت أحترم حالهم في ذلك الحين، فلا أشــوش عليهم مجلسهم، ولا أنغص عليهم تلك الغيبة اللذيذة التي يغيبون فيها عن كل شيء ليحصلوا فيها على كل شيء.

لكني في ذلك اليوم خشيت أن يدب إلى سمع صاحبي الخـارج من سـجون الوهابيـة أصـوات أذكـارهم، فيـنزعج لذلك، وينكر عليهم ما يفعلونه.

لكن الأمر لم يكن كما يتوقع، فقد طلب مـني صـاحبي بمجرد أن سمع هجـيرهم بالـذكر أن يـذهب إليهم، ويـذكر معهم، فأذنت له، مع خشيتي أن يشوش عليهم مجلســهم بالإنكار والنقد.

ولكن الأمــر لم يكن كمــا اعتقــدت، فقــد جلس معهم بأدب، وذكر معهم بحرارة، وحصـل لـه مـا حصـل لهم من أحوال، وقد دعـاني هـذا بعـد انتهـاء المجلس إلى أن قلت له متعجبـا: لم أكن أتصـور أن الوهابيـة يقـرون مثـل هـذه المجالس!؟

قال: ومن ذكر لك أنهم يقرونها؟

قلت: لقــد رأيتــك الآن تجلس إليهم، وتفعــل كــل مــا يفعلونه، ولا أرى ذلك جديدا عليك.. وذلك لا يعـني إلا أنـك كنت تمارس مثله في عهدك السابق.

قال: صدقت في هذا.. ولكني لم أكن أفعله إلا بعــد أن بــدأت النفس تنفــر منهم، وتعلم حقيقــة حــالهم، وحقيقــة المصير الذي يريدون أن يوصلوني إليه.

لقــد كــانوا في مجالســهم الممتلئــة بالحقــد والضــغينة ينفروننا من الذكر، ومجالس الذكر بكل السـبل.. بـل إنهم كـانوا يصـورون لنـا بـأن الـذي يشـرب الخمـر، ويقـع في

الفاحشة، ويسرق ويختلس ويغتصب أكرم عند الله من ذلك الذي يجلس في الخلوة يعمر قلبه بذكر الله.. بل كانوا فوق ذلك يفتون بإباحة دماء الذاكرين، لا لشيء إلا لأنهم مرتدون..

هكذا كانوا يقولون لنا.. وهكذا كانوا يعبئون قلوبنا وعقولنا، فنمتلئ غلظة وقسوة وغرورا..

لكني في يوم من أيام الله العظيمة، مررت بمجلس من مجالس الذكر في بعض الزوايا، وكان كالمجلس الذي حضرته الآن في بيتك، وقد شعرت فيه بعد جلوسي إليهم بما يشعره الذاكر من الأحوال الإيمانية، ففرحت فرحا شديدة، ورحت من غير أن أعلم أبشر أصحابي بما رأيت، وما سمعت، وما حصل لي..

وكانت الطامة الكبرى.. فقد ذهب بي أصحابي إلى شيخ لنا طويل اللحية فارع القامة جهوري الصوت.. لا أحب أن أذكر لك اسمه.. فتبتلى بمن يؤذيك إن ذكرته، فإن له أصحابا قساة يديرهم كما يدير الخاتم في أصبعه.

دخلت عليه، وألقيت تحية الإسلام، فلم يرد علي بمثلها، ولا بخير منها، بل راح ينظر إلي بقسوة، ويقول: أنت الآن قد استحوذ عليك الشيطان، وأخرجك من الفرقة الناجية المعصومة إلى فرق الإلحاد والحلول والضلال.. ولا ينتظرك يوم القيامة إن سرت على هذا السبيل إلا نيران جهنم.

قلت: ما تقول يا شيخ؟.. أنا ابنكم البار، وتلميذكم المطيع.. ولست أرجو إلا أن أدخل معكم الجنة، وأنجو من النار.

قال بغضب: كيف تريد أن تدخل معنا الجنة، وأنت لم تعمل معنا عمل أهل الجنة؟.. أم كيف تريد أن تنجو من النار، وأنت تجلس إلى أهل النار؟

قلت: عذرا يا شيخ.. أنا لا أجلس إلا إليكم، ولا أأتمر إلا بأوامركم، ولا أنتهي إلا عما تنهوني عنه.

قال: وهل يجلس تلميذنا المطيع إلى المبتدعة الملاحدة الكفرة القبورية.. سكان جهنم ولظى وسعير وسقر؟

قلت: لا أذكر أني جلست مثل هذه المجالس.

قال: لقد جاءني الخبير بأنك مررت على بعض الزوايا من أصحاب الطرق الصوفية الضالة، وقعدت معهم تفعل ما يفعلونه، ولم تنكر عليهم ما هم فيه من ضلالة.

قلت: أجل.. ولكني لم أفعل معهم إلا ما رأيت مشروعيته.. ولم أر في سلوكهم ما يستدعي الإنكار.

رد علي بغضب: ليس هناك شيء مشروع يفعلونه.. كل أعمالهم أعمال ضلالة.. وكل أحوالهم أحوال مبتدعة.

قلت: لكنهم يذكرون الله؟

قال: وذكرهم لله بدعة.

قلت، وقد عادت إلي بعض الجرأة: عجبا.. كيف يصير ذكر الله بدعة؟

الذكر الجماعي:

قال: ألم تر أنهم يذكرون الله جماعة، وبصوت واحد؟

قلت: بلى.. ولعلهم في ذلك يستندون إلى ما ورد في

الحديث الذي رواه البخاري من أنه ﷺ قال: (يقول الله: أنا عند ظن عبدي بي وأنا معه إذا ذكرني فإن ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي وإن ذكرني في ملا ذكرته في ملا خير منه)، والذكر في الملأ لا يكون إلا عن جهر.

وإلى الحديث الذي رواه البزار، والحاكم في المستدرك وصححه عن جابر قال: خرج علينا النبي ﷺ فقال: (يا أيها الناس إن لله سراياً من الملائكة تحل وتقف على مجالس الذكر في الأرض فارتعوا في رياض الجنة)، قالوا: وأين رياض الجنة؟ قال: (مجالس الذكر فاغدوا وروحوا في ذكر الله)

وإلى الحديث الذي رواه مسلم والترمذي والنسائي من أنه ﷺ خرج على حلقة من أصحابه، فقال: (ما أجلسكم؟) قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنَّ به علينا....إلى أن قال: (أتاني جبريل فأخبرني أن الله يباهي بكم الملائكة)

وإلى الحديث الذي رواه أحمد من أنه ﷺ قال: (ما اجتمع قوم يذكرون الله إلا حفتهم الملائكة، وتغشتهم الرحمة، ونزلت عليهم السكينة، وذكرهم الله فيمن عنده)

ففي هذه الأحاديث جميعا ترغيب واضح منه ﷺ في الاجتماع على الذكر..

قال بغضب: أنت ذكرت الحديث.. ولكنك نسيت أن تذكر فهم السلف له.

قلت: الأحاديث واضحة.. ورسول الله ﷺ يخاطب الأمة بأجيالها جميعا لا جيل السلف وحده، بالإضافة إلى هذا فإن لغة الأحاديث واضحة، وليس فيها أي غريب يستدعي

تفسيرا من السلف أو الخلف..

قال: أنسيت أن منهجنا هـو الأخـذ من الكتـاب والسـنة بفهم السلف..

قلت: بلى.. لم أنس.. ولكن ذلك في الأمـور المشـكلة التي يقع فيها الخلاف، أو لم تـرد فيهـا النصـوص القطعيـة التي تعين المراد منها.

قال: وهذا من المشكلة.. فالسلف الـذين نسـتند إليهم في فهم الدين وتطبيقه لم يفعلـوا هـذا.. فقـد ورد سـؤال إلى هيئـة كبـار العلمـاء في المملكـة العربيـة السـعودية، يقول صاحبه: (لنـا جماعـة هم أصـحاب الطريقـة التجانيـة يجتمعون كل يوم جمعة ويوم الاثـنين ويـذكرون اللـه بهـذا الذكر (لا إله إلا الله)، ويقولـون في النهايـة (اللـه اللـه...) بصوت عال. فمـا حكم فعلهم هـذا؟)، وقـد أجـابت الهيئـة السلفية المـوقرة على هـذا السـؤال بعـد أن بينت ضـلال هـذه الطريقـة، والاجتمـاع على الـذكر بصـوت جمـاعي لا أصل له في الشرع، وهكذا الاجتماع بقـول: (اللـه اللـه...) أو: (هو هو...) والاجتماع بصوت واحد هذا لا أصل لـه، بـل هو من البدع المحدثة)[1]

قلت: هيئة كبار العلماء ولدت في القـرن الرابـع عشـر الهجري.. فكيف تكون من السلف؟

قال: السلف عندنا منهج لا زمان.. فكل من اسـتند إلى السلف فهو سلفي وقوله حجـة كـان في القـرن الأول، أو في القرن الآخر.

لم أشـأ أن أضـيف كلمـة واحـدة إلى مـا قالـه.. فقـد

1) (البدع وما لا أصل له) (ص 425)..

ذكرت لك أن لـه أصـحابا شـدادا غلاظـا، وقـد خشـيت إن تحولت معه إلى الحديث عن هذه الهيئة وما جنتـه فتاواهـا على الأمة أن يتحول حديث اللسـان إلى حـديث السـنان، ولـــذلك اصـــطنعت اللين، واســـتعملت التقيـــة، ورحت أستفسره عن باقي ما رأيت في ذلك المجلس المبارك.

الاسم المفرد:

قلت له: جزاك الله خيرا على ما أنرتـني بـه من علم.. فأكمل تنبيهك لي وتعليمك، فأنا تلميـذك المطيـع، وتابعـك المخلص.

ظهـر السـرور على وجهـه، وربت بيـده الغليظـة على كتفي، وقـال: هـذا عهـدنا بـك.. لقـد ذكـرت لـك بدعيـة المجلس بوقتـه وطريقتـه.. وسـأحدثك وأقنعـك ببدعيـة الصـيغ الـتي يـذكرونها.. أجبـني مـا كـانوا يقولـون في أذكارهم؟

قلت: صـيغ كثـيرة منـا الهيللـة والحمدلـة والحوقلـة.. وغيرها.

قـاطعني بسـخرية قـائلا: ومنهـا الاسـم المفـرد.. اللـه الله!؟

قلت: أجل.. ولعلهم يستندون في ذلك إلى مـا ورد في القرآن الكـريم من مثـل قولـه تعـالى: (وَاذْكُـرِ اسْـمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلاً) (المزمـل:8)، وقولـه: (وَاذْكُـرِ اسْـمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلاً) (الانسان:25)، وقوله: (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذْكَرَ فِيهَا اسْـمُهُ)(البقـرة: من الآية114)، وقوله: (فِي بُيُـوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَـعَ وَيُـذْكَرَ فِيهَـا اسْـمُهُ) (النور: من الآية36)، وقوله: (وَيَـذْكُرُوا اسْـمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ

مَعْلُومَاتٍ)(الحج: من الآية28)

وإلى ما ورد في الحديث الذي رواه مسلم أن رسول الله ﷺ قال: (لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: (الله الله)

قال: ألم يسمع هؤلاء الأغبياء بقول ابن القيم في طريق الهجرتين (ص498) من أن الاسم المفرد (لا يفيد شيئا، ولا هو كلام أصلا، ولا يدل على مدح ولا تعظيم، ولا يتعلق به إيمان ولا ثواب، ولا يدخل به الذاكر في عقد الإسلام جملة، فلو قال الكافر (الله الله) من أول عمره إلى آخره لم يصر بذلك مسلما فضلا عن أن يكون من جملة الذكر أو يكون أفضل الأذكار)؟

قلت: ولكني قرأت أن الكثير من العلماء يجيز ذلك، بل يستحبه.. فقد قرأت عن ابن رجب الحنبلي، وهو كما تعلم من أصحابنا أنه قال في جامع العلوم والحكم (1/446): (المحب اسم محبوبه لا يغيب عن قلبه، فلو كلف أن ينسي ذكره لما قدر، ولو كلف أن يكف عن ذكره بلسانه لما صبر، كيف ينسي المحب ذكر حبيب اسمه في فؤاده مكتوب، كان بلال كلما عذبه المشركون في الرمضاء على التوحيد يقول أحد أحد، فإذا قالوا له: قل واللات والعزى، قال، لا أحسنه

يراد من القلب نسيانكم   وتأبي الطباع على الناقل

وكلما قويت المعرفة صار الذكر يجري على لسان الذاكر من غير كلفة حتى كان بعضهم يجري على لسانه في منامه: (الله الله) ، ولهذا يلهم أهل الجنة التسبيح كما يلهمون النفس وتصير لا إله إلا الله لهم كالماء البارد لأهل الدنيا)

قال بغضب: دعك من ابن رجب.. فقد كان به لوثة من الصوفية.. ولذلك فإن أصحابنا لا يأخذون منه في هذا الباب..

قلت: وقد قرأت عن الرازي أنه قال في تفسيره (1/155): (أما قوله: (الله) فاعلموا أيها الناس أني أقول طول حياتي (الله) ، فإذا مت أقول (الله)، وإذا سئلت في القبر أقول (الله)، وإذا جئت يوم القيامة أقول (الله)، وأذا أخذت الكتاب أقول (الله) ، وإذا وزنت أعمالي أقول الله، وإذا جزت الصراط أقول (الله)، وإذا دخلت الجنة أقول (الله)، وإذا رأيت الله قلت (الله)

قال بغضب: وهل يستشهد عاقل بالرازي ذلك الذي أكله الفلاسفة والصوفية وكل فرق الضلال.

كنت أود أن أذكر له ما قال ابن عجيبة في شرحه على متن الآجرومية (ص15)، فقد قال: (فالاسم المفرد (الله) هو سلطان الأسماء، وهو اسم الله الأعظم، ولا يزال المريد يذكره بلسانه ويهتز به حتى يمتزج بلحمه ودمه، وتسري أنواره في كلياته وجزئياته... فينتقل الذكر إلى القلب ثم إلى الروح ثم إلى السر، فحينئذ يخرس اللسان ويصل إلى الشهود)

لكني علمت أنه لا ابن عجيبة يعجبه، ولا ما قاله يمكن أن يفهمه.. فلذلك تركت الجدل معه في هذا الموضوع، ورحت أطرق موضوعا آخر.

الوقوف والتمايل في الذكر:

قلت: صدقت في هذا..

قال: بورك فيك.. فما أعظم أدبك.. عد بنا إلى ما رأيته

منهم.

قلت: ذاك ما رأيت..

قال: ألم تر أنهم يقومون أحيانا في ذكرهم.. وأنهم قد يتمايلون، بل ويرقصون.

قلت: ذلك صحيح.. ولعلهم يفعلون ذلك طبعا لا شرعا.

قلت: ما تعني بذلك؟

قلت: لقد قرأت أن ابن القيم ذكر علاقة الحركة بالمحبة، فقال: (وكل حركة في العالم العلوي أو السفلي فأصلها المحبة..فلولا الحب ما دارت الأفلاك وتحركت الكواكب النيرات، ولا هبت الرياح المسخرات، ولا مرت السحب الحاملات، ولا تحركت الأجنة في بطون الأمهات، ولا انصدع عن الحب أنواع النبات، واضطربت أمواج البحار والزاخرات، ولا تحركت المدبرات والمقسمات ولا سبحت بحمد فاطرها الأرضون والسموات وما فيها من المخلوقات)[1]

ولعل هذا ما قصده أبو مدين عندما قال:

وقل للذي ينهى عن الوجد أهله ... إذالم تذق معنى شراب الهوى دعنا

إذا اهتزت الأرواح شوقاً إلى اللقا ... نعم ترقص الأشباح يا جاهل دعنا

أما تنظر الطير المقفّص يا ... إذا ذكر الأوطان حنّ إلى

1) الجواب الكافي: 201.

فـــــــــــــــتى المعـــــــــــــــنى

يفرج بالتغريـد مـا بفوائـده فتضـــطرب الأعضـــاء في الحس والمعـــــــــــنى

كــذلك أرواح المحــبين يــا فـــــــــــــــــتى تهزهـــا الأشـــواق للعـــالم الأســــــــــــــــنى

أنلزمهـــــا بالصـــــبر وهي مشـــــــــــــــــوقة وهــل يســتطيع الصــبرمن شـــــــاهد المعـــــــنى

فيـــا حـــادي العشـــاق قم واشـــــــــــد قائمـــــــــاً وزمـزم لنـا باسـم الحـبيب وروّحنا

نهض بغضب وقال: ما هذا الجنون؟.. أمجلســنا مجلس علم أم مجلس شــعر؟ حـــدثني عن أقـــوال الفقهـــاء لا الشعراء، وإلا أمرت من يخرجك من بين يدي.

أصابتني رعدة من تهديده، لكـني اسـتجمعت أنفاسـي، وقلت: لقـد رأيتهم يسـتندون في هـذا إلى إجـازة الفقهـاء المعـروفين.. فقـد سـئل السـيوطي عن (جماعـة صـوفية اجتمعوا في مجلس ذكر، ثم إن شخصاً من الجماعـة قـام في المجلس ذاكرا واستمر على ذلك الـوارد الـذي حصـل له. فهـل لـه ذلـك سـواء باختيـار أم لا؟ وهـل لأحـد منعـه وزجره من ذلك؟)

فأجاب على ذلك قـائلا: (لا إنكـار عليـه في ذلـك، وقـد

سُئل عن هذا السؤال بعينه شيخ الإسلام سراج الدين البلقيني، فأجاب بأنه لا إنكار عليه في ذلك، وليس لمانع التعدي يمنعه ويلزم المتعدي بذلك التعزير، وسُئل عنه العلامة برهان الدين الأنباسي فأجاب بمثل ذلك وزاد أن صاحب الحال مغلوب، والمنكر محروم، ما ذاق لذة التواجد ولا صفا له المشروب)، إلى أن قال في آخر جوابه: (وبالجملة فالسلامة في تسليم حال القوم، وأجاب أيضا بمثل ذلك بعض أئمة الحنفية والمالكية، كلهم كتبوا على هذا السؤال بالموافقة من غير مخالفة: أقول: وكيف ينكر الذكر قائما والقيام ذاكراً وقد قال الله: (الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم(آل عمران الآية191)

وذكر السنوسي في (نصرة الفقير) هذا فقال: (وقد تواتر النقل عن الصوفية قديماً وحديثاً، شرقاً وغرباً، أنهم كانوا يجتمعون لذكر الله عز و جل، ويقومون ويرقصون، ولم يبلغنا عن أحد من العلماء المعتبرين أنه أنكر عليهم. وقد رأيت بفاس بزاوية الصقليين جماعة يذكرون ويرقصون من صلاة العصر يوم الجمعة إلى المغرب، مع توفّر العلماء فلم ينكر أحد عليهم. وقد بلغني أن شيخنا شيخ الجماعة سيدي التاودي بن سودة كان يحضر معهم في بعض الأحيان)(1)

قال: وأين شيخ الإسلام ابن تيمية من كل هذا.. أنت ذكرت السيوطي وفلان وفلان.. ولكنك لم تذكر شيخ الإسلام.

قلت: ربما يكون لابن تيمية رأي مخالف.

1) (الفتوحات الإلهية شرح المباحث الأصلية ص (283-282).

قال: ابن تيمية هو شيخ الإسلام، وهو كـالنص القطعي، الـــذي لا تجـــوز مخالفتـــه، ولا نص مـــع اجتهـــاد.. بـــل إن المحققين من أصحابنا يقدمون كلامه على كلام الله وكلام رسوله، لا تحقيرا لكلام اللـه وكلام رسـوله، وإنمـا تحقـيرا لفهومهم بجانب فهمه قدس سره وعلا شأنه ورفـع ذكـره وشرح صدره.

قلت: فما قال في هذا؟

قال: لقد ذكر أنـه بدعـة.. واسـتدل أصـحابنا لهـذا بأنـه فعل اليهود، فقد روي في تفسير قولـه تعـالى: (وَإِذ نَتَقْنَـا الْجَبَــلَ فَــوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّواْ أَنَّهُ وَاقِــعٌ بِهِمْ خُــذُواْ مَــا آتَيْنَــاكُم بِقُــوَّةٍ وَاذْكُــرُواْ مَــا فِيــهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُــونَ (171)} [الأعراف]، أنه لما نشر موسـى عليـه وعلى نبينـا الصـلاه والسلام الألواح وفيها كتاب الله لم يبقى جل ولا شجر ولا حجر الا اهتز، فلذلك لا ترى يهوديـاً تُقـرأ عليـه التـواره إلا اهتز وانفض لهـا رأسـه، ثم سـرت هـذه العـاده الى بعض المسلمين.

ففى تفسير البحر المحيط لما ذكر هـذه الروايـة قـال: (وقد سارت هذه النزعه في بيـوت أولاد المسـلمين فيمـا رأيت بـديار مصـر تـراهم في المكتب اذا قـرءوا القـرآن يهتزون ويحركون رؤسهم، وإما أولادنا بالأندلس والمغرب فلو تحرك صغيراً عند قراءة القـرآن أدبـه مـؤدب المكتب وقال له: لا تتحرك فتتشبه بـاليهود في فعـالهم... فتتشـبه باليهود في الدراسه... فهذا تشبه باليهود)

لم أشأ أن أقول بـأن هـذا الـدليل الـذي أورده عليـه لا له.. وأنه وأن شيخه ابن تيمية الذي يستند إليه يذكر جـواز أخذ العقائد من كتب اليهـود.. وأن الروايـة ذكـرت أن كـل

شيء تحرك لا بني إسرائيل وحـدهم.. ولكـني خشـيت أن أفتح على نفسـي أبوابـا لا أسـتطيع سـدها، فـاكتفيت بـأن سلمت للشيخ أمره، وداريته ببعض الكلمات، وخرجت من عنده راضيا من الغنيمة بالإياب.

قلت: فهل انقطعت عن مجالس الذكر؟

قـال: كلا.. بـل زادني كلامـه فيهـا تشـبثا بهـا.. لكـني تحرزت.. فكنت أحتاط احتياطا شـديدا عنـد ذهـابي إليهـا، وقد أفادني ذلك كثيرا لأني كلما فعلت ذلك أتـذكر رسـول الله وما كان يحصل له ولأصـحابه من العنت والألم إن هم جهــروا بــذكر اللـــه.. وكنت أردد بيــني وبين نفســي في طريقي إلى تلك المجالس قول الشاعر الصالح:

أخاطر في محبتكم بروحي	وأركب بحـــركم أمـــا وأما
وأسلك كل فج في هــواكم	وأشـرب كأسـكم لـو كـان سـماً
ولا أصـــغى إلى من قـــد نهـــاني	ولي أذن عن العـذال صـما
أخـــاطر بـــالخواطر في هـــواكم	وأترك في رضاكم أبـا وأما

في اليــوم الحــادي عشــر من زيارتــه لي، حــدثت لي أحداث عجيبة، لست أدري هل كانت من باب الكرامة، أم من بــاب الاســتدراج، أم من أبــواب أخــرى.. المهم أني خرجت من عالم التاريخ والجغرافيا الـتي ولـدت فيهـا إلى تاريخ جديد، وجغرافيا جديد، لا أعـرف كيـف انتقلت إليهـا، ولا كيف رجعت منها، المهم أنه كان في صحبتي في هــذه الرحلة العجيبة صاحبي الوهابي، بل كان هو مرشدي فيها، وقائد العربة التي ركبناها لنصل إلى غابر الأزمان.

وقد كانت بدايـة هـذه الرحلـة أني دخلت على صـاحبي الوهابي في ذلك اليـوم، وأنـا أريـد أن أقـول لـه: نعم أنت خــرجت من سـجون الوهابيــة، ولكنـك دخلت في سـجون أعدائهم.. أولئك الذين لا هم لهم إلا مواجهتهم ورد كل مــا يقع من شرور إليهم.

وكنت أريــد أن أقــول لــه بكــل قــوة: أنت خــرجت من الغلو الذي يقع فيه الوهابيــة لتقــع في غلــو أبشــع وأنكى.. إنه ذلك الغلو الذي يقع فيه كل من ناصـبهم العـداء.. ومـا أكثر من ناصبهم العداء.

لكني بمجرد أن دخلت عليه، أصابني انبهــار لمــا رأيت، فقد رأيت البيت غير البيت، والأثـاث غـير الأثـاث، والحـال غير الحال.. ووجدت فوق ذلك مـع صـاحبي الوهـابي رجلا يكاد يشبه بعض من أرى من مشايخ الوهابية الكبار، وكأنه هو، ولولا أنه كان يرتدي ثيابـا عتيقـة كثيـاب الممثلين في الأفلام التاريخية، ويحمل فوق ذلـك سـيفا طـويلا، ويربـط في صحن بيتي فرسا، لقلت: إنه هو عينه.

بعـد أن دخلت وأصـابني من الانبهـار مـا أصـابني، قـام

صاحبي الوهابي إلي، ومسح على صدري، فأحسست بطمأنينة عجيبة، بل أحسست بأن ما أراه هو عين ما ينبغي أن أراه، بل إني أحسست بأن الله يريد بفضله وكرمه أن ينقلني من (علم اليقين) إلى (عين اليقين) لأبصر الحقيقة بجذورها وبجميع أبعادها، فليس الخبر كالعيان.

بعد أن اطمأنت نفسي، وعلمت أن ما أراه هو الحقيقة التي حجبها التاريخ والجغرافيا عن سمعي وبصري عاد إلي وعيي، وصرت أرى وأسمع كما أرى في عالمي وأسمع.

وكان أول ما عرفته هو أن ذلك الرجل الجالس مع صاحبي الوهابي رجل ولد قبل ألف وأربعمائة سنة، وأن اسمه هو (ذو الخويصرة التميمي)، وقد قدم لي نفسه بعنجهية وغرور قائلا: أنا حرقوص بن زُهير.. ذلك الذي يلقبوه ب (ذي الخويصرة التميمي).. ذلك الرجل الذي استطاع أن يخرق تلك البلادة وذلك الذل الذي كان يعيشه من كانوا يسمون أنفسهم (أصحاب محمد).. لقد رأيتهم لا يكادون يرفعون أصواتهم مع محمد مع أنه بشر كالبشر يأكل ويمشي في الأسواق، ويعتريه ما يعتري البشر من العلل والأمراض.

لقد سمعت قبل أن أحضر إليه وأواجهه بكل قوة أن رجلا من الأصحاب يقال له أبو أيوب الأنصاري ذلك الرجل الذي أوى إلى بيته محمد بعد أن وصل إلى المدينة، لقد حدثني المحدث عنه أنه قال: كان النبي ﷺ في سفل وكنت وأم أيوب في علو - يعني: في الشرفة العليا- قال: فما طابت نفسي فقلت: يا رسول الله! كن أنت في علو ونكون نحن في السفل، فقال له الرسول ﷺ: إنه أرفق

بنا وبمن يغشانا أن نكون في السفل، فكان أبو أيوب يسير على حافة حجرته لا يسير في الوسط، يقول: حتى لا أطأ بقدمي فوق رسول الله ﷺ، وقال: انكسر إناء ماء، فجئت بلحاف ليس لي ولا لأم أيوب غيره، فجعلنا ننشف الماء حتى لا يقع شيء منه على رسول الله ﷺ)(1)

وسمعت كذلك أنه لما كان يوم أحد حاص أهل المدينة حيصة، وقالوا: (قتل محمد)، حتى كثرت الصوارخ في ناحية المدينة، فخرجت امرأة من الأنصار متحزمة، فاستقبلت بابنها وأبيها وزوجها وأخيها، لا أدري أيهم استقبلت به أولا، فلما مرت على آخرهم، قالت: من هذا؟ قالوا: أبوك أخوك زوجك ابنك، فقالت: ما فعل رسول الله ﷺ، فقالوا: إنه أمامك، فلم ترض حتى دفعت إلى رسول الله ﷺ فأخذت بناحية ثوبه، ثم قالت: (بأبي أنت وأمي يا رسول الله لا أبالي إذ سلمت من عطب)(2)

وسمعت من بعضهم أن سافك دمي، ابن عم محمد، ذلك الذي لا أطيق أن أسميه سئل: كيف كان حبكم رسول الله ﷺ؟ فقال: (كان والله أحب إلينا من أموالنا وأولادنا و آبائنا وأمهاتنا ومن الماء البارد على الظمأ)

وحدثني آخر أن خبيبا لما وضع المشركون فيه السلاح وهو مصلوب نادوه وناشدوه: أتحب محمدا مكانك؟ فقال: (لا والله العظيم ما أحب أن يفديني بشوكة يشاكها في قدمه) (3)

وحدثني آخر عن أنس: (لقد رأيت رسول الله ﷺ

1) رواه أحمد والحاكم.

2) المعجم الكبير للطبراني.

3) المعجم الكبير.

والحلاق يحلقه، وقد أطاف به أصحابه، فما يريدون أن تقع شعره إلا في يد رجل)

وحدثني آخر عنه قال: دخل علينا النبيُّ ﷺ فقال عندنا فعَرِق، وجاءتْ أمِّي بقارورة، فجعلتْ تسلت العرقَ فيها، فاستيقظ النبيُّ ﷺ فقال: (يا أمَّ سليم، ما هذا الذي تصنعين؟!)، قالت: (هذا عرقك نجعله في طِيبنا، وهو مِن أطيب الطِّيب)(1)

وحدثني آخر عنه أنه ذكر حالَ أصحاب محمد عندَ القدوم إليه، وحرْصهم على عدمِ إيذائه، فقال: (كانت أبواب النبي ﷺ تُقرَع بالأظافير)(2)

وحدثني آخر عنه قال: (لما كان اليومُ الذي دخَل فيه رسولُ الله ﷺ المدينة أضاء منها كلُّ شيء، فلما كان اليوم الذي مات فيه أظْلم منها كلُّ شيء، ولما نفضْنا عن رسول الله ﷺ الأيدي، وإنا لفي دفْنه، حتى أنكرْنا قلوبنا) (3)

وحدثني آخر أن عروة بن مسعود حين وجهته قريش عام الحديبية إلى محمد، ورأى من تعظيم أصحابه له ما رأى، وأنه لا يتوضأ إلا ابتدروا وضوءه، وكادوا يقتتلون عليه، ولا يبصق بصاقاً إلا تلقوه بأكفهم فدلكوا به وجوههم وأجسادهم، ولا تسقط منه شعرة إلا ابتدروها، وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيماً له.. فلما رجع إلى قريش قال: (يا معشر قريش، إني جئت كسرى في ملكه، وقيصر في ملكه والنجاشي في ملكه، وإني والله ما رأيت ملكاً في

1) رواه مسلم.

2) رواه البخاري في الأدب المفرد.

3) رواه الترمذي.

قوم قط مثل محمد في أصحابه)

ولـذلك كـانوا من بلادتهم لا يعلقـون على مـا يقـول ولا يعقبـون على مـا يحكم بـه، وقـد حـدثني بعضـهم عن ابْنِ عَبَّاسٍ أنَّ رَسولَ اللَّهِ ﷺ رأَى خاتمًا مِن ذهَب في يدِ رجُـل فنَزَعه فطرَحه، وقـال: (يَعْمَـد أحـدُكم إلى جمـرة من نـار فيجعلها في يدِه)، فقيـل للرجـل بعـدَما ذهب رسـولُ اللـه ﷺ: (خذْ خاتمَك انتفع به)، قال: (لا واللهِ لا آخذه أبـدًا وقـد طرَحه رسولُ الله ﷺ)(1)

بـل إن هـذا التعظيم اسـتمر إلى مـا بعـد وفاتـه، فقـد حدثني بعضهم عن عـدوي اللـدود (عمـار بن ياسـر) قـال: رأيت عمار بن ياسر دعا غلاماً له بشراب، فأتاه بقـدح من لبن فشـربه ثم قـال: صـدق اللـه ورسـوله، اليـوم ألقى الأحبة محمـداً وحزبـه، إن رسـول اللـه ﷺ قـال: (إن آخـر شيء أزوده من الدنيا ضيحة لبن)(2)

بعد أن ذكر لي هـذا نظـر إلى حصـانه الواقـف بجانبـه، وقــال: لقــد رأيت من هــؤلاء وســمعت منهم مــا ملأني احتقارا لهم.. لقد صاروا في ناظري أذل من هذا الحصـان الـذي تـراه أمامـك.. ولـذلك واجهتـه بتلـك الكلمـة الـتي حفظها التاريخ.. والتي لا أزال أصـر عليهـا.. بـل أجـد لـذة كلما ذكرتهـا.. لعلهـا لا تقـل عن لـذة إبليس عنـدما رفض السجود لآدم..

نعم.. هكذا أنا.. لقد رفضـت السـجود لمحمـد.. ولـذلك واجهته.. أتدري ما قلت له؟

قلت: وماذا قلت له؟

---

1) رواه مسلم.

2 رواه الطبراني واسناده حسن

ضحك ضحكة عالية، وقال: لقد قلت له: (يا محمد اعدل فإنك لم تعدل)

بمجرد أن قال هذه الكلمة شعرت كأن الأرض تزلزل من تحت قدمي، ثم أبصرته والأرض تخسف به وبسيفه وفرسه، ثم ثارت زوبعة عظيمة لم أفطن بعدها إلا وأنا في بيتي الذي عاد إلى سابق عهده، وبجانبي صاحبي الوهابي ينظر إلي، ويبتسم، فقلت: ما الذي حصل؟ من كان معنا؟

قال، وهو يبستم: لقد ذكر لك اسمه وأصله وفصله.. فلم تسألني؟

قلت: ما الذي حصل لي؟.. هل كنت في يقظة أم في حلم؟

قال: بل كنت في يقظة.. وما رأيته هو ما ينبغي أن يراه كل المسلمون الذين استحوذ عليهم الشيطان، فعادوا إلى ذي الخويصرة يتتلمذون عليه، ويتربون على يديه، متناسين تحذير رسول الله ﷺ منه، ومن أبنائه وأحفاده؟

قلت: أتقصد أن الوهابية من أبنائه وأحفاده.. نعم لقد ذكر رسول الله ﷺ أنه (يخرج من ضئ ضئ هذ أقوام تحقرون صلاتكم عند صلاتهم وصيامكم عند صيامهم يمرقون من الإسلام كم يمرق السهم من المرية).. لكنهم ليسوا كلهم من بني تميم.. فقط شيخهم من بني تميم.. لكنه مع ذلك من بطن آخر فحرقوص بن زهير السعدي من بني سعد الذين يرجعون لبطن بني زيد بن مناة من تميم.. أما محمد بن عبد الوهاب فهو من آل مشرف ، وهم يرجعون لبني حنظلة الذين يتبعون بطن بني مالك

من تميم.

قــال: ذاك نســب الطين.. ونحن نتحــدث عن نســب الــروح.. نتحــدث عن النســب الــذي يختــاره الإنســان لا النسب الذي يفرض عليه.. فلا يحاسـب الإنسـان على مـا يفرض عليه.

قلت: فمـا الجـامع بين ذي الخويصـرة وهـؤلاء الخلـف الذين خلفوه؟

قال: سوء الأدب مع رسول الله ﷺ؟

قلت: ولكن خلف ذلـك السـلف يـذكرون أنهم يتـأدبون مع رسول الله ﷺ..

قــال: هم يتــأدبون معــه بشــرا لا رســولا.. ولــذلك هم يقولون له من حيث لا يشعرون (اعدل يا محمـد فإنـك لم تعدل)

قلت: لم أسمعهم يقولون هذا.

قال: بل يقولون ما هو أبشع منه؟

قلت: ما تقول؟

قــال: ألا تــراهم يحرمــون التوســل برســول اللــه ﷺ، ويقولون: إن المتوسل بغير اللـه مشـرك، مـع أن رسـول الله ﷺ علم الأعمى دعاءً ليتوسل فيه برسول الله ﷺ؟

ألا تـــراهم يحرمـــون التـــبرك بآثـــار رســـول اللـــه ﷺ ويعتبرونه شركا مع أن رسول الله ﷺ علم أصحابه التبرك بآثـاره..بشـعره.. وأظفـاره.. وثيابـه، كمـا فعـل في حجـة الجعرانـــة حيث حلـــق شـــعره وقســـمه بين الصـــحابة

للتبرك(1).. وكذلك لما قلم أظفاره ووزع قلامة أظفاره على الصحابة (2).

ألا تراهم يحرمون زيارة قبر النبي ﷺ، مع أن رسول الله ﷺ قال: (من زار قبري وجبت له شفاعتي)(3)؟

ألا تراهم يحرمون الاحتفال بالمولد النبوي الشريف مع أن المسلمين بعلمائهم وعوامهم منذ زمن بعيد يقيمون الاحتفالات في كل العالم الإسلامي، ولم يحرم ذلك عالم واحد معتبر؟

ألا تراهم يحرمون الصلاة على النبي ﷺ بعد الآذان جهراً، مع أن رسول الله ﷺ قال: (من ذكرني فليصلِ علي)(4)؟

ألم تعلم أنهم يتصورون أن الغضب يستفزه، فينطق في حال استفزازه بما لا ينطق به إلا الجهال وأهل الفحش من الدهماء؟

نهضت غضبا، وقلت: يستحيل أن يقول هذا مسلم؟

قال: بل هم يرددونه كل حين، ويستدلون لذلك بما وضعه بنو أمية من أحاديث تشوه عظمة النبوة.. لقد رووا يروون أنه دخل على رسول الله ﷺ رجلان فكلماه بشيء فأغضباه، فلعنهما وسبهما.. ثم لما رجع إلى وعيه بحسب تصورهم قال: (اللهم إنما أنا بشر فأي المسلمين لعنته أو

1) رواه البخاري.

2) رواه أحمد.

3) رواه الدارقطني.

4) رواه الحافظ السخاوي في كتابه القول البديع في الصلاة على النبي الشفيع وقال لا بأس بإسناده.

سببتة فاجعله له زكاة وأجرا) (1) مع أن الله تعالى يقول عن رسوله ﷺ: (ما ينطق عن الهوى)

ثم إنهم لسوء طالعهم يطبقون هذا الحديث على أولئك الطلقاء المجرمين ليصوروا أن رسول الله عندما دعا عليهم أراد الخير لهم.. لقد قال ابن كثير في ترجمة معاوية بن أبي سفيان: (وقد انتفع معاوية بهذه الدعوة في دنياه وأخراه.. أما في دنياه: فإنه لما صار إلى الشام أميراً، كان يأكل في اليوم سبع مرات يجاء بقصعة فيها لحم كثير وبصل فيأكل منها، ويأكل في اليوم سبع أكلات بلحم، ومن الحلوى والفاكهة شيئاً كثيراً، ويقول: والله ما أشبع وإنما أعيا، وهذه نعمة ومعدة يرغب فيها كل الملوك.. وأما في الآخرة: فقد أتبع مسلم هذا الحديث بالحديث الذي رواه البخاري وغيرهما من غير وجه عن جماعة من الصحابة.أن رسول الله ﷺ قال: (اللهم إنما أنا بشر فأيما عبد سببته أو جلدته أو دعوت عليه وليس لذلك أهلاً فاجعل ذلك كفارةً وقربة تقربه بها عندك يوم القيامة)

قلت: بلى.. أعلم ذلك..

قال: لولا أن تتهمني بالمسارعة في الأيمان لذكرت لك بأن تعظيمهم لمعاوية وإخوانهم من الطلقاء أعظم من تعظيمهم لرسول الله.. ولكن دعنا من ذلك الآن.. فله حديثه الخاص.

قلت: هلا ذكرت لي ما حصل بالضبط؟

قال: ألا تعرف أن لله من القدرة ما يقهر التاريخ والجغرافيا؟

1) رواه مسلم.

قلت: بلى.

قال: هذا من ذاك.

قلت: ولكن سنة الله جرت باحترام التاريخ والجغرافيا.

قال: وهذا من سننه..

قلت: كيف؟

قال: لن تفقه هذا حتى تفقه سر قوله تعالى: (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ)(النمل: من الآية40).. فهل ترى أن في أصحاب العلوم من أهل عصرك من يطيق أن يفعل ما فعل هذا الرجل؟

قلت: لا.

قال: فهل ذكر الله أن ما حصل له كان خارقا؟

قلت: لا.. بل ذكر أنه ممن أوتي علم الكتاب.

قال: فاصحب أهل الله لتعلم سر هذا العلم.. وحينها سترى العجائب.

قلت: أخاف أن أصحبهم، فأحجب عن رسول الله.

قال: أعظم حجاب عن رسول الله أن لا تصحبهم.. لأنك إن لم تصحبهم، فستصحب نفسك الأمارة بالسوء، أو ستصحب أولئك الذين أدخلوني في سجونهم.. أو ستصحب أي شيطان من الشياطين.. ليس هناك في العالم إلا صاحبان: أهل الله وحزبه.. أو أهل الشيطان وحزبه.. وأنت بالخيار بينهما.. ولن تحاسب إلا على اختيارك.

في اليــوم الثـاني عشــر من زيـارة صـاحبي الوهـابي، وقبل أن أمر عليه كما أمـر كـل صـباح، شـغلت حاسـوبي لأطل على بريدي الإلكتروني، فوجدت رسالة من شـخص لا أعرفـه يسـمي نفسـه باسـم غـريب هـو (البربهـاري)[1] يـدعوني فيهـا إلى الانضـمام إلى جماعتـه الـتي تريـد أن تحيي من أمر الأمة ما أماتته الأيام.

ويشهد الله أني مع ما أملكه من القوة والأنـاة ضـعفت أمـام تلـك الرسـالة، فقـد هـددني فيهـا بمـا لا طاقـة لي بمواجهته، بل لا طاقة لأحد بمواجهته، ثم ختمها بنفس مـا بدأها به قائلا: (إن لعنة الله وغضبه وعقابـه الشـديد يحـل على كل من قرأ هذه الرسـالة، ولم يرسـلها إلى كـل من يعرفــه من أصــدقائه أو غــيرهم، ومن قصــر في ذلــك أو تخاذل فيه أو سخر منـه أو اسـتهزأ بـه، فهـو كالمسـتهزئ بالقرآن سواء بسواء.. ومن استهزأ بـالقرآن فهـو في نـار جهنم خالدا مخلدا)

لم أجد ما أفعل أمام هـذا الموقـف المحـرج المـرعب، غير أن أسرع بالتخلص منها بإرسالها إلى كـل من أعـرف لأضمن أن لا يصيبني ذلك الوعيد الذي صـبه على كـل من فرط في رسـالته، لكـني مـا إن كتبت أول عنـوان أعرفـه حـتى لاحت لي صـورة صـاحبه، وهـو يتـألم ألمي ويحـزن حـزني، فكففت عنــه، لأكتب عنوانــا آخــر، فتــذكرت أنــه مريض ضعيف قد يقضي عليه ما أرسله، فأكون سـببا في قتله، فتركته إلى عنوان آخر، فتذكرت أنه صـاحبه ضـعيف

1) هو أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري المتوفي سنة 329 هـ. ذكره الإمام الذهبي في سير أعلام النبلاء، فقال: البربهاري: شيخ الحنابلة القدوة الامام، أبو محمد الحسن بن علي بن خلف البربهاري الفقيه. كان قوالا بالحق، داعية إلى الأثر، لا يخاف في الله لومة لائم..

الدين، وأن هذه الرسالة لن تقضي عليه هو وإنما تقضي على البقية الهزيلة التي يملكها من الدين.

بعد أن مررت على كل عنوان من العناوين التي أحتفظ بها لم أجد أحدا يصلح لهذه الرسالة، فطبعتها، ثم قلت في نفسي: إن أولى الناس بها هو صاحبي الوهابي، فلا شك أنها ستسعده، وأنه سيستبدل الوهابية بالبربهارية.

ذهبت إليه مسرعا، فوجدت بيتي قد عاد إلى التاريخ من جديد، وكل ما رأيته في اليوم السابق قد عاد، وعاد معه رجل كث اللحية، على وجهه ترتسم كل ألوان القسوة والشدة، وعلى رأسه قبعة حمراء كقبعة الأزهريين، ولكن الحمرة فيها أشبه بحمرة الدماء منها بحمرة الأزهار، وقد شبهته برجل لا يزال بيننا.. يظهر كثيرا في القنوات الفضائية.. قد زاد في الغباوة والحمق عن كل أقرانه ينطبق عليه تمام قوله تعالى: (وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَهِينٍ (10) هَمَّازٍ مَشَّاءٍ بِنَمِيمٍ (11) (سورة القلم)

بمجرد أن دخلت أمسكني من تلابيبي، وقال: لا شك أنك الشيطان، أو من إخوان الشياطين يا نجس يا خبيث يا معتوه.. أقسم بالله لأوقفنك عند حدك، أو لأضعنك مع آبائك وأمهاتك وأهل بلدك تحت نعلي الطاهرة هذه..

كان الرجل ينطق كما تنطق المدافع، ويقلقل كل الحروف لا يستثني منها أحدا.. وكان مع كل قلقلة يزرع ألغاما في صدري تضيف إلى الرعب الذي أصابني من الرسالة رعبا جديدا..

لم أملك إلا أن أسلم الرسالة إليه، وأنا مشدوه لا أعرف ما أقول..

فتح الرسـالة، وقرأهـا، ثم ربت على كـاتفي، وقـال: أحسـنت.. أحسـنت.. لم أكن أتصـور أنـك من جمـاعتي.. اغفرهـا لي.. وإلا فـإني أقسـم باللـه أن اللـه سيصـيبك بعذاب شديد دونه كل عذاب.

قلت مبادرا: غفرت لك.. غفرت لك..فلا تعذبني.

لكمني بشدة، وقال: أيها المشرك ماذا تقول؟ هـل أنـا إله حـتى أغفـر.. وهـل أنـا إلـه حـتى أعـذب.. لاشـك أنـك قبـوري.. فـالقبوريون وحـدهم من يجعلـون اللـه كخلقـه.. أقسـم باللـه إن كنت منهم فـإن دمـك حلال.. وزوجتـك طـالق.. ولن تحلم أبـدا بـأن تـدفن بعـد قتلـك في مقـابر المسلمين.. بل سترمى كما تـرمى الجيـف في المزابـل.. وفوق ذلك عذاب شديد يصب على كل جزء منك.

لم أدر ما أقـول، فقـد امتلأت رعبـا من مفـرق رأسـي إلى أخمص قدمي.. لكني تمالكت نفسـي، وقلت لهـا: مـا دامت مقتولا لا محالة.. ومعـذبا لا محالـة.. فعلام الـرعب، فلأمت رجلا خير من أن أموت كما تموت البهائم.

شجعتني هذه المقالـة فـدفعت الرجـل بكـل مـا أوتيت من قـوة، وقـد تعجبت إذ أني بمجـرد أن دفعتـه تلاشـى وتلاشى معه كل ما كان في بيتي من تاريخ وجغرافيا، بـل عاد بيتي إلى ما كـان عليـه، وعـاد معـه صـاحبي الوهـابي الذي نظر إلي مبتسما، وقال: هكذا ينبغي أن تـدفع هـؤلاء الحمقى والمغفلين.

قلت: لم أدفعه بقوة كبيرة.. فقد كنت ممتلئا بالضعف.

قال: لو أنك نفخت عليه لزال، ولو بصقت عليه لغرق.

قلت: أهو بهذا الضعف؟

قـال: أجـل.. هـو كالشـيطان.. نعم هـو مـرعب.. لكنـه ضعيف جدا تكفي الإرادة والعزيمة لقهره والتغلب عليه.

قلت: لكنه هددني بجهنم.

قال: ولو أنـك ركنت إليـه لجـرك إليهـا.. فلا تخلـف من جهنم التي يهدد بهـا فليسـت نـاره سـوى الجنـة، وليسـت جنته سوى النار.. ألا تعرف حديث الدجال؟

قلت: بلى.. فقـد ورد في بعض الروايـات إشـارة إلى هذا.

قال: فهكذا جنة هؤلاء ونارهم.. ألا تـرى أنهم يرسـلون الشباب الغر لينسف نفسه ويدمر الحيـاة ويعدونـه بالجنـة مقابل ذلك؟

قلت: بلى.. وللأسـف أرى شـبابا في عـز الشـباب يستسلمون لهم.

قال: لا يستسلم لهم إلا جبان لا يعرف ربه.. فاللـه هـو رب الجنة والنار.. هو رب الإسلام والكفـر.. وهـو رب كـل شـيء ومليكـه، وأعظم شـرك أن تخـاف من الخلـق إن هددوك بجهنم، فجهنم كالجنة لا يملكها إلا صاحبها سبحانه وتعالى.

قلت: لكأني بك تشير بهذا إلى شيء لم أفهمه.

قال: أشير إلى الوهابية.. وإلى البربهاري..

قاطعته قائلا: ذكرتني بالرسالة التي أرسلها إلي..

ابتسم، وقال: لقد تلاشت كما تلاشى.

قلت: من؟

قال: الرسالة ومرسلها.

قلت: لم أفهم.

قال: لقد وردت إلى بريدك الالكتروني رسالة تهديد من البربهاري، وجئت بها إلي، فلاقاك البربهاري نفسه، وملأك رعبا إلا أنك استطعت أن تتخلص منه.

قلت: إن ما تذكره عجيب.. فلم يطلع على تلك الرسالة غيري.. ثم هل كان البربهاري مرسل الرسالة هو من كنت أتحدث إليه؟

قال: أجل.. لقد كان خياله وروحه وحقيقته هي التي كنت تتحدث إليها، وكانت روحه التي تقمصها الوهابية هي من أرسلت لك الرسالة.. إن الرعب هو الوسيلة التي يستخدمها الوهابيون ليكثروا سوادهم.. إنهم بصكوك الغفران والحرمان التي يتصورون أنهم يملكونها يضمون كل يوم آلاف الأغرار المغفلين..

قلت: ومن هو البربهاري، ولم يتقمصه الوهابية؟

قال: البربهاري سلف من سلف الوهابية، ورمز من رموزهم، وشعار من شعاراتهم، واسم من أسمائهم، وسم من سمومهم.. إنه واحد في التاريخ لكنه آلاف في الجغرافيا.. إنه الآن في العراق يدمر وينسف الزوار والطيبين من المؤمنين.. وإنه الآن في مصر يتربع على المنصات يخطب ويتفاصح ويقلقل الحروف ليحول من سلام الإسلام رعبا ومن جماله دمامة، وإنه الآن في سورة يقوم بالعمليات ليقتل البراءة، ويقتل معها كل شيء..

قلت: أسألك عن تاريخ البربهاري لا عن جغرافيته..

فمن هو؟

أخذ كتابا كان بجانبه، ثم فتحه، وقال: سأقرأ لك نصين لتعرف من هو البربهاري، أما الأول، فقد ذكر ابن بطة أن بعض المحبين للبربهاري ممن يحضر مجلسه من العوام مر وهو سكران على بدعي، فقال البدعي: هؤلاء الحنبلية، فرجع إليه وقال: الحنبلية على ثلاثة أصناف: صنف زهاد يصومون ويصلون، وصنف يكتبون و يتفقهون، وصنف يصفعون كل مخالف مثلك وصفعه وأوجعه.

قلت: ما تعني بنقلك لهذا النص؟

قال: إن الوهابية تنقل هذا النص، وتفخر به، وتعتبره مكرمة من مكارم سلفها البربهاري.

قلت: وما فيه من الحرج؟

قال: ألا ترى من خلال النص كيف يعظم البربهاريون السكارى، وكيف يحترمون صفعاتهم، وكيف ينشرون الرعب الجسدي في المخالفين لهم؟

ثم انظر كيف لم يستطع هذا المحب للبربهاري أن يتخلص من خمره، بل فوق ذلك كيف يستعلي على المخالف، بل يصفعه.. وقد ذكر المؤرخون أنه كان للبربهاري مليشيات تنشر الرعب في المجتمع، وأن محمدا بن عبد الوهاب اقتدى به في صناعة مثل هذه المليشيات.

قلت: أجل.. النص واضح في الدلالة على ما ذكرت.. وما فعله معي في أول مقابلة لي به حصل لي منه بعض أثر تلك الصفعات.. فهات الثاني.

فتح كتيبا صغيرا كان يحمل عنـوان (شـرح السـنة)، ثم راح يقرأ: (وجميع ما وصفت لك في هذا الكتـاب فهـو عن اللـه تعـالى وعن رسـوله ﷺ وعن التـابعين وعن القـرن الثالث إلى القـرن الرابـع فـاتق اللـه يـا عبـد اللـه وعليـك بالتصـديق والتسـليم والتفـويض والرضـى بمـا في هـذا الكتاب ولا تكتم هذا الكتاب احدا من أهـل القبلـة فعسـى الله أن يرد به حيرانا من حيرته أو صاحب بدعة من بدعته أو ضالا عن ضلالته فينجو به فاتق الله وعليك بالأمر الأول العتيق وهو ما وصفت لك في هذا الكتاب فرحم الله عبدا ورحم والديه قرأ هـذا الكتـاب وبثـه وعمـل بـه ودعـا إليـه واحتج به فإنه دين الله ودين رسوله وأنه من استحل شيئا خلافا لما في هذا الكتاب فإنه ليس يـدين اللـه بـدين وقـد رده كله كما لو أن عبدا آمن بجميع ما قال الله عـز وجـل إلا أنه شك في حرف فقد جميع ما قال الله وهو كافر كما أن شهادة أن لا إله إلا الله لا تقبل من صـاحبها إلا بصـدق النية وخالص اليقين وكذلك لا يقبـل اللـه شـيئا من السـنة في تـرك بعض ومن خـالف ورد من السـنة شـيئا فقـد رد السـنة كلهـا فعليـك بـالقبول ودع المحـال واللجاجـة فإنـه ليس من دين الله في شـيء وزمانـك خاصـة زمـان سـوء فاتق الله)(1)

التفت إلي، وقـال: هـذا هـو دسـتور الوهابيـة وإنجيلهم وتلمودهم وقرآنهم.. وهو أول ما يملؤون به أتباعهم.

قلت: لقد ذكرني كلامه هذا بالرسالة التي وصلتني.

قال: إنـه منهج واحـد.. منهج يعتمـد الـرعب والتخويـف والإرهاب، ويسلط جميع أسلحة الدنيا والآخـرة في سـبيل ذلك.

1) البربهاري، شرح السنة، (ص: 47)

قلت: أيقنت بما تقول.. ومع ذلك فأصدقك أن في نفسي شيئا.

أعطاني الكتاب، وقال: أفهمك جيدا.. إنك تقول ربما يكون كلامه صحيحا، فلعله لم يضع في هذا الدستور الوهابي إلا المجمع عليه المعلوم من الدين بالضرورة.

قلت: بوركت فراستك.

قال: افتح أي صفحة من الكتاب، واقرأها علي..

فتحت صفحة، وقرأت قوله: (واعلم أن العلم ليس بكثرة الرواية والكتب ولكن العالم من اتبع الكتاب والسنة وإن كان قليل العلم والكتب ومن خالف الكتاب والسنة فهو صاحب بدعة وإن كان كثير الرواية والكتب)(1)

نظرت إليه، وقلت: كلام جميل.

قال: ولكن مقصده خبيث.. وبه اقتدت الوهابية في احتقار العلم وأهله.. إنهم يحتقرون العلم والبحث لأنه لا ينسفهم شيء مثلما ينسفهم البحث العلمي.. ولهذا تراهم يحذرون من العلم والعلماء خشية أن يطلع الناس على ما يكتمونه من الحقائق.

فتحت صفحة أخرى، فقرأت قوله: (وأقل من النظر في النجوم إلا بما تستعين به على مواقيت الصلاة واله عما سوى ذلك فإنه يدعو إلى الزندقة)(2)

قال: ألا ترى أن هذا النص مناقضا للنصوص القرآنية الكثيرة التي تأمر بالنظر في السموات والأرض؟

---

1) شرح السنة - البربهاري (ص: 45)

2) شرح السنة - البربهاري (ص: 48)

قلت: بلى.. فالله تعالى اعتبر الذين يتفكرون في السموات والأرض من أولي الألباب، قال تعالى: (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ (190) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (191)(آل عمران)، بل إن الله تعالى أمر بالنظر في السموات، فقال: (قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ (101) (يونس)، بل إنه عاتب الذين لا ينظرون، فقال: (أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (17) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (18) (الغاشية)

فتحت صفحة أخرى، فوجدت فيها قوله: (واعلم أنه ما عبد الله بمثل الخوف من الله وطريق الخوف والحذر والشفقات والحياء من الله تبارك وتعالى واحذر أن تجلس مع من يدعو إلى الشوق والمحبة ويخلو مع النساء وطريق المذهب فإن هؤلاء كلهم في ضلالة)(1)

قال: ألا ترى كيف يغلبون الخوف على الرجاء.. والرعب على المحبة.. لأنه برجاء الله ومحبته ينسفون ويزولون ويذوبون.. فالله الرحمن الرحيم الحنان المنان أكبر عدو لهم، لأنه عدو جهنم التي يتوعدون بها الناس؟

***

بقيت مع صاحبي الوهابي عشيتنا تلك مع الكتاب نقرؤه ونناقشه، وقد فهمت من خلاله سر تركيز الوهابية على الرعب.. فالرعب - عندهم- هو الأسلوب والوسيلة

1) (شرح السنة - البربهاري (ص: 48)

والهدف.. فلا يمكن أن يستعبدوا من يريدون استعباده من غير هذا المنهج الشيطاني.

في اليـوم الثـالث عشـر من زيـارة صـاحبي الوهـابي، ذهبت إلى المسجد الجامع لأداء صلاة الجمعة، معاهدا الله في طريقي إلى المسـجد أن لا أنشـغل عن الخطبـة بـأي شاغل، وأن أنفـذ كـل مـا فيهـا حرفـا حرفـا وكلمـة كلمـة لأتحقق في ذلك بما وصـف اللـه بـه المؤمـنين حين قـال: (الَّذِينَ يَسْـتَمِعُونَ الْقَـوْلَ فَيَتَّبِعُـونَ أَحْسَـنَهُ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ) (الزمر:18)

لكني بعـد أن طبقت المعاهـدة الأولى، فاسـتمعت إلى حروف الخطبة وكلماتها، ولم يفتني منهـا حـرف واحـد ولا كلمة واحـدة، احـترت في المعاهـدة الثانيـة إذ أن تنفيـذها يحتاج مني إلى جهد كبير، وإلى معاصي كثيرة، وإلى نفس ممتلئة حقدا، وقلب ممتلئ ضـغينة، ويـد يسـهل عليهـا أن تبطش بما تشـاء وكيـف تشـاء، وبطن يأكـل مـا هب ودب غــير مــراع حلا ولا حرمــة، ولم يكن من السـهل علي أن أحصل كل هذه الوسائل.

لقد بدأ الخطيب خطبته حول صحابة النبي ﷺ وفضلهم وضرورة الاقتداء بهم.. وكنت أصغي إلى ذلك متأثرا، وفي خيالي بلال وعمار وأبو ذر والمقداد وسـلمان وغـيرهم من الصادقين السـابقين الـذين تضـمخت الـدنيا بعطـر جمـال سـيرهم، وحسـن أخلاقهم، وعظيم تـدينهم، وعظم صحبتهم.

لكن الخطيب صاحب اللحية الطويلة والقميص القصير راح يفسـد مـا بـدأه، ويطبـق مواصـفات الجمـال على الدمامـة، ومواصـفات التـدين على النفـاق، ومواصـفات الصحبة الراقية على الصحبة المزيفة..

فبعد أن ملأ عقول الناس وقلوبهم بمحبة الصحابة، راح ينتقل من الجملة إلى التفصيل ليضرب المثال بمعاوية بن أبي سفيان.. واصفا له بأوصاف تنهد لها الجبال، ضامنا لـه الجنة، وضامنا لمن تكلم فيه العـذاب، بـل طالبـا من ولي الأمــر أن يســلط ســيف قهــره على من تكلم في خــال المؤمنين وكاتب الوحي وأول ملك في الإسـلام، وأول من ركب بحـر الـروم للغـزو، وأول من اتخـذ السـيف لتـأديب الناس بدلا عن العصى، وأول من جلس في خطبة منبريـة لترهل جسـمه وعجـزه عن القيـام طـويلا، وأول من أقـام على رأســه حرســا، وأول من قيــدت بين يديــه الجنــائب، وأول من اتخــذ الخصــيان، وأول من قتــل مســلما صــبراً، وأول من بلغ درجـات المنـبر خمس عشـرة مرقـاة، وأول من أخذ البيعة لابنه، وكان يقول أنا أول الملوك(1).

وهذا مـا جعلـني محتـارا في كيفيـة تقليـد معاويـة لأني أحتاج إلى محاربـة رجـل في طهـر علي وصـفائه وسـلامه وإيمانه.. وأحتاج أن يكون لي ابن كيزيد أعلمه كيف يرتــاد الحانـات ويلاعب القـردة.. وأحتـاج إلى أن أقــوم بـانقلاب على دولة العدل مستغلا أي قميص من القمصان.. وأحتاج أن يكون لي بطن كبطنه لآكل فلا أشبع، وأجمع فلا أمل..

كانت هذه الأشياء جميعا متطلبات أساسية لتقليـد هـذا الصحابي العظيم الذي نسي الناس بسببه بلالا وعمار وأبـا ذر والمقداد أولئك الذين أمر رسول الله ﷺ بحبهم.

ذهبت بــذلك الهم إلى بيــتي، لعلي أجــد عنــد صــاحبي الوهابي التائب ما ينفس عن كربي، لكـني مـا إن طـرقت الباب وفتح لي حتى فوجئت بأن الفاتح رجل بطين تنطبق

1) نرى الكثير من الخطباء البلهاء ينقلون هذه الأوليات ويعتبرونها من مناقبه غافلين عن المعاني التي تنطوي عليها.

عليـه جميـع أوصـاف معاويـة الـتي ملت أسـماعنا من سماعها.

سألته مستغربا: من أنت؟ وكيف دخلت بيتي؟

قهقه بصوت عال، وقال: منذ مـتى صـار بيتـك.. إن أي محل أكون فيه يصبح ملكا لي.. ألم تعلم أني ملك الإسلام الأول؟

قلت: ملـك الإسـلام الأول – كمـا ذكـر لنـا خطيب الجمعة- هو معاوية بن أبي سفيان.

غضب الرجل، وقال: أتقولها هكـذا حافيـة.. تـرض عنـه وعلى أبيـه وإلا جمعت عليـك أهـل حارتـك.. ألا تعلم أنـه صحابي جليل.. ألا تعلم أن الغبار الـذي أصـابه مـع محمـد أفضـل من جميـع الغبـار الـذي أصـاب أي مجاهـد في أي زمن؟

قلت: اعذرني فأنا لا أعتبر الترضي سنة ولا مشـروعا.. فنحن لم نؤمر به في كتـاب ولا سـنة.. وكـل مـا ورد فيـه اعتباره شعارا لدولة من الدول، وجماعـة من الجماعـات، وأنا لا تعنيني الشعارات ولا الجماعات..

غضب، وقال: أنت من أتباع أبي تراب إذن؟

قلت: ومن أبو تراب؟

قال: ذلك الرجل الذي لم يهنأ لي بـال حـتى ووري في الثرى.. لقد كـان كابوسـا ثقيلا جثم على حيـاتي فـترة من الـزمن إلى أن قيض اللـه بعض الأغبيـاء لينـوب عـني في قتله.

قلت: من أنت؟ وما علاقتك بعلي؟

قال: أنا عدو علي الأول.. أنا أول ملك في الإسلام.. أنا معاوية.

قلت: مـا أكـذبك من رجـل.. إن معاويـة أكلـه تـراب الأرض منذ زمن طويل.

قال: وقد أحياني قومك.. إنهم يصـرخون في كـل حين بمناقبي.. وقد جعلوني رمزا للإسلام، وناطقا باسمه.. فأنا الآن هو الإسلام.. فمن تعرض لي تعرض للإسلام نفسه.

نعم إن محمدا أوحى الله إليه بالإسلام.. ولكني بعد أن تـدبرت فيمـا أوحي إليـه وجـدت أن الحيـاة لا يمكن أن تسـتقيم معـه.. فلـذلك وضـعت إسـلاما جديـدا.. إسـلاما يسـتطيع أن يجمـع بين العقـل والقلب والنفس وكـل الطاقات.. يستطيع أن يجعلك ثريا في منتهى الثراء تكتـنز لحما وشحما، ولو مـات غـيرك جوعـا وفقـرا.. ألا تعلم مـا حصل بيني وبين أبي ذر؟

قلت: أعلم ذلك.. وقد نفي أبو ذر بسـببك إلى صـحراء الربذة ليموت شهيدا فيها.

ابتسم، وقـال: لا يهمـني أن يكـون قـد مـات شـهيدا أو مات جيفة.. المهم عندي أن قومك نسوا أبا ذر وذكـروني، ومقتوا أبا ذر ومجدوني.. هل رأيت أحدا من الناس يعـرف أبا ذر؟

لم أجد ما أقول، فأبو ذر ذلـك الـذي قـال فيـه رسـول اللـه ﷺ: (مـاأقلت الغـبراء، ولا أظلت الخضـراء.. أصـدق لهجة من أبي ذر)[1]، وقـال: (إن اللـه أمـرني بحب أربعـة وأخبرني أنه يحبهم، قيل: يا رسول اللـه سـمهم لنـا قـال:

1) رواه أحمد.

علي منهم (يقـول ذلـك ثلاثـا) وأبـو ذر والمقـداد وسـلمان أمرني بحبهم وأخبرني أنه يحبهم)(1) لا يكاد يعرفه أحد..

قهقه معاوية في وجهي، وهو يقول: لا يعرفونـه فقـط، بل إنهم يسبونه أيضا.. ألا تـرى أنهم يعتبرونـه تلميـذا غبيـا لذلك الذي يسمونه ابن السوداء؟

قلت: بلى.. أراهم يـــذكرون أن ابن الســـوداء أو من يطلقون عليه (عبـد اللـه بن سـبأ) لقي أبـا ذر في الشـام وأوحى إليه بمـذهب القناعـة والزهـد، ومواسـاة الفقـراء، ووجـوب إنفـاق المـال الزائـد عن الحاجـة، وجعلـه يعيب معاوية، فأخذه عبادة بن الصامت إلى معاويـة، وقـال لـه: هذا والله الذي بعث إليك أبا ذر فأخرج معاويـة أبـا ذر من الشام(2).

بـل حـاول أحمـد أمين أن يوجـد شـبها بين رأي أبي ذر ورأي مزدك الفارسي، وقال بأن وجـه الشـبه جـاء من أن ابن سبأ كان في اليمن، وطَوَّف في العراق، وكان الفرس في اليمن والعراق قبـل الإسـلام، فمن المحتمـل القـريب أن يكـون قـد تلقى هـذه الفكـرة من مزدكيـة العـراق، واعتنقها أبو ذر حسن النية في اعتقادها(3).

قهقه بصـوت عـال، وقـال: حـتى أحمـد أمين اسـتطاع أبنـائي الوهابيـة أن يجـروه إلى صـفوفهم.. ألا تـرى مبلـغ قوتي؟

قلت: بلى.. لقـد اسـتطعت أن تنسـي النـاس كبـار السابقين لتحل بدلهم.

1) رواه الترمذي.

2) فجر الإسلام، ص216.

3) فجر الإسلام، ص110.

قال: ليس ذلك فقط.. لقد استطعت فوق ذلك أن أضع بدلهم قوما آخرين ممتلئين قسوة وغلظة وجفاء، لأقول للعالم عبر أبنائي البررة من الوهابية إن هؤلاء هم تلاميذ محمد وأصحابه.. هل تعرف بسر بن أرطأة؟

قلت: أسمع باسمه كثيرا على المنابر.. وهم يترضون عليه صباح مساء، ويلعنون أعداءه صباح مساء مع أن المحدثين والمؤرخين يذكرون عنه ما تنهد له الجبال، فقد قال فيه الشوكاني: (ولا يرتاب منصف أن الرجل ليس بأهل للرواية، وقد فعل في الاسلام أفاعيل لا تصدر عمن في قلبه مثقال حبة من إيمان، كما تضمنت ذلك كتب التاريخ المعتبرة)(1)

وقال فيه الطبراني: (فلما ملك معاوية بعث رجلا من قريش يقال له بسر بن أرطأة وقال له لقد ضممت إليك الناحية فأخرج بجيشك فإذا خلفت أفواه الشام فضع سيفك فاقتل من أبى بيعتي حتى تصير إلى المدينة ثم ادخل المدينة فاقتل من أبى بيعتي ثم اخرج إلى حضرموت فاقتل من أبى بيعتي)(2).

وقال فيه القرطبي: (يسر هذا ولد في زمن النبي ﷺ، وكانت له أخبار سوء في جانب علي وأصحابه، وهو الذي ذبح طفلين لعبيد الله بن العباس ففقدت أمهما عقلها فهامت على وجهها، فدعا عليه علي رضي الله عنه أن يطيل الله عمره ويذهب عقله، فكان كذلك. قال يحيى ابن معين: كان بسر بن أرطأة رجل سوء) (3)

---

1) نيل الأوطار للشوكاني ج7 ص313.

2) المعجم الكبير للطبراني ج22 ص48.

3) تفسير القرطبي ج6 ص171.

ابتسم، وقال: لا يهمني ما يقوله هـؤلاء.. يهمـني فقـط ما يقوله الوهابية المعاصرون لكم.. إنهم يعتبرونه صـحابيا جليلا.. وهذا يكفي لأن يهيلوا عليه من القداسة مـا يجعلـه قدوة لكل إرهابي سفاح ظالم..

لقد كان بسـر من تلاميـذي الأوفيـاء.. وقـد استنسـخت منه في عصركم الكثير.. كل الـذي تـراهم يمتلئـون حقـدا وإرهابا هم نسخ من ذلك الصحابي الجليل الوفي بسـر بن أرطأة.. لقد كان شخصية دموية لم ترحم شيخا ولا امـرأة ولا طفلا.

قلت: للأسف أسمع الكثـير يـذكره بخـير.. ويعتـبره من أصحاب محمد ﷺ وتلاميذه الأوفياء.

قال: وهكذا استطعت أن أحول محمد إلى أستاذ عريق للإرهاب.. فمن تخرج على يديه مثـل بسـر لا يمكن إلا أن يكون إرهابيا.

قلت: فقـد كـان قصـدك إذن من كـل هـذا أن تشـوه محمدا ﷺ؟

قال: هذه هي غايتي الكبرى.. لقد أثمرت الأحقاد الـتي غرسها أبي وأمي في قلبي كل تلك المكايـد الـتي حـولت بهـا الإسـلام من دين اللـه إلى دين البشـر.. ومن دين السـلام إلى دين الإرهـاب.. ومن دين محمـد إلى دين معاوية وابن تيمية وابن عبد الوهاب وابن بـاز والقرضـاوي والعرعور..

قلت: ومـا أدراك بهـؤلاء.. وقـد ولـدت في زمن غـير زمنهم؟

قـال: إنهم أبنـائي الـبررة، وتلاميـذي الأوفيـاء.. لقـد

استطعت بدهائي ومكري أن أتـدخل في الفقـه والتفسـير والحديث وكل مصادر الإسلام لأوجهها بحسب ما أرى..

قلت: لم أفهم.. فأنا أراك ملكا، ولا أراك عالما.

قـال: نعم أنـا لسـت عالمـا.. ولكـني حـددت للعلمـاء المناهج التي يأخذون منها والرجال الـذين يأخـذون عنهم.. أنـــا الـــذي أذنت للتجســـيم والتشـــبيه والإســـرائيليات والخرافــات والأســاطير أن تقتحم الســنة، ويفســر على أساسها القرآن..

أنـا الـذي أذنت لعقائـد الجـبر والتسـلط والاسـتبداد أن تدخل في أذهـان المسـلمين لتصـور لهم ربهم في صـورة الجبار القهار الذي يتلذذ بتعذيب عباده.

أنا الذي صـورت محمـدا بتلـك الصـور المشـوهة الـتي يتناقلهــا محــدثوكم، وعنهم يأخــذها المستشــرقون والمستغربون والملحدون ليرسموا الرسوم الكاريكاتورية، ويخرجوا الأفلام المسيئة، ويكتبوا الآيات الشيطانية..

أنا خلف كل ذلك.. أنا معاوية.

لست أدري كيـف امتلأت غضـبا وحقـدا وصـحت: ويـل لك.. ويل لك..

ثم مددت يـدي بقـوة لأبطش بـه.. فلم أجـد شـيئا، بـل وجدتني في بيـتي، وأمـام صـاحبي الوهـابي التـائب، وهـو يبتسـم، وهـو يقـول: هـل أدركت السـر الـذي من أجلـه يحرص الوهابية على معاويـة.. إنـه أبـوهم وأسـتاذهم.. ولا يمكن للأحقاد والضغائن والنفوس المريضة أن تجد راحتها إلا في صحبته.

قلت: لم غفلوا عن عمـار وبلال وأبي أيـوب وغـيرهم.. ولم يظهر لهم إلا معاوية؟

قال: لأن أولئـك الأصـحاب الأتقيـاء الأنقيـاء الطـاهرين تكلف صحبتهم الكثير.. بينما لا تكلف صحبة معاوية وبسـر بن أرطأة والمغيرة بن شـعبة شـيئا، بـل إنهـا تنسـجم مـع النفوس المريضة انسجاما تاما.

قلت: لم أفهم.

قال: ألا تعرف أن الطيور على أشكالها تقع؟

قلت: أجل..

قال: فقس ذلك على التاريخ والجغرافيا والواقع لتتضح لـك الحقـائق.. ففي كـل عصـر تعـود صـفين ويعـود معهـا معاوية وأصحابه وعلي وأصحابه ليختار كـل امـرئ مـا هـو أميل إلى نفسه ليميز الله الخبيث من الطيب.

في اليـوم الرابـع عشـر من زيارتـه لي دخلت عليـه، فوجدته جاثيا على قدميه، منهمكا يقرأ بشغف كتـاب (نهج البلاغة) للإمام علي بن أبي طالب، وكـانت نسـخة قديمـة مخطوطة كنت أحتفظ بها في مكتبتي، ولست أدري كيف جذبت انتباهه من بين الكتب جميعـا مـع كـون أكثرهـا من الجديد الفاخر.

لم أشأ أن أقطع عليه خلوته مـع الإمـام علي.. فلـذلك سرت منصرفا من غير أن أنبس ببنت شـفة، لكنـه التفت لي، وناداني، فقدمت إليه، فرأيت الدموع تنهمر من عينيه بشـدة، ثم أخـذ ينتحب، متوجهـا إلى الكتـاب مخاطبـا لـه، وكأنه يخاطب الإمام علي نفسـه، وكـان من قولـه لـه: يـا إمـام.. اعـذرني، فقـد كنت من قـوم يناصـبوك العـداء.. اعذرني، فقـد نسـيت في غمـرة جهـالتي مـا توعـد بـه ﷺ المعـادين لـك، فقـد حـدثت، وأنت الصـادق المصـدوق، فقلت: (عهـد إلي النـبي ﷺ (أنـه لا يحبـك إلا مـؤمن، ولا يبغضك إلا منافق)[1]

اعـذرني.. فقـد سـللت سـيوف بغضـي عليـك.. ونفثت سموم حقدي عليك.. وصببت جام ضغائني عليك.

قال ذلك، ثم أخذ ينتحب بشدة، فأسرعت إليه، وقد أثر في حاله تأثيرا شديدا، وقلت مهونا عليه: رويدك يـا أخي.. فلا أظنك إلا تـرمي نفسـك بالأباطيـل.. ألم تكن من قـوم يعتبرون عليـا من المبشـرين بالجنـة؟.. ألم تكن من قـوم يعتبرونه من الخلفاء الراشدين؟.. ألم تكن من قوم..

1) وفي رواية: والذي فلق الحبة، وبرأ النسمة، إنه لعهد النبي الأمي صلى الله عليه وآله وسلم إلي: أن لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق، أخرجه الحميدي (58) وأحمد 1/84(642) ومسلم 1/60(152) والنسائي 8/115 وغيرهم.

قاطعني، وقال: دعك من تلك الأراجيف التي كنا نكذب بها على أنفسنا.. لقد كنا في قـرارة أنفسـنا نجعلـه أهـون النـاس، وإن كنـا نتقي من ينكـر علينـا بمثـل ذلـك الكلام المعسول.

قلت: إن لم يكن لــذلك الكلام معــنى، فلأي كلام في الدنيا معنى؟

قال: اسـمعني جيـدا.. وأخـبرني صـادقا.. أرأيت لـو أن قومـا من النـاس كتبـوا فيـك القصـائد الطويلـة في الثنـاء عليك، وفي دعوى محبتك.. أتـراك تصـدقهم مباشـرة.. أم تـراك تحتـاج إلى بعض أنــواع الاختبـار لتتأكـد من صـدق مودتهم لك؟

قلت: إن شئت الصدق، فـإني أراني محتاجـا إلى بعض أنواع الاختبار، ذلك أن أكثر ما كتب من قصـائد المـديح لم تصـدر من قلـوب محبـة، بقـدر مـا صـدرت من نفـوس طامعة.

قـال: أرأيت لـو أن هـذا الـذي مـدحك بتلـك القصـيدة الجميلـة، وذكـر لـك فيهـا مودتـه راح إلى أبيـك الشـريف الصـالح التقي النقي من قضـى عمـره في خدمـة الحـق وأهله يتهمه بالضلال، ويرميه بالفجور، ويتوعده بجهنم؟

قلت: هذا أول برهان من براهين كذبه..

قــال: ثم ذهب إلى أعــدائك ممن قضــوا عمــرهم في المكيــدة لــك وحربــك وحــرب ذريتــك يترضــى عليهم ويساويهم بك.

قلت: في هذه الحال ينقلب قائل القصـيدة في مـدحي عدوا من أعدائي.. فصديق عدوي عدوي.

قال: ولم يكتف بذلك.. بل ذهب يعزلك ويكذب مـا ورد فيك من الثناء..

قلت: هذا حسود حقود.

قـال: ولم يكتـف بـذلك.. بـل راح يتهمـك بـالخرق.. ويرميك بالجرائم العظيمة..

قلت: هذا عدود لدود..

قـال: ولكنـه كتب قصـيدة في مـدحك، وبث لـك فيـه صنوف مودته.

قلت: إن حال هذا لا يختلف عن حال المنـافقين الـذين ذكـرهم اللـه تعـالى، فقـال: (إِذَا جَـاءَكَ الْمُنَـافِقُونَ قَـالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَـافِقِينَ لَكَـاذِبُونَ) (المنـافقون:1)، فقـد كـذب اللـه شهادتهم للرسـالة لرسـول اللـه، ذلـك أنهـا لم تصـدر من قلوب صادقة، بل صدرت من قلوب ممتلئة بالحقد.

قال: وهكذا الأمر معنا.. أو مع ثلة كثيرة من أمثالي مع الإمام علي.

قلت: هلا انتقلت من الدعاوى إلى أدلتها..

قال: أجل.. لك ذلك.. فلنطبق ما ذكرنا من تمثيل على ما نحن فيه.

قلت: لا بـأس.. فهلم **بـالأول**.. هـل تـراك وأصـحابك أسأتم إلى والد الإمام علي.

قال: أعظم إساءة.. إننا في الوقت الـذي نترضـى فيـه على من كادوا للنبي ﷺ وأرادوا قتله وأخرجـوه من أرضـه

نعمد إلى السند العظيم الذي استند إليه، والذي كان السبب الأكبر في حفظ الدين والرسالة في مهدها فنكفره ونضلله وندخله بعد ذلك في جهنم ونحرمه من شفاعة حبيبه الذي قضى حياته كلها في نصرته.

قلت: ولكنهم يروون أحاديث في ذلك.

قال: هي أحاديث رواها وكتبها ونشرها أعداؤه.. ثم لماذا ينصرفون عن الأحاديث التي تبين إيمانه وصلاحه وتقواه؟

قلت: هم ينصرفون عنها لأن رواتها شيعة.

قال: ومن الشيعة؟

قلت: هم من يزعمون أنهم يحبون عليا.

قال: فلماذا قبلوا الأحاديث التي رواه أعداؤه من النواصب، ورفضوا الأحاديث التي رواه أحبابه، أو من يزعم محبته؟

قلت: هكذا جرى العرف.. لقد جرى عرف المحدثين على أن يقبلوا من أعداء علي.. وأن لا يقبلوا من محبيه ومواليه.

قال: ألا ترى في هذا كيلا بمكاييل مزدوجة؟

قلت: لست أدري ما أقول لك.. ولكن هذا يطرح وكأنه دين لا ينبغي التشكيك فيه.. فمن روى تلك الأحاديث أعطوه حصانة تمنعه من أن يسأل أو يناقش أو يرد عليه.. ومن تجرأ على ذلك رمي بالبدعة والزندقة.. حتى أن من تكلم عندهم في الصحابة ضال مبتدع.. بينما من كتب القصائد في مدح قاتل علي يعتبر متدينا صالحا ثقة..

وتروى عنه بعد ذلك الأحاديث والشرائع.

قال: فقد سقط بهذا أول دعامة من دعامات محبتهم لعلي.. بل هم فوق ذلك يترضون على أبي سفيان ذلك الذي رمى أبا طالب في الشعب.. ويترضون على هند تلك التي أكلت كبد حمزة.. في نفس الوقت الذي يكادون يلعنون ذلك الظهر الذي حماه والصدر الذي آواه.

قلت: صدقت في هذا.. فهلم بالثاني.

قال: وما **الثاني**؟

قلت: الثناء على الأعداء واحترامهم.

قال: أنت تعرف هذا جيدا.. أنت تعرف جيدا من سل سيفه على الإمام علي على الرغم من تلك الأحاديث الكثيرة التي تعتبر عداوته مناقضة للإيمان.

قلت: أجل.. وأعرف خصوصا منهم معاوية.. فهو مع كونه من الطلقاء إلا أن أصحابك رفعوه إلى درجة لا تقل عن علي نفسه.. بل تفوقه.. وأعرف أستاذا من الأساتذة في بلادنا(1) كان يحاول كل جهده أن يتأول كل حديث يرى أنه يمس بعصمة معاوية والعصابة الإجرامية الخطيرة التي كانت تحيط به.. والتي لم يكن لها من هدف سوى القضاء على الدين نفسه.. لقد كان من ضمن ما كان ينعق به كل حين قوله: (روى البخاري ومسلم وغيرهما، أن النبي ﷺ قال: (إن عمارا تقتله الفئة الباغية) وكان عمار مع أهل العراق، وقد قتله أهل الشام في صفّين، فالحديث دلّ على أن الفئة الباغية هي التي تقتل عمارا،

1) أقصد به (الدكتور خالد كبير علال) - حاصل على دكتوراه دولة في التاريخ الإسلامي من جامعة الجزائر- والكتاب المشار إليه، والذي سأنقل منه موقفه من الإمام علي هو (دراسات نقدية هادفة عن مواقف الصحابة بعد وفاة الرسول الكريم - قضية التحكيم في موقعة صفّين بين الحقائق و الأباطيل-)

ومن المحتمل أن الحديث لا يشمل كل أهل الشام، وإنما أريد به تلك العصابة- الفئة- التي حملت على عمار حتى قتلته، ،و هي طائفة من العسكر(1)، وروي أن معاوية تأوّل الطائفة التي قتلت عمارا بأنها هي الطائفة التي جاءت به، فردّ عليه علي بقوله: (فالمسلمون إذن هم الذين قتلوا حمزة وليس المشركون)، وعند ابن تيمية أن ما ذهب غليه معاوية ضعيف، وأن ما قاله علي هو الصواب.. لكن لا يغيب عن البال أن في الطائفتين بغاة، فالذين قتلوا عمارا بغاة وهم من أهل الشام، والذين قتلوا الخليفة عثمان أعظم بغيا وجرما من هؤلاء، وهم مع جيش العراق، مما يجعل ما ذهب إليه معاوية بن أبي سفيان له وجه من الصحة، فقتلة عثمان هم السبب في مجيء عمار وغيره. وفي هذا الأمر يرى الباحث محب الدين الخطيب أن قتلة عثمان هم الفئة الباغية، فكل مقتول يوم الجمل وصفين فإثمه عليهم لأنهم هم الذين أججوا نار الفتنة بين المسلمين، ابتداء بعثمان وانتهاء بعلي ومرورا بطلحة والزبير وعمار)

قال: إن أحاديثهم في فضل معاوية وما سطروه من كتب يفوق ما سطروه عن علي نفسه.. إن حالهم لا يختلف عن حال أسلافهم من الذين قتلوا المحدث الكبير النسائي(2) بسبب معاوية.

---

1) هذا تأويل ابن تيمية للحديث ليخرج معاوية، انظر: ابن تيمية: الخلافة و الملك، الجزائر، دار الشهاب ص: 90..

2) هو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي الكبير (215-303 هـ) القاضي الإمام، أحد الأئمة المبرزين والحفاظ المتقنين، والأعلام المشهورين. طاف البلاد وسمع من ناس في خراسان والعراق والحجاز ومصر والشام والجزيرة وغيرها. قال الحاكم: كان النسائي أفقه مشايخ مصر في عصره وأعرفهم بالصحيح والسقيم من الآثار وأعرفهم بالرجال. له من الكتب: السنن الكبرى في الحديث؛ المجتبى وهو السنن الصغرى، خصائص عليّ؛ مسند عليّ؛ الضعفاء والمتروكون بمسند مالك.

قلت: أجل.. فقد ذكروا أنه لما كتب كتابه في فضل الإمام علي بن أبي طالب الذي جمع فيه الاحاديث الواردة في فضل الامام أمير المؤمنين وأهل بيته.. فقد ذكر المؤرخون أنه بعد أن ترك مصر في أواخر عمره قصد دمشق ونزلها، فوجد الكثير من أهلها منحرفين عن الامام علي بن أبي طالب، فأخذ على نفسه وضع كتاب يضم مناقبه وفضائله رجاء أن يهتدي به من يطالعه أو يلقى إليه سمعه، فأتى به والقاه على مسامعهم بصورة دروس متواصلة.

وبعد أن فرغ منه سئل عن معاوية وما روي من فضائله، فقال: (أما يرضى معاوية ان يخرج رأسا برأس حتى يفضل؟)، وفي رواية: (ما أعرف له فضيلة إلا لا أشبع الله بطنك)، فهجموا عليه وداسوه حتى أخرجوه من المسجد، فقال: احملوني إلى مكة، فحمل إليها، فتوفى بها.

قال: وفوق ذلك تراهم يتأولون كل حديث ورد في ذمه.. فيحولونه من الذم إلى المديح.

قلت: أجل.. وقد سمعت من ذلك الكثير، ومن ذلك أن بعضهم قال في دعائه ﷺ على معاوية بأن لا يشبع بطنه: (وقد انتفع معاوية بهذه الدعوة في دنياه وأخراه، أما في دنياه فإنه لما صار إلى الشام أميراً، كان يأكل في اليوم سبع مرات يجاء بقصعة فيها لحم كثير وبصل فيأكل منها، ويأكل في اليوم سبع أكلات بلحم، ومن الحلوى والفاكهة شيئاً كثيراً ويقول: والله ما أشبع وإنما أعيا، وهذه نعمة ومعدة يرغب فيها كل الملوك)

قال: بل إنهم لأجل تبرئة معاوية من هذه الدعوة

يتهمون رسول الله ﷺ في عصمته، فيزعمون بأنه قد يدعو على من لا يستحق أن يدعى عليه، ويروون في ذلك حديثا يمزجونهما مزجا، وكأنهما حديث واحد، وهو (اللَّهُمَّ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ، فَأَىُّ المُسْلِمِينَ لَعَنْتُهُ أَوْ سَبَبْتُهُ، فَاجْعَلْهُ لَهُ زَكَاةً وَأَجْراً)

قلت: أجل.. وقد قرأت لمحب الدين بن الخطيب، قوله في تبرئه معاوية من دعائه ﷺ عليه: (فالظاهر أن هذا الدعاء منه ﷺ غير مقصود، بل هو مما جرت به عادة العرب فى وصل كلامها بلا نية كقوله ﷺ: تربت يمينك.. ويمكن أن يكون ذلك منه ﷺ بباعث البشرية التى أفصح عنها هو نفسه ﷺ فى أحاديث كثيرة متواترة منها حديث عائشة)(1)

قال: يكفيك هذا.. وربما أعود إليه لترى مدى تعلقهم بهذا الرجل.. وهم في الحقيقة لا يفضلونه لسواد عيونه، وإنما يفضلونه لأنهم يبررون به الاستبداد وخدمة المستبدين.

قلت: فلننتقل للثالث.

قال: وما **الثالث**؟

قال: العزل والتغطية..

قال: وقد كان لنا من هذا أوفر نصيب.. ففي الوقت الذي كنا نتأول فيه ما ورد من ذم معاوية وإخوانه من السامريين الذين أرادوا تحريف الدين رحنا نكذب كل ما صح في فضائل علي.. ونتأول ما لا نملك تضعيفه.

قلت: أعرف هذا جيدا.. وقد سمعت كثيرا من الخطباء

1) العواصم من القواصم تعليق الأستاذ محب الدين الخطيب ص 213..

ينعقــون بمثــل هــذا.. إنهم يعمــدون إلى أحــاديث كنــور الشمس قوة وبهـاء ووضـوحا فيحجبونهـا بمـا شـاءت لهم أهواؤهم أن يحجبوها.

قال: لا شك أنك تعلم ما قـالوا في حـديث: (أنـا مدينـة العلم وعلي بابها)

قلت: أجــل.. فقــد ضــعفه ابن تيميــة، بــل عــده من الموضوعات[1].

قال: وقد بحثت في هـذا.. وتـبين لي كـذب ابن تيميـة، وكذب أصـحابنا من المتبعين لـه.. لقـد روى هـذا الحـديث أحمد بن حنبل والترمذي والـبزّار والطـبراني وأبـو الشـيخ وابن بطّـة والحـاكم وابن مردويـه و أبـو نعيم.. وغـيرهم.. وصححه الكثير منهم.

قلت: صدقت في هذا.

قال: ألا تعلم ما يقـول أصـحابنا في حـديث: (علي مـع الحق والحق مع علي)؟

قلت: بلى.. لقد ذكر أنه من أعظم الكلام كـذباً وجهلاً، وقـال: (إنّ هـذا الحـديث لم يـروه أحـد عن النـبي ﷺ، لا بإسناد صحيح ولا ضـعيف، فكيـف يقـال: إنّهم جميعـاً رووا هذا الحديث؟ وهل يكون أكـذب ممّن يـروي عن الصـحابة والعلمـاء أنّهم رووا حـديثاً، والحـديث لا يعـرف عن واحـد منهم أصلاً، بل هذا من أظهر الكذب)[2]

قال: مع أني مع تتبعت هذا الحديث، فوجدته مرويا في أكـثر دواوين الحـديث، فقـد رواه الترمـذي في صـحيحه،

---

1) منهاج السنّة 7 / 515.

2) منهاج السنّة 4 / 238.

والحاكم في المستدرك، والطبراني، وأبو بشـر الـدولابي، والخطيب البغـدادي، وابن عسـاكر، والـبزّار، وأبـو يعلى، وغيرهم.

قلت: صدقت في هذا.

قال: ألا تعلم ما يقول أصحابنا في حـديث: (اللّهمّ وال من والاه وعاد من عاداه)؟

قلت: إنهم ينقلـون عن ابن تيميـة قولـه: إنـه (كـذب باتّفاق أهل المعرفة بالحديث)(1)

قال: وقد بحثت في الحديث، وتبين لي كذبـه في هـذا، فقـد رواه أحمـد بأسـانيد صـحيحة، ورواه ابن أبي شـيبة، وابن راهويه، وابن جرير، وسعيد بن منصـور، والطـبراني، وأبو نعيم، والحاكم.. وغيرهم كثير.

قلت: صدقت في هذا ووعيته، وقد سمعت من جرأتهم على هذا.. فهلم للرابع.

قال: وما **الرابع**؟

قلت: الكلام في دينه وأخلاقه ومنجزاته.

قال: أليس في مكتبتك كتاب (منهاج السنة)؟

قلت: بلى.. هو موجود.. فقلما يخلو بيت منه.

قال: ائت به.. وافتح أي صفحة منه فستراه كيـف يعلم النواصب بدهاء وحيلة ماذا يقولون للمـوالين لعلي ولأهـل البيت.

أحضرت الكتاب، وفتحته، ورحت أقرأ هذه الفقـرة: (لا

(1) منهاج السنة: 7/55.

ريب أن أهل السنة وإن كانوا يقولون إن النص على أن عليا من الخلفاء الراشدين لقوله (خلافة النبوة ثلاثون سنة) فهم يروون النصوص الكثيرة في صحة خلافة غيره، وهذا أمر معلوم عند أهل العلم بالحديث يروون في صحة خلافة الثلاثة نصوصا كثيرة بخلاف خلافة علي فإن نصوصها قليلة، فإن الثلاثة اجتمعت الأمة عليهم فحصل بهم مقصود الإمامة وقوتل بهم الكفار وفتحت بهم الأمصار وخلافة علي لم يقاتل فيها كفار ولا فتح مصر وإنما كان السيف بين أهل القبلة وأما النص الذي تدعيه الرافضة فهو كالنص الذي تدعيه الراوندية على العباس وكلاهما معلوم الفساد بالضرورة عند أهل العلم ولو لم يكن في إثبات خلافة علي إلا هذا لم تثبت له إمامة قط كما لم تثبت للعباس إمامة بنظيره)(1)

قال: انظر كيف يحتال اللئيم ليشوه صورة علي والخلافة الناصعة التي زينها.. ثم يكذب على رسول الله ﷺ الذي لم يكتف بأن يخبر بصحة خلافته، بل أمر الأمة بها واعتبر الخارج عنها باغيا.

فتحت صفحة أخرى، ورحت أقرأ: (لم يتمكن أحد منهم من الإمامة إلا علي بن أبي طالب مع أن الأمور استصعبت عليه، ونصف الأمة أو أقل أو أكثر لم يبايعوه، بل كثير منهم قاتلوه وقاتلهم، وكثير منهم لم يقاتلوه ولم يقاتلوا معه، وفي هؤلاء من هو أفضل من الذين قاتلوه وقاتلوا معه، وكان فيهم من فضلاء المسلمين من لم يكن مع علي مثلهم بل الذين تحلفوا عن القتال معه وله كانوا أفضل ممن قاتله وقاتل معه)(2)

1) منهاج السنة: 1/372.

2) المصدر السابق: 4/48.

قال: انظر كيف يقزم أولئك العمالقة الذين هم أشرف أهـل الأرض ليفضـل عليهم النـاكثين والبغـاة والقاعـدين ضاربا بكل ما ورد في النصوص المقدسة عرض الحائط.

فتحت صـفحة أخـرى، ورحت أقـرأ: (ومن المعلـوم أن الخلفاء الثلاثة اتفقت عليهم المسلمون وكان السـيف في زمانهم مسلولا على الكفار مكفوفا عن أهل الإسلام، وأما على فلم يتفق المسلمون على مبايعتـه بـل وقعت الفتنـة تلك المدة وكان السيف في تلك المدة مكفوفا عن الكفار مسلولا على أهل الإسلام)[1]

قال: انظـر كيـف يـرمي المحتـال عليـا بن أبي طـالب بالـدماء الـتي سـفكت في الـوقت الـذي يـدافع فيـه عن المجرمين الذين أسعروا نار الحروب.

فتحت صفحة أخرى، ورحت أقـرأ: (إنّ الرافضـة تعجـز عن إثبات إيمان علي وعدالته... فإنْ احتجّوا بما تـواتر من إسلامه وهجرته وجهاده، فقد تـواتر إسـلام معاويـة ويزيـد وخلفـاء بـني أُميّـة وبـني العبـاس، وصـلاتهم وصـيامهم وجهادهم)[2]

قال: انظر إلى اللئيم كيف يسوي بين أخي رسول الله ووصيه ومن هو كنفسه ومن اعتبره رسـول اللـه كهـارون مـع موسـى.. انظـر كيـف يسـويه بالطلقـاء والملـوك الظالمين الذين شوهوا عدالة الإسلام.

فتحت صفحة أخرى، ورحت أقرأ: (فإنّ عليّاً قاتل على الولاية، وقُتل بسبب ذلك خلق كثير، ولم يحصل في ولايته لا قتـال للكفّـار ولا فتح لبلادهم، ولا كـان المسـلمون في

1) المصدر السابق: 4/80.

2) المصدر السابق: 2/62.

زيادة خير)[1]

قال: انظر إلى الشقي كيف يطعن في نية الإمام علي، وكيف يسوي بينه وبين المستبدين، وكيف يحمله فوق ذلك وزر الدماء التي سالت بسبب الظالمين الذين أرادوا الانحراف بالدين عن سبيله الصحيح.

فتحت صفحة أخرى، ورحت أقرأ: (أنه ليس كل خطباء السنة يذكرون الخلفاء في الخطبة، بل كثير من خطباء السنة بالمغرب وغيره لا يذكرون أحدا من الخلفاء باسمه، وكان كثير من خطباء المغرب يذكرون أبا بكر وعمر وعثمان ويربعون بذكر معاوية لا يذكرون عليا)[2]

قال: انظر.. كيف هان علي في عينه.. وكيف هون من أمره.. وكيف اعتبر منكر خلافته ومثبت خلافة الطلقاء من المسلمين.. بل من أهل السنة.. بينما لو أن أحدا تكلم في أي خليفة آخر لسل عليه سيف تكفيره.

أردت أن أفتح صفحة أخرى لكن نفسي لم تطاوعني.. ولست أدري كيف رميت الكتاب من يدي من غير أن أشعر، فأخذه وقال: هذا الكتاب كنا نعتبره كتابا مقدسا.. هو كالتلمود نفسه عند اليهود.. كنا نرجع إليه كل حين لنطعن فيه عليا ودولته الكريمة المباركة.. ولنفرق به صف الأمة.. ولننشر به فكر الإرهاب وإرهاب الفكر.

قال ذلك، ثم راح يحتضن كتاب (نهج البلاغة)، وهو يقول: اسأل أي أحد من أصحابنا عن هذا الكتاب العظيم الذي حوى درر ولآلئ الإمام علي.. فلن تجده عالما بما فيه.. بل ستجده ينظر إليه شزرا.. وإن كان يحمل سلاحا

---

1) المصدر السابق: 6/191.

2) المصدر السابق: 4/81.

فاحذر على رأسك منه فإنه سليل قوم يسلون صـوارمهم المسلولة متى شاءوا وكيف شاءوا.

قلت: أخبرني.. ما الذي شدك في نهج البلاغة؟

قـال: لا يمكن أن أصـف المشـاعر الـتي تنتـابني أثنـاء قراءته.. ولكني أقول لك: إن الأمة لو أعطت هذا الكتـاب حقه لما حصل فيها من الخلاف والضلال ما تراه اليوم..

قلت: لقد ذكرتني بمـا قـال ظهـير الـدين علي بن زيـد الـبيهقي، فقـد قـال فيـه: (هـذا الكتـاب النفيس (نهج البلاغة) مملو من ألفاظ يتهذّب بها المتحدث، ويتدرّب بها المتكلّم، فيـه من القـول أحسـنه، ومن المعـاني أرصـنه، كلام أحلى من نغم القيـان، وأبهى من نعم الجنـان، كلام مطلعه كسنة البدر، ومشرعه مورد أهـل الفضـل والقـدر، وكلمات وشْيُها خبر، ومعانيها فقر، وخطب مقاطعها غـرر، ومباديها درر، استعاراتها تحكي غمرات الألحاظ المـراض، ومواعظها تعبّر عن زهرات الرياض، جمع قائل هذا الكلام بين ترصيع بديع، وتحنيس أنيس، وتطبيق أنيق.

فللّـه درّ خـاطر عن مخائـل الرّشـد مـاطر، وعين اللـه على كلام إمـام ورث الفضـائل كـابرا عن كـابر، ولا غروللروض الناضر إذا انهلّت فيه عزالي الأنواء أن يخضـرّ رُباه، ويفوح ريّاه، ولا للساري في مسـالك نهج البلاغـة أن يحمـد عنـد الصـباح سـراه، ولا لمجيـل قـداح الطهـارة اذا صـدّقه رائـد التوفيـق والإلهـام أن يفـوز بقـدحي المعلّى والرقيب، ويمتطي غوارب كل حظّ ونصيب.

ولا شك أن أمير المؤمنين عليّ بن أبى طالب كان باب مدينة العلوم، فما نقول في سقط انفضّ من زند خـاطره الـوادي، وغيض بـدا من فيض نهـره الجـاري، لا بـل في

شـعلة من سـراجه الوهّـاج، وغرفـة من بحـره المـوّاج، وقطرة من سحاب علمه الغزير، ولا ينبّئك مثل خبير)

وقال فيه الأستاذ محمد حسن نائـل المرصـفي.. فقـد قال فيه: (نهج البلاغة) ذلك الكتاب الذي أقامه اللـه حجـة واضحة على أن عليا كـان أحسـن مثـال حيّ لنـور القـرآن وحكمتـه، وعلمـه وهدايتـه، وإعجـازه وفصـاحته)، وقـال: (اجتمع لعليّ في هذا الكتاب ما لم يجتمع لكبـار الحكمـاء، وأفـذاذ الفلاسـفة، ونوابـغ الربّـانيّين، من آيـات الحكمـة السابغة، وقواعد السياسة المستقيمة، ومن كـل موعظـة باهرة، وحجة بالغة تشهد له بالفضل وحسن الأثر)، وقـال: (خاض عليّ في هذا الكتاب لجّة العلم، والسياسة والدين، فكان في كل هذه المسائل نابغة مـبرّزا، ولئن سـألت عن مكـان كتابـه من الأدب بعـد أن عـرفت مكانـه من العلم، فليس في وسـع الكـاتب المترسّـل، والخطيب المصـقع، والشاعر المفلق، أن يبلغ الغاية من وصـفه، أوالنهايـة من تقريظه، وحسبنا أن نقول: أنـه الملتقى الفـذّ الـذي التقى فيـه جمـال الحضـارة، وجزالـة البـداوة، والمـنزل المفـرد الذي اختارته الحقيقـة لنفسـها مـنزلا تطمئن فيـه، وتـأوي إليه بعد أن زلّت بها المنازل في كل لغة)

وقال فيه الشيخ محمد عبده: (قد أوفى لي حكم القدر بـالاطلاع على كتـاب (نهج البلاغـة) مصـادفة بلا تعمّـل، فتصفّحت بعض صفحاته، وتأملت جملا من عباراته، فكـان يخيّل لي في كل مقام أن حروبـا شـبّت، وغـارات شـنّت، وأن للبلاغة دولة، وللفصاحة صـولة، وأن للأوهـام عرامـة، وللريب دعارة، وأن جحافل الخطابة، وكتائب الدرابة، في عقود النظـام، وصـفوف الانتظـام، تنـافح بالصـفيح الأبلج، والقـويم الأملج، وتمتلج المهج بروّاضـع الحجج، فتفـلّ من

دعارة الوساوس. وتصيب مقاتل الخوانس. فما أنا إلاّ والحق منتصر، والباطل منكسر، ومرج الشكّ في خمود، وهرج الريب في ركود، وأن مدبر تلك الدولة، وباسل تلك الصّولة، هوحامل لوائها الغالب، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

بل كنت كلّما انتقلت من موضع إلى موضع أحسّ بتغير المشاهد، وتحوّل المعاهد: فتارة كنت أجدني في عالم يغمره من المعاني أرواح عالية، في حلل من العبارات الزاهية، تطوف على النفوس الزاكية، وتدنومن القلوب الصافية: توحي إليها رشادها، وتقوّم منها مرادها، وتنفّر بها عن مداحض المزالق، إلى جوادّ الفضل والكمال.

وطورا كانت تتكشف لي الجمل عن وجوه باسرة، وأنياب كاشرة، وأرواح النمور، ومخالب النسور، قد تحفّزت للوثاب، ثم انقضّت للاختلاب، فخلبت القلوب عن هواها وأخذت الخواطر دون مرماها، واختالت فاسد الأهواء، وباطل الآراء.

وأحيانا كنت أشهد أن عقلا نورانيا، لا يشبه خلقا جسدانيا، فصل عن الموكب الإلهي، واتّصل بالروح الإنساني، فخلع عن غاشيات الطبيعة وسما به إلى الملكوت الأعلى، ونما به إلى مشهد النور الأجلى، وسكن به إلى عمار جانب التقديس، بعد استخلاصه من شوائب التلبيس.

وآنات كأني أسمع خطيب الحكمة ينادي بأعياء الكلمة، وأولياء أمر الأمة، يعرّفهم مواقع الصواب، ويبصّرهم مواضع الارتياب، ويحذّرهم مزالق الأضراب، ويرشدهم إلى دقائق السياسة، ويهديهم طرق الكياسة، ويرتفع بهم

إلى منصّات الرئاسة، ويصعّدهم شـرف التـدبير، ويشـرف بهم على حسن المصير) (1)

قال: كلهم قالوا فيه لما عرفـوه منـه إلا نحن فلم نكن نعرف إلا الهدم والجـرح والتكـذيب.. إننـا نـرى آيـات اللـه الجلية فيه ولكنها نتركها جميعا ونذهب إلى الإرهابي مقبل الوادعي الذي قال في كتابه :(من طالع كتابه نهج البلاغـة جزم بأنّه مكذوب على أمير المؤمـنين عليّ، ففيـه السـبّ الصراح والحطّ على السيّدين: أبي بكـر وعمـر، وفيـه من التناقض والأشياء الركيكة والعبارات الـتي من لـه معرفـة بنفس القرشيّين الصحابة وبنفس غيرهم ممّن بعـدهم من المتأخّرين، جزم بأنّ الكتاب أكثره باطل)(2)

قلت: أرى أن لك علاقة سابقة بهـذا الكتـاب، وبالإمـام علي.. كنت أتصور أنك لم تعرفه إلا اليوم.

قـال: كيـف تقـول ذلـك، ولـولا مـا قيض اللـه لي من أحبـاب الإمـام علي لكنت الآن أسـدر في غـيي، ولكـانت الأغلال التي طوقتـني دهـرا طـويلا لا تـزال تطوقـني.. إن نور الإمام علي هو أكبر نور يطفئ ظلمات البغاة.. ولذلك تراهم يحذرون منه ويحذّرون منه.

---

1) مقدمة الشيخ محمد عبده على نهج البلاغة: ص3.

2) رياض الجنّة لمقبل الوادعي: 142.

في اليوم الخامس عشر وقبل أن أخرج إلى صاحبي الوهابي سمعت صياحا كثيرا في حارتنا، فخرجت لأستطلع ما يحدث، فوجدت الكثير من الشيوخ والشباب يقيمون تأبينا لرجل نفذ فيه الإعدام ذلك اليوم، وعندما سألت عنه عرفت أنه ينتمي لتنظيم القاعدة، وأنه سافر إلى محال كثيرة من الأرض قبل أن يمسك به، وأنه في كل محل سافر إليه ترك خلفه دمارا ودماء وآلاما.

لكن المؤبنين غفلوا عن كل ذلك، وراحوا يشيدون بشجاعته وهو يتقدم إلى المقصلة، ثم كيف يخاطب جلاديه بلغته القوية، وكيف أنه في ذلك الموقف الشديد تذكر كلمات ابن تيمية التي قال فيها: (ما يصنع أعدائي بي؟ أنا جنتي وبستاني في صدري، إن رحت فهي معي لا تفارقني، إن حبسي خلوة، وقتلي شهادة، وإخراجي من بلدي سياحة)

كان الخطباء يتداولون على المنصة، يذكرون أمجاد الرجل وآثاره، ولا يضمنون له الجنة فقط، بل يضمنون له معها الفردوس الأعلى في صحبه ابن تيمية وابن عبد الوهاب وأصحابهما.

لست أدري كيف سقطت دمعة من عيني في ذلك الموقف المؤثر الذي اختلطت فيه أصوات الخطباء بتكبيرات الحاضرين..

تركتهم، وانصرفت إلى البيت، وأنا محتار في سر الدمعة التي سقطت من عيني مع أني أعلم جيدا المآسي الكثيرة التي خلفها ذلك الرجل على الحياة والأحياء.

عندما دخلت على صاحبي الوهابي نظر إلى عيني، وقال: هل قام القوم بتأبين ابن تيمية؟

قلت: ما بالك يا رجل.. ابن تيمية أبن منذ مئات السنين..

قال: فمن أبن إذن هذا اليوم؟

قلت: رجل من حارتنا سار إلى بلاد كثيرة، وقد قبض عليه في بعضها، وأودع السجن فترة من الزمن، ثم حكم عليه بالإعدام، ثم أعدم هذا اليوم؟

قال: وقد قام أهل حارتكم بتأبينه والحزن عليه، وضمان الجنة له.

قلت: لعل هذا نابع من وفائهم.

قال: بل هو نابع من غبائهم وغفلتهم وحمقهم؟

قلت: ماذا اتقصد؟

قال: إنه نابع من الناحية التي يؤتى منها الطيبون المغفلون البلهاء الذين يغلبون عواطفهم على عقولهم.

قلت: لست أدري هل أراك تذمهم، أم أراك تمدحهم؟

قال: لا أنا أمدحهم، ولا أنا أذمهم.. ولكني أصف واقعا.. والواصف لا مادح ولا ذام؟

قلت: أي واقع.. وما علاقته بالرجل.. وما علاقة كل ذلك بابن تيمية؟

قال: الواقع هو نفسك.. ونفوس الآلاف والملايين.. بل نفسي قبل أن تتنزل عليها أنوار الهداية فتمسخ عنها ظلمات العاطفة الباردة، والحزن الكاذب.

قلت: سـلمت لـك، وإن كنت لم أفهم.. فما علاقة نفسي ونفوس الآلاف والملايين ونفسك قبل التوبة بهذا الرجل المسكين؟

قال: ألم تعلم لم سجن الرجل الذي سافر إلى بلاد كثيرة.. ولم حكم عليه بالإعدام؟

قلت: لقد قيل إنه من القاعدة.. وهي كما تعلم لا يعرف أعضاؤها قيمة للحدود الجغرافية.

قال: فما الذي خلف في كل بلاد نزل فيها؟

قلت: ما تخلفه القاعدة عادة.. دمار ودماء ليس غير؟

قال: فقد صدقت فراستي إذن عندما ذكرت لك أن المؤبن هو ابن تيمية.. فشيخ القاعدة وملهمها ومفتيها هو ابن تيمية.

قلت: إن شئت الصدق، فقد كان لهذا الشاب تعلق كبير بابن تيمية حتى أنه عندما سيق إلى منصة الإعدام نسي أن ينطق الشهادة، ونطق بدلها بكلمة ابن تيمية التي يحفظها الجميع (ما يصنع أعدائي بي)

قال: لقد سمعت هذه العبارة كثيرا عندما كنت في سجون الوهابية.. لقد كانوا يضعونها مع كل حزام ناسف، ومع كل قنبلة موقوتة، ومع كل هدم يمارسونه.. لقد كانوا يقتلون الحياة ويدمرون ما أمر الله به أن يبنى، فإذا ما قبض على أحدهم فسجن أو اعتقل تراهم جميعا يحزنون على سجنه، ويبكون على اعتقاله، فإذا ما أعدم خطبوا الخطب المطولة في وصف شجاعته وشهادته متناسين ما فعله بالحياة وبالإنسان.

قلت: لا أكتمك أن الخطباء عندنا يذكرون كثيرا المآسي والمحن التي تعرض لها ابن تيمية.. بل يعتبرونها أهم دلائل صدقه وإخلاصه ومواقفه البطولية.. بل إنهم يعتبرونه فوق ذلك شهيدا لأنه استطاع أن يواجه خصومه بتلك العبارة الشهيرة التي صارت شعارا للكثير.. ولهذا تجد أكثر الناس لا يعرفون من ابن تيمية إلا أنه سجن ومات في سجنه.. بل إن بعضهم يبالغ فيذكر أنه في سجنه صعق بالكهرباء وعذب بأشياء كثيرة لم يكن يعرفها أهل ذلك الزمان.

قال: قال: فهل كان صاحبك هذا يعرف مقالات ابن تيمية؟

قلت: لم يكن يعرف مقالاته.. ولكنه كان يعرف أعداءه.. وكان يحصيهم كل حين واحدا واحدا، ويتوعد بالانتقام منهم إن لاحت له أي فرصة.

قال: فمن كان أعداؤه؟

قلت: لقد كان يذكر أنهم: علماء الفقه والعقائد والعلوم التجريبية بالإضافة إلى الشيعة والصوفية والقبورية وغيرهم ممن لا تحضرني أوصافهم.

قال: فهل بقي هؤلاء الأعداء أم أن التاريخ ذهب بهم؟

قلت: لقد كان ذلك الشاب يردد دائما بأن باله لن يهدأ حتى ينتقم من جميع أعداء ابن تيمية.. وذلك يدل على أنهم لا يزالون يسرحون ويمرحون.

قال: ما دمت قد ذكرت ذلك، فسأذكر لك حادثة لتعلم منها سرا من أسرار الإرهاب الوهابي.. وهي حادثة حصلت لي، وكانت سببا من أسباب تغلب عقلي على

عاطفتي، وحقيقتي على وهمي.

لقد أدركت من تلك الحادثة أنه منذ أخرج ابن عبد الوهاب عفريت ابن تيمية من قمقمه ومآساته تستنزل دموع الملايين.. إن أصدقاء ابن تيمية من الوهابية والإخوان وغيرهم من الحركات السلفية تذكر أن ابن تيمية عودي ولا يذكرون أبدا أنه عادى.. ويذكرون أنه سجن، ولا يذكرون أبدا تلك الأرواح الطيبة التي سجنها في أفكاره الخبيثة التي تفوح منها روائح الشياطين.

في ذلك اليوم الذي قررت مع نفر من أصدقائي، وبوحي من صديق غريب من أصدقائنا، كان ممتلئا نورا وحكمة وأدبا أن نؤسس جمعية نطلق عليها (جمعية أصدقاء ابن تيمية)، وقد كان الهدف منها كما ذكر لنا صديقنا الحكيم أن نبحث في ابن تيمية بحثا علميا وموضوعيا لنخرج صورته الحقيقية للناس، قال لنا حينها: هلم بنا أيها الأصدقاء ندافع عن ابن تيمية بالعلم لا بالعاطفة.. دعنا من مقولته (إن جنتي وبستاني في صدري)، ودعنا من مقولاته الكثيرة التي يعرفها الناس جميعا، وهلم بنا نبحث عن الجديد في تراث هذا الرجل الذي شغل الأجيال.

قلنا: فما تقترح علينا؟

قال: أقترح عليكم أن نؤسس جمعية تبحث من خلال كلماته وتصريحاته عن حقيقته.. ودعنا نستمع لأعدائه، لنرى سر عداوتهم له.. لماذا نصم آذاننا عنهم.. ولماذا نحتقرهم ونكفرهم.. نحن نعلم أن ابن تيمية بشر، وأنه قد يكون صدر منه ما ألب أعداءه عليه.. فهلم بنا نبحث عن هؤلاء، وهلم بنا نخرج ما في صدورهم عنه.

لم نجد – نحن النفر القليل – إلا أن نقبل ذلك، وقد استعملنا ما أتاح الله لنا من طاقات لنجمع جمعا حضر فيه كل من ينتقد ابن تيمية أو يعاديه أو يحمل له ولو بذرة من بذور الإنكار..

وقد كان الجمع على خلاف ما توهمنا كثيرا جدا، حتى أننا لم نجد من السعة ما نؤدي به حق ضيافته.. لكنهم رضوا بدل إطعامنا بأن نشرح صدورنا لهم، ونفتح أسماعنا لحديثهم.

وسأقص عليك بعض ما جرى من حديث عساك تنتفع به.

الصوفية:

كان أول المتحدثين رجلا تبدو عليه علامات الصلاح والزهد والتواضع، وتلوح على وجهه سمات الحكماء والعارفين، كان اسمه ابن عطاء الله، نظر إلينا وسلم علينا جميعا بسلام ممتلئ بالمحبة والأخوة، ثم قال: نحن – الصوفية – لا نحمل حقدا على أحدا، لأنا لا نرى إلا الله، ولا نبحث إلا عن الله، ولا نسير إلا إلى الله.. والله هو المحبة وهو السلام وهو الرحمة التي لا يحدها شيء.. لقد قال لي شيخي، وهو يؤدبني:..

قام رجل منا مغضبا، وقال: دعنا من شيخك.. وحدثنا عن سر عداوتكم لابن تيمية؟

نظر الشيخ إليه بهدوء، وقال: ابن تيمية هو الذي عادانا.. وهو الذي أعلن حربه علينا.. هو الذي ذهب إلى تلك المعاني العرفانية السامية التي اتفق عليها جميع صالحي البشرية، فاعتبرها إلحادا واتحادا وحلولا ومروقا،

واعتبر أصحابها من الأولياء ملاحدة وأفاكين ومارقين ومحاربين للرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

وذلك لأن نظرته قاصرة لله، فهي مبنية على التجسيم والتحديد والحصر، وكأن الله – عنده - ليس سوى جرم من الأجرام السماوية الضخمة.

بل إن نظرته تلك هي التي جعلته لا يفهم – أولا – ما نقصده من المعاني السامية، وجعلته - ثانيا- يحكم علينا وعلى معارفنا وعارفينا، وأنتم تعلمون أن الناس أعداء لما جهلوا.

قال التيمي: كيف تتجرأ على اتهام ابن تيمية بالجهل، وهو الذي جمعت له كل أصناف العلوم يأخذ منها ما يشاء، ويدع ما يشاء.

قال الصوفي: عجبا لكم يا عباد ابن تيمية، ألستم تذكرون أنه سافر كثيرا، وجاهد كثيرا، وتنقل بين الناس آمرا بالمعروف وناهيا عن المنكر كثيرا؟

قال التيمي: بلى.. وفوق ذلك سجن كثيرا إلى أن وافاه الأجل في سجنه.

قال الصوفي: فكيف يتسنى له أن يدرس جميع كتب الفلاسفة والحكماء والصوفية والفقهاء والمحدثين والمسيحيين واليهود وجميع الطوائف، وكل علم من هذه العلوم تستهلك أعمارا.

قال التيمي: أنت لا تعرف شيخ الإسلام، لهذا تقول هذا الكلام.. لقد ذكر المؤرخون له أن تنصب للفتوى، وهو ابن سبع عشرة سنة، وشرع في الجمع والتأليف من ذلك

الوقت، ولهذا كثرت مؤلفاته وبورك له فيها.

قال الصوفي: فمن فتاوى ابن تيمية إذن فتاواه وهو ابن سبع عشرة سنة؟

قال التيمي: أجل.. بل إن من كتبه ما كتبه في ذلك السن.. وهو من فضل الله الذي يؤتيه من يشاء..

قال الصوفي: ألا تعرف أن الغزالي مع اهتمامه بالعلوم العقلية وتدريسه لها، عندما أراد أن يضع فتواه في الفلسفة احتاج إلى سنتين كاملتين لدراستها متفرغا تاما، ومع ذلك يقر بأنه لم يحصها، بل لم يتطرق إلا إلى مدرسة من مدارسها.. يقول في ذلك: (فعلمت أن رد المذهب قبل فهمه والإطلاع على كنهه رمى في عماية، فشمرت عن ساق الجد، في تحصيل ذلك العلم من الكتب، بمجرد المطالعة من غير استعانة بأستاذ، وأقبلت على ذلك في أوقات فراغي من التصنيف والتدريس في العلوم الشرعية، وأنا ممنو بالتدريس والإفادة لثلاثمائة نفر من الطلبة ببغداد، فأطلعني الله سبحانه وتعالى بمجرد المطالعة في هذه الأوقات المختلسة، على منتهى علومهم في أقل من سنتين. ثم لم أزل أواظب على التفكر فيه بعد فهمه قريباً من سنة، أعاوده وأردده وأتفقد غوائله وأغواره، حتى اطّلعت على ما فيه من خداع وتلبيس، وتحقيق وتخييل، اطلاعاً لم أشك فيه)[1]

قال التيمي: فرق كبير بين الغزالي وبين ابن تيمية.. فشتان بين الثرى والثريا.

استمر الصوفي في حديثه، وكأنه لم ينتبه لما ذكره التيمي:.. وعندما قرأ التصوف لم يستعجل، فيحكم لهم أو

1) المنقذ من الضلال: ص14.

عليهم، بل بقي أكثر من عشر سـنوات في الخلـوات لأنـه علم أن من علـومهم مـا لا يقتنص بالدراسـة وحـدها، بـل يحتاج معها إلى الرياضة والمجاهدة والسـلوك، قـال يـذكر ذلك: (ثم إني، لما فرغت من هذه العلـوم، أقبلت بـهمتي على طريق الصـوفية وعلمت أن طـريقتهم إنمـا تتم بعلم وعمـل ؛ وكـان حاصـل علـومهم قطـع عقبـات النفس. والتنـزه عن أخلاقها المذمومـة وصـفاتها الخبيثـة، حـتى يتوصـل (بـها) إلى تخليـة القلب عن غـير اللـه (تعـالى) وتحليتـه بـذكر اللـه.. وكـان العلم أيسـر عليّ من العمـل. فابتـدأت بتحصـيل علمهم من مطالعة كتبهم مثـل: (قـوت القلوب) لأبي طالب المكي (رحمـه اللـه) وكتب (الحـارث المحاسـبي)، والمتفرقـات المـأثورة عن (الجنيـد) و (الشبلي) و (أبي يزيـد البسـطامي) قـدس اللـه أرواحهم، وغيرهم من المشايخ ؛ حـتى اطلعت على كنـه مقاصـدهم العلمية، وحصلت ما يمكن أن يحصل من طريقهم بـالتعلم والسـماع. فظهـر لي أن أخص خواصـهم، مـا لا يمكن الوصول إليه بالتعلم بل بالـذوق والحـال وتبـدل الصـفات. وكم من الفـرق بين أن تعلم حـد الصـحة وحـد الشـبع وأسبابـهما وشروطهما، وبين أن تكون صحيحاً وشبعان؟.. فعلمت يقيناً أنـهم أربـاب الأحـوال، لا أصـحاب الأقـوال.. وأن ما يمكن تحصيله بطريق العلم فقد حصلته، ولم يبـقَ إلا ما لا سبيل إليه بالسماع والتعلم، بل بالذوق والسلوك) (1)

التفت الصـوفي إلى الـتيمي، وقـال: فهـل مـارس ابن تيميـة مـا مارسـه الغـزالي من المجاهـدات والرياضـات الروحية لتستقيم له فتاواه؟

قال التيمي: لقد كان شـيخ الإسـلام يـرى أن كـل ذلـك

1) المنقذ من الضلال: ص30.

بدعة، فلا وجود لشيء اسمه مجاهدات أو رياضات.. كل ذلك ضلالات أخذها المسلمون من رهبان النصارى والهنود، كما أخذ الشيعة التصوف من ابن سبأ اليهودي، وكما أخذ الفلاسفة الفلسفة من اليونان.. وكما أخذ..

قاطعه الصوفي، وقال: هذه حجة الجاهل، فهل اطلع على ما فيها وأتقنه ليحكم عليه.. إن قراءة كتب ابن عربي وحدها والتأمل فيها تحتاج إلى عمر طويل، وذهن حاد، وسلوك مخلص عميق، فهل تسنى لابن تيمية كل هذا.. أم أنه بجرة قلم راح يمحو كل شيء؟

قال التيمي: أنت تتحدث عن الزنادقة وتنتصر لهم.. ألا تعلم أن الانتصار للزندقة زندقة، وأن من شك في كفر الكافر فهو كافر.. وأن الكافر حلال الدم؟

قال الصوفي: هذا ما علمكم ابن تيمية.. لقد حولكم جميعا إلى خصماء وقضاة ومنفذين.. ليس لكم من دور في الحياة سوى أن تصنفوا الناس لتبحثوا عن القتلة التي تتناسب معهم.

قال التيمي: دعنا من هذا، وعد بنا إلى سر عداوتكم لشيخ الإسلام.

قال الصوفي: إن ابن تيمية بمنهجه المجادل المتسرع المخاصم راح يقضي على كل شيء جميل ندعو إليه.. راح إلى حلاوة علاقتنا بالله يرميها بالإلحاد والزندقة.. وإلى علاقتنا برسول الله يرميها بالشرك.. وإلى علاقتنا بأولياء الله يرميها بالضلالة.. وهكذا لم نسلم منه في القليل أو الكثير.. حتى تلك المجالس الجميلة التي ننشد فيها قصائد العشق الإلهي راح يبدعها ويكفرنا بسببها، بل راح يعتبر أن مجالس اللهو والمجون أفضل منها.. فلذلك

عندما جاء تلميذه ابن عبد الوهاب أباح كل محبة إلا محبة الله ورسوله.. فانتشر ما ترون من الانحراف والضلال.

قال التيمي: رويدك يا هذا.. فقد قرأت لابن تيمية مقالات كثيرة ليس فيها ما ذكرت.. بل فيها عكس ما ذكرت.

ابتسم الصوفي، وقال: لاشك أنك لا تعرف ابن تيمية، ولا تعرف دهاءه.. إن ابن تيمية لا يقتل بسيفه.. بل يقتل بسيف غيره.. إن شيخه في الدهاء معاوية بن أبي سفيان ذلك الذي استطاع - مع جرائمه الكثيرة - أن يجعلكم جميعا تتفرغون للدفاع عنه ولتقديسه، بل لتطردوا جميع الصحابة من أجله.

لقد ذكر المؤرخون أن رجلا جاء إلى معاوية، ووضع يده على موضع من جسمه، وقال: ما أشبهه بهند (يعني أم معاوية)، فقال له معاوية: ما أظنك الا مراهنا، فقال الرجل: نعم، فقال له: خذ مائة ألف علي رهانك، وأدلك علي من فعلت به هذا أعطاك أكثر من هذا بكثير، فقال: من؟ فقال: زياد.. وكان زياد حازما شديد الحزم، فأراد معاوية أن يقطع دابر هذا الرجل بغير سيفه، فذهب الرجل إلى زياد وفعل معه مثلما فعل مع معاوية، فقال زياد: ما حملك على هذا؟ فقال: أنا مراهن، وحكى له القصة.. ففهم زياد الرسالة، وقتل الرجل.

هكذا يفعل ابن تيمية.. ولهذا لا نستغرب أن يكفر تلاميذه كل الصوفية حتى الذين لم يجرؤ ابن تيمية نفسه على تكفيرهم، لأن الزمان الذي كان فيه لم يسمح له بذلك.. ولكنه نظر للتكفير.. فجاء من بعده ليطبق تنظيراته، ويكتفي بها.

لقد جاء محمد بن عبد الوهاب ليضع النقاط على جميع الحروف التي تركها ابن تيمية معجمة.. وجاءت القاعدة وجميع الحركات الجهادية لتصيغ من كل ذلك نظرية الإسلام الإرهابي العدواني.

قال صاحبنا العاشق لابن تيمية: كل ما تذكره دعاوى، فأين البينات؟

قال: سأضرب لك أمثلة ربما تدلك على ذلك..

أخذ نفسا عميقا، ثم قال: لعلك تعلم أن مبنى التصوف على حب الرسول ﷺ، بل عشق رسول الله ﷺ، فلهذا ترى الصوفية هم الوحيدون المختصون في المديح النبوي.. ومن ضروريات المحبة تعظيم المحبوب، وكل ما يرتبط به، ولهذا أنشدوا القصائد الطوال في أعظم أثر على الأرض، بل في السموات، وهو المحل الشريف الذي دفن فيه رسول الله ﷺ.

لقد مضت الأمة جميعا تتقبل هذا السلوك من الصوفية وغيرهم.. ولم يجادلهم الفقهاء، ولم يعنت عليهم المتكلمون، بل كانوا جميعا يدا واحدة في تعظيم الآثار النبوية، لكن ابن تيمية جاء ليقول لنا: إن زيارة رسول الله بدعة.. بل معصية.. وأن تربة رسول الله ﷺ لا تختلف عن أي تربة.. بل جسد رسول الله ﷺ لا يختلف عن أي جسد.

لاشك أنكم قرأتم فتاواه في ذلك، ولذلك لقي منا تلك الشدة والعداوة.. فمحال على القلب الذي يحمل ما يحمل من حب لرسول الله ﷺ وتعظيم لآثاره أن يرضى بمثل تلك المقالة.

هل يرضى أحدكم أن يمنع من زيارة قبر أبيه أو أمه أو ابنه؟

قال الجميع بصوت واحد: لا..

فقال الرجل: وهكذا نحن فرسـول اللـه ﷺ أغلى عنـدنا من آبائنا وأمهاتنا وأبنائنـا.. ولـذلك لا نقابـل من منعنـا من زيارتـه إلا بالعـداوة والبغضـاء الـتي نتقـرب بهـا إلى اللـه، فعدو الحبيب عدو لا محالة.

بهذه المشاعر نطق صاحبنا تقي الدين الحصني معـبرا عن غضبه الشديد الدال على حبه الشديد لرسول اللـه ﷺ في كتابه (دفع شبه مَن شبَّه وتمرَّدَ) فقـال: (ومن الأمـور المنتَقَدَة عليه ــ أي ابن تيميـة ــ قولـه: زيـارة قـبر النـبي وقبور الأنبياء معصية بالإجماع مقطوع بها، وهذا ثابت عنـه أنه قاله، وثبت ذلك على يد القاضي جلال الدين القزويني فانظر هذه العبارة ما أعظم الفجـور فيهـا من كـون ذلـك معصية، ومن ادعى الإجماع وأن ذلك مقطـوع بـه؟! فهـذا الزائغ يُطالب بمـا ادعـاه من إجمـاع الصـحابة رضـي اللـه عنهم وكذا التابعون ومن بعدهم من أئمــة المســلمين إلى حين ادعائه ذلك. ومـا أعتَقِـدُ أن أحـدًا يتجاسـر على مثـل ذلــك مــع أن الكتب المشـهورة، بــل والمهجـورة وعمــل النــاس في ســائر الأعصــار على الحث على زيارتــه من جميع الأقطار، فزيارته من أفضل المساعي وأنجح القُرَبِ إلى رب العالمين، وهي سنة من سنن المرسـلين ومجمـع عليها عند الموحدين ولا يطعَنُ فيها إلا من في قلبه مرض المنـافقين ومن هـو من أفـراخ اليهـود وأعـداء الـدين من المشركين الـذين أسـرفوا في ذم سـيد الأولين والآخـرين ولم تزل هذه الأمة المحمدية على شد الرحـال إليـه على ممر الأزمان من جميـع الأقطـار والبلـدان، سـار في ذلـك

الزُّرافات والوُحدان والعلماء والمشايخ والكهول والشـبان حتى ظهر في آخر الزمان مبتـدع من زنادقـة حـرَّان لَبَّسَ على أشباه الرجال)

ومثله غضب الشيخ ابن حجر الهيتمي، فقال في كتابـه (الجوهر المنظم في زيارة القبر الشريف المكرّم): (فـإن قلتَ: كيف تحكي الإجماع السابق على مشروعية الزيـارة والسـفر إليهـا وطلبهـا، وابن تيميـة من متـأخري الحنابلـة مُنكرٌ لمشـروعية ذلـك كلّـه كمـا رآه السـبكي في خطـه، وأطال - أعني ابن تيمية - في الاستدلال لذلك بما تـمـجُّـه الأسماع وتنفـر عنـه الطبـاع، بـل زعم حرمـة السـفر لهـا إجماعا، وأنـه لا تقصـر فيـه الصـلاة، وأن جميـع الأحـاديث الواردة فيها موضوعة وتبعه بعض من تأخر عنـه من أهـل مذهبه؟ قلتُ: مَن هو ابن تيمية حتى يُنظرَ إليه ويُعوَّلُ في شيء من أمور الدين عليه؟ وهل هو إلا كمـا قـال جماعـة من الأئمة الذين تعقبوا كلماته الفاسدة وحججـه الكاسـدة حتى أظهروا عوار سقطاته وقبائح أوهامه وغلطاته كـالعز بن جماعة: (عبـد أضـله اللـه تعـالى وأغـواه وألبسـه رداء الخزي وأرداه وبوَأه من قـوة الافـتراء والكـذب مـا أعقبـه الهوان وأوجب له الحرمان)

هـذا مثـال واحـد تـرى بـه كيـف اسـتفزنا وكيـف جـرح مشاعرنا.

قـال صـاحبنا الـتيمي: لقـد صـار هـذا من المسـلمات عندنا، فالقبور واحدة، وكل من توجـه إليهـا، فهـو قبـوري، وكل قبوري، فهو مشرك، وكل مشرك، فهو حلال الدم.

قال الصوفي: أرأيت النتيجة التي كان يـرمي إليهـا ابن تيمية.. إنه لم يكن يهدف بتلك الفتاوى إلى مجـرد النطـق

بحكم رآه أو اجتهد فيه، وإنما انطلـق إلى بـديهيات الـدين ومسلماته التي يقوم عليها لينخر فيها.. فإذا مـا هـدت هـد الدين جميعا.

قال التيمي: إنك تبالغ كثيرا في ذلك.

قال الصوفي: أنا لا أبالغ في ذلك.. ولكن الحقيقة التي تفوح منها كتب ابن تيمية كلها تدل على ذلك، فـابن تيميـة لم يكن يـرى في رسـول اللـه ﷺ سـوى بشـر ممتلئ بالضعف والقصور كلف كما يكلف سـفراء الـدنيا بإرسـال الرسائل، فإذا ما وصلت الرسالة انتهت مهمتـه وانقضـت، ولم تبق له علاقة بالمرسل إليهم.

قال التيمي: إن هذا من العقائد الـتي نعتقـدها، ونجـزم بها.

قـال الصـوفي: ولـذلك تحرمـون التوسـل والاسـتغاثة برسول الله ﷺ.

قال التيمي: نحن لا نحرم ذلك فقط، بل نحن نكفر من يفعل ذلك ونبيح دمه.

قال الصوفي: ولم؟

قال التيمي: لأن رسـول اللـه ﷺ مـات.. وعنـدما مـات صار لا يختلف عن أي جماد من الجمادات.. لا تـرجى منـه أي منفعة، ولا تدفع به أي مضرة.

قال الصوفي: وممن تعلمتم هذا؟

قال التيمي: لقد علمنـا هـذا شـيخنا ابن عبـد الوهـاب، وهو قد تعلمه من شيخه ابن تيمية.

قال الصوفي: فكيف هي علاقتكم برسول الله ﷺ؟

قال التيمي: هي علاقة من جاءته الرسالة، فهو منشغل بها عن موزع البريد الذي جاء بها.

قال الصوفي: ولهذا استطاع ابن تيمية أن يجعل من نفسه بديلا عن رسول الله ﷺ..

قال التيمي: كيف تقول هذا، وهو لم يدع النبوة.

ابتسم، وقال: ألا ترى أنكم تخالفون الأحاديث التي صحت إن وقف منها ابن تيمية موقفا سلبيا؟

قال التيمي: بل.. نفعل ذلك.. فهو حافظ متقن.

قال الصوفي: حتى لو خالف جميع المحدثين.

قال التيمي: أنت لا تعرف ابن تيمية.. لقد جمعت له جميع علوم الدنيا، لقد قال فيه الشاعر:

ماذا يقول الواصفون له ... وصفاته جلّت عن الحصر

هو حجة لله قاهرة ... هو بيننا أعجوبة الدهر

هو آية للخلق ظاهرة ... أنوارها أربت على الفجر[1]

لقد ذكر لي الدكتور عبدالعزيز بن محمد بن عبد الله السدحان ونحن نتذاكر سرعة شيخنا ابن باز في استحضاره للأدلة، فقال: نقل أحدهم مقولة عن بعض أهل العلم مفادُها: (لو لم نُخبرَ بختام النبوة لقُلنا: إن ابن تيمية نبي) فعُرِضت العبارة على بعض أهل العلم فبالغ

1) انظر: العقود الدرية لابن عبد الهادي ص9.

في أنكارِها. وعرضتُها بنفسي على سماحته - رحمـه اللـه تعالى - فتبسم ضاحكًا وقال ما معناه: نعم ، لذلك أصـل.. ثم ذكرَ حديث (لو كان بعدي نبي لكان عمر بن الخطـاب) (1)

أرأيت كيف يعرف الرجال قيمة الرجال؟

قـال الصـوفي: فهنيئـا لكم بنبـوة ابن تيميـة.. ودعونـا لرسول الله.. فنحن نعتقد أن النبوة ختمت به.

الشيعة:

بقي الصوفي طيلة ذلك اليوم يتحدث عن مواقــف ابن تيمية من التصوف وأهله، وقد أحضر معـه جميـع مـا كتب ابن تيمية، وما كتبـه أنصـاره، وقارنـه بمـا كتب الصـوفية.. فدلنا عليه إلى أن وضعنا في موقف حرج عرفنا من خلاله مدى العداوة التي كان يحملها ابن تيمية للصـوفية، ومـدى ظلمه لهم.

وفي اليوم الثاني قام رجل من علماء الشيعة هو أشبه الناس بعالم جليـل من علمـائهم لا يـزال حيـا، هـو السـيد كمال الحيـدري، فقـال: أيهـا الجمـع الكـريم.. لاشـك أنكم تعرفـون مبلـغ عـداوة ابن تيميـة للشـيعة بفرقهـا جميعـا، وخصوصا أصحاب جعفر الصادق، والأئمة الاثني عشر.

قــال الجمــع: أجــل.. فقــد خصــص في ذمكم الكتب والفتاوى.. وسبكم بما لا مزيد عليه.. وعنـدما جـاء أتباعـه من بعـده كتبـوا أضـعاف مـا كتب، وسـبوكم بأضـعاف مـا سـبكم بــه.. بــل أبــاحوا فــوق ذلــك دمــاءكم واســتحلوا أعراضكم.

---

1) الإمام ابن باز دروس وعبر، ص 33.

قال الشيعي: ولذلك سأطرح ظلامتي وظلامة مئات الملايين من الشيعة التي ارتكبها هذا الرجل في حقنا.. وقبل أن أتحدث عن ذلك أحب أن أذكر لكم بأن جميع أصناف العداوة التي عادى بها الصوفية كانت متوجهة لنا أيضا، لأن نتفق مع الصوفية في جميع الجوانب العرفانية والسلوكية التي طرحوها، بل إنا نعتقد أن الصوفية ليسوا سوى أبناء بررة لآل البيت عليهم السلام، حملتهم التقية والظروف الشديدة على أن يظهروا ببعض المظاهر التي نخالفهم فيها.

قال التيمي: لا حاجة لك لبيان ذلك.. فقد كتب تلاميذ ابن تيمية يبرزون الصلة بين التشيع والتصوف..

قال الشيعي: وبناء على هذا فلن أكرر ما ذكره أخي الصوفي.. وإنما أضيف إليه ذكر الحقيقة التي أراد ابن تيمية وأتباعه طمسها.. وهي أنه ليس لنا دين خاص كما يزعم هذا الرجل.. فمصادر ديننا هي نفس مصادر جميع المسلمين من كتاب وسنة إلا فرقا بسيطا، وهو أننا لا نتلقى السنة إلا من المصادر التي نرى سلامتها، ولا حرج علينا في ذلك، فأنتم تعلمون أن لكل فقيه من فقهاء الإسلام من يثق فيه من الرواة، ومن لا يثق فيه.. ومع ذلك فإن نسبة كبيرة من الاتفاق بيننا وبين سائر المسلمين في أكثر النصوص الواردة عن النبي ﷺ.

وهكذا الأمر بالنسبة للكثير من أمور الدين.. فالخلافات بيننا وبين سائر المسلمين فرعية بسيطة لنا أدلتنا عليها، ونحن نحرص على عرضها وتبيان وجاهتها والتحذير من الانحراف الذي وقع في الأمة بسبب التفريط فيها.. أليس لنا حق في ذلك؟ أم ترانا نتمدد ونتوسع إن فعلنا ذلك؟ مع أنه لا يوجد أحد في الدنيا إلا ويشرح مذهبه وآراءه

ليقتنع من يشاء ويعرض من يشاء.

سكت الجمع، فقال: بناء على هذا.. أحب أن أختصر لكم بأن التشيع في حقيقته ليس سوى الولاء التام لمحمد ﷺ وآل بيته الطاهرين، والولاء عندنا ليس المحبة العاطفية المجردة، وإنما هو ولاء شامل لنصرتهم واتباعهم والتمسك بهم.. هذه قناعتنا.. وهذا فهمنا لما ورد في النصوص الدالة على وجوب موالاتهم.. ولهذا لم نزاحم بحب واتباع محمد ﷺ وآل بيته أحدا من الناس مهما كان.. بل اعتبرنا الجمع بين الولاء لمحمد ﷺ وآل بيته الطاهرين نوعا من النفاق.. فكيف يستقيم أن نوالي عليا بن أبي طالب ذلك الذي قال فيه رسول الله ﷺ: (أنت مني بمنزلة هارون من موسى)، وقال فيه: (لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق) مع من كال له العداوة، ونصب له الحرب..

نحن لم ننفذ في مواقفنا من الذين حاربوا عليا أو أبغضوه إلا ما أخبر به رسول الله ﷺ من أنه لا يحبه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق..

وهكذا فعلنا مع الحسنين عليهما السلام.. فأبغضنا أعداءهما، وأحيينا ذكرهما، واعتبرناهما نموذجا للمسلم الكامل الطاهر الذي من سلك سبيله نجا.. وقد كان رائدنا في ذلك تلك الأحاديث الكثيرة التي وردت عن رسول الله ﷺ في حقهما كقوله ﷺ: (من أحب الحسن والحسين أحببته، ومن أحببته أحبه الله، ومن أحبه الله أدخله جنات النعيم، ومن أبغضهما أو بغى عليهما أبغضته ومن أبغضته أبغضه الله، ومن أبغضه الله أدخله جهنم وله عذاب مقيم)(1)، وقوله عنهما: (اللهم! إني أحبهما فأحبهما،

1) رواه الطبراني في الكبير.

وأبغض من أبغضهما)(1)، وقال: (اللهم! إني أحبهما فأحبهما)(2)

وهكذا فعلنا مع جميع الأئمة الاثني عشر الذين أشار إليهم ﷺ في قوله: (الخلفاء من بعدي اثنا عشر) (3).. لقد بان لنا بالأدلة الكثيرة التي سأعرضها عليكم أن هؤلاء الأئمة هم أئمتنا فهم الفقهاء العلماء الربانيون المجاهدون.. وهم الذين اجتمعت الأمة على مراتبهم العالية، ولم يجادل في ذلك أحد من الناس حتى جاء ابن تيمية لينصب لنا من العداوة، ويكذب علينا من الكذب ما لا يزال الأجيال يتلقفونه.

ولسنا ندري سر ذلك.. ولم لم يتعامل معنا كما تعامل مع أصحاب مالك والشافعي وغيرهم من الأئمة، فقد كان لكل منهم خلفاؤه العشر أو الاثني عشر.. وكان يحترمهم جميعا، بل يعتبر أنهم من السلف الصالح.

بل كان فوق ذلك هينا لينا مع كل من عادى أهل البيت.. ألا تعرفون موقفه من اليزيدية تلك الطائفة التي غلت في يزيد بن معاوية وبالشيخ عدي بن مسافر الأموي، والتي اتفق المسلمون على اعتبارها من الغلاة الذين أجمع المسلمون على خروجهم من الملة لأنهم أضافوا إلى البشر صفات الإله.

لقد عاصر ابن تيمية هذه الطائفة فكتب إليهم كتابا استهله بكلام لا يشبه شيئا من كلامه في مخالفيه.. لقد استهل كتابه بقوله: (من أحمد بن تيمية إلى من يصل إليه

---

1) رواه البيهقي في الشعب، والطبراني في الكبير.

2) رواه الترمذي، وقال: حديث حسن صحيح.

3) صحيح البخاري 9 / 101 مسند أحمد بن حنبل 5 / 90، 95. دلائل النبوة 6 / 519.

هـــذا الكتـــاب من المســـلمين المنتســـبين إلى الســـنة والجماعة، والمنتمين إلى جماعـة الشـيخ العـارف القـدوة أبي البركات عدي بن مسافر الأمـوي، ومن نحى نحـوهم، وفقهم اللـه لسـلوك سـبيله.. سـلام عليكم ورحمـة اللـه وبركاته)(1)

انظروا إلى هذا اللين والسماحة والدعة.. انظـروا إليـه كيـــف جعلهم من المســـلمين المنتســـبين إلى الســـنة والجماعة، ودعا لهم بالتوفيق إلى سـلوك السـبيل، ورفـع إليهم تحيـة الإسـلام.. وليس ذلـك لهم وحـدهم، بـل لمن نحى نحوهم أيضا وسلك طريقتهم في الغلو!

بينما إذا جاء إلينا – نحن الذين طبقنا وصية رسول الله ﷺ بلزوم آل بيته والتمسـك بهم - راح يشـنع علينـا، ويعلن كل أصناف العداوة لنـا، بـل إنـه لم يكتـف بـذلك، بـل راح يبيح دماءنا، بل يقوم هو نفسه بذلك..

قام التيمي، وقال: لعلك تقصد الرافضـة في جبـل كسروان القريب من دمشـق والـذين اسـتأذن ابن تيميــة نــائب الســلطان على دمشــق أن يجهز جيشاً، وأن يقاتل هؤلاء في جبلهم، فأذن لـه وأمـر بتكـوين جيش لقتـالهم، وصـحبه في ذلــك القتــال، ومــا زال الجيش في حصــارهم وقتالهم، حـتى فتح الجبـل، وأجلي أهلـه، وقـد ذكــر ابن عبــد الهــادي (ت - 744هــ) أن فتح الجبــل يعــد من الكرامــات المعــدودة لشــيخ

1) الوصية الكبرى لابن تيمية: 5.

الإسلام، ذلك أن أهله من الشيعة الرافضة فتعين قتالهم(1)، وقد كانت هذه الموقعة من أسباب أذية ابن تيمية واضطهاده، وسجنه فيما بعد، وقد ذكر ابن كثير (ت - 774هـ) أن هذه الواقعة ملأت قلوب أعدائه حسداً له وغماً(2).

التفت الشيعي إلى الجمع الحاضر، وقال: ها هو صديق ابن تيمية قد أقر بما فعل ابن تيمية بنا نحن المسالمين الممتلئين عشقا للنبي وآل بيته.. وكل ذنبنا هو أننا لم نر ما يراه، ولم نقل بما يقول به.

قال التيمي: ولكنكم تسبون الصحابة.

قال الشيعي: نحن نفرق بين أمة الرسول ﷺ وصحابته.. ونفرق بين دراسة التاريخ وتقديسه.. ونفرق بين المبادئ والأشخاص.. ولذلك ترون أننا إن نبشنا عن الحقائق لنأخذ منها العبرة، ولنبرز بها الجمال المخبأ خلفها طعنا في الصحابة.

بالله عليكم أيها الجمع كيف نعرف فضائل علي التي وردت بها النصوص إن لم نعرف سيرته وتاريخه وننبش في تفاصيلها.. وكيف نفعل ذلك دون أن نتعرض للتاريخ ومن عاش في التاريخ..

بالله عليكم أيها الجمع كيف نرى فضيلة الحسين الذي اعتبره رسول الله ﷺ سيد شباب أهل الجنة إن لم ندرس التضحيات التي قام بها ونعيشها كل حين.

---

1) انظر: العقود الدرية ص180.

2) البداية والنهاية 14/35.

بالله عليكم أيها الجمع كيف ندرك فضيلة الحسن حبيب رسول الله ﷺ سيد شباب أهل الجنة إن عظمنا قاتله بحجة أنه من الصحابة.

ثم لم يكيل ابن تيمية بالمكاييل المزدوجة، فتراه يسب البدريين والصحابة الكبار ليحفظ ماء وجه الطلقاء والمنافقين..

ثم إن كان يعتبر سب معاوية ضلالة، فكيف لا يعتبر سب علي بن أبي طالب وآل بيت النبي ﷺ ضلالة مع أن الأحاديث التي وردت في فضلهم ووجوب التعلق بهم وتعظيمهم لا يوازيها شيء.

قال التيمي: كذبت في هذا.. فابن تيمية محب لآل البيت معظم لهم.. وقد كتبت الرسائل في بيان ذلك.. وهو وإن ظهر منه بعض القسوة والشدة عليهم، فإنما مصدره في ذلك معارفه الكثيرة وعلومه الجمة.. فهو لم ينطلق إلا من العلم.

ابتسم الشيعي، وقال: اسمح لي قبل أن أجيبك عن هذا أن أذكر لك مقولة ذكرها ابن دقيق العيد في ابن تيمية يعتبرها أصحابك من مناقب ابن تيمية، وأنا لا أراها كذلك، لقد قال فيه: (لما اجتمعت بابن تيمية رأيت رجلاً العلوم كلها بين عينيه، يأخذ منها ما يريد، ويدع ما يريد)(1)

هذه العبارة في الحقيقة هي أحسن تعريف بابن تيمية فهو لا ينطلق في بحثه ودراسته وتحصيله من إرادة الحقيقة، وإنما ينطلق من إرادته هو.. وهو لذلك يستعمل خلاف العلماء في الفقه والحديث والتفسير وغيره وسيلة لذلك.. فإن شاء أن يضع شخصا اختار من العلم ما يضعه

1) الرد الوافر لابن ناصر الدين الدمشقي ص111.

به، وإن شاء أن يرفعه اختار ما يرفعه به، وما أسهل على العالم بآراء الناس أن يستغل ما شاء لما شاء.

انظر – كمثال على ذلك - كيف يجادل في المسـلمات، فقــد اتفقت الأمــة على أن عليــا بن أبي طــالب عليهمــا السـلام أول من أســلم لكن ابن تيميــة يعــبر عن هــذه الحقيقية بهذه الطريقة، فيقـول: (فـان النـاس متنـازعون في أول من أسـلم، فقيـل: أبـو بكـر أول من أسـلم، فهـو أسبق اسلاماً من علي، وقيـل: إنّ عليـا أسـلم قبلـه، لكن على كان صغيرا واسلام الصبي فيه نزاع بين العلمــاء، ولا نزاع في ان اسلام أبي بكر أكمل وأنفع، فيكون هو أكمــل سبقاً بالاتفاق)(1)

انظروا كيف استعمل الـنزاع لينقص من فضـل علي ، بل ليشكك في إسلامه.

وهكـذا عنـدما يتحـدث عن البضـعة الطـاهرة فاطمـة الزهراء (عليها السلام) ومطالبتها بحقها في (فدك) يقول: (وليس تبرئـة الانسـان لفاطمـة من الظن والهـوى بـأولى من تبرئة أبي بكر، فان أبا بكر إمام لا يتصرف لنفسه بــل للمسـلمين، والمــال لم يأخــذه لنفســه بــل للمسـلمين، وفاطمة تطلب لنفسها) (2)

انظروا كيف يهون من أمر فاطمـة عليهـا السـلام تلـك التي اعتبرها رسول الله ﷺ بضعة منه، يرضيها ما يرضـيه، ويؤذيها ما يؤذيه، وهي مع ذلك كله سيدة نساء العالمين.

لكنــه إن تحــدث عن أعــداء آل الــبيت تجــده يصــحح الأحــاديث الضــعيف، ويضــع الإجماعــات ليخــرجهم من

1) منهاج السنة (7/285)

2) منهاج السنة (5/522)

رذائلهم وجرائهم، حتى أنه صنف كتابا أسماه (فضائل معاوية وفي يزيد وأنه لا يسب) مع أن السلف الذي يدعي انتسابه إليهم يذكرون أنه لا يصح في فضائل معاوية حديث واحد(1)

وعندما طلب من النسائي صاحب السنن من بعض النواصب من أهل دمشق أن يكتب في فضائل معاوية فقال: ما أعرف له فضيلة إلا: (لا أشبع الله بطنه!)(2)

أما ما ثبت في ذمه من كبار الصحابة وآل البيت فلا يعد ولا يحصى.. ولكن ابن تيمية يرفض كل ذلك.. بل إنه يعتبر معاوية وابن يزيد وغيرهم من الظلمة من الخلفاء الاثني عشر الذي نص عليهم رسول الله ﷺ، بل اعتبرهم هداة مهديين.

وعندما أتى إلى قوله ﷺ: (إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي: كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض)(3)، وقوله ﷺ: (إني تارك فيكم الثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور... وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي)(4)

ولم يستطع أن يتملص من تصحيحه راح يتأوله ويتلاعب به ويشكك في صحته، فيقول: (الحديث الذي في مسلم إذا كان النبي قد قاله فليس فيه إلا الوصية

---

1) نقل ذلك الحافظ الذهبي عن إسماعيل بن راهويه الذي كان يقرن بالإمام أحمد بن حنبل. (سير أعلام النبلاء 3: 132)

2) (سير أعلام النبلاء 14: 125، وفيات الأعيان 1: 77)

3) سنن الترمذي: ح / 3788، مسند أحمد 3/ 17، المستدرك 3 / 148 وغيرها.

4) صحيح مسلم ح / 2408

باتباع الكتاب، وهو لم يأمر باتباع العترة ولكن قال: أذكركم الله في أهل بيتي)[1]

لكنه إن جاء إلى ما فيه مذمة لآل البيت من طريق أعدائهم راح ينشره ويستخرج منه الفوائد الكثيرة.. ولهذا ترونه كل حين يكرر تلك القصة الموضوعة المكذوبة عن خطبة علي لابنة أبي جهل، كرر الكلام فيها في أكثر من موضع من كتابه منهاج السنة! مع أن القصة نسجها المسور بن مخرمة، أو كذبها عليه الكرابيسي.. وكلا الرجلين ناصبين مشهورين ببغض علي والانحراف عنه وتعظيم أعدائه وموالاتهم[2]..فقد كان المسور بن مخرمة، لا يذكر معاوية إلا صلى عليه، وكان حليفا للخوارج، يجتمعون عنده ويستمعون حديثه، بل كانوا ينسبون إليه فيعدونه قدوة لهم[3]!!

وهكذا يستعمل علمه ودجله وأحقاده ليرميها جميعا على علي، ويضعه مع الطلقاء النواصب في خانة واحدة، فيقول: (علي إنما قاتل الناس على طاعته، لا على طاعة الله.. فمن قدح في معاوية بأنه كان باغيا قال له النواصب: وعلي أيضا كان باغيا ظالما.. قاتل الناس على إمارته وصال عليهم.. فمن قتل النفوس على طاعته كان مريدا للعلو في الأرض والفساد، وهذا حال فرعون، والله تعالى يقول: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَاداً وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) (القصص: 83)، فمن أراد العلو في الأرض والفساد لم يكن من أهل

1) منهاج السنة 4: 85

2) شرح نهج البلاغة 4: 64

3) سير أعلام النبلاء 3: 390 - 393

السعادة في الآخرة!!)(1)

وهكذا عنـدما يتحـدث عن علم علي، والـذي هـو محـل اتفاق من الأمة جميعا، يقول: (ليس في الأئمة الأربعـة ولا غيرهم من أئمـة الفقهـاء من يرجـع إلى علي في فقهـه.. فمالـك أخـذ علمـه عن أهـل المدينـة، وأهـل المدينـة لا يكادون يأخذون عن علي!.. وأبو حنيفة والشافعي وأحمـد تنتهي طـرقهم إلى ابن عبـاس، وابن عبـاس مجتهـد مستقل، ولا يقول بقول علي!!)(2)

مـع أن ابن عبـاس يقـول: (أعطي علي تسـعة أعشـار العلم، وإنه لأعلمهم بالعشر الباقي)(3)

وهكذا إن جاء إلى الحسين تجده يعتبره أدنى من يزيـد ذلك الظالم الطاغية الباغي، وكمثـال على ذلـك قولـه في خروج الحسين على يزيد: (هذا رأي فاسد، فـإن مفسـدته أعظم من مصلحته، وقل خرج على إمـام ذي سـلطان إلا كـان مـا تولـد على فعلـه من الشـر أعظم ممـا تولـد من الخير)(4)

وهكذا في سائر آل البيت عليهم السلام.

قال التيمي: ولكنكم تقول بعصمة الأئمة..

قال الشيعي: نحن لا نقولها من عندنا.. لقد أخبرنا اللـه بأنه طهرهم، ودعانا النـبي ﷺ إلى الاقتـداء بهم والتمسـك بحبلهم، بـل اعتـبرهم سـفينة النجـاة، ومـا كـان النـبي ﷺ

1) انظر: منهاج السنة 2: 202 - 205، 232 – 234.

2) منهاج السنة 4: 142 - 143

3) طبقات الفقهاء: 42.

4) منهاج السنة 2: 241

ليدلنا على ضلالة.

ونحن إن جوزنـا عليهم الخطـأ سـرى ذلـك لكـل قـول يقولونه، أو فعل يفعلونه، ومن أين لنـا بعـد ذلـك أن نمـيز بين الخطأ والصواب والهداية والضلالة..

إن دعـــوة النـــبي ﷺ للتمســـك بهم هـــو دليلنـــا على عصـمتهم.. ثم مـا يضـيركم ذلـك.. أوليس إحسـان الظن أولى من إسـاءته.. وهـل أتـاكم من النصـوص مـا يعتـبر العصمة خاصة بالأنبيـاء.. أو لسـتم تنقلـون في كتبكم عن حفـظ اللـه للصـالحين والأوليـاء.. فلم لم تعـاملوا هـؤلاء المطهرين كما تعاملون من ترونه من الصالحين؟

أو لســتم في تعــاملكم مــع ابن تيميــة تنزلونــه هــذه المنزلة، فتخضعون لكـل أقوالـه، ولا تناقشـونه في شـيء منها؟

أولستم تقولون بعصمة المحدثين عندما تعتبرونهم ثقاة في كل ما يروونه؟

أو ليس كــل أتبــاع المــذاهب يقولــون بعصــمة أئمــة مذهبهم، حين يقلدونهم دون أن يسألوهم عن أدلتهم؟

إنكم جميعا تقولـون بعصـمة الأئمـة.. لكن إن قلنـا بهـا نحن بناء على نصوص صحيحة وردتنا رحتم تؤلبون النـاس علينا، وتستهزئون بنـا مـع أن أئمتنـا أنفسـهم يضـعون لنـا الضوابط الصحيحة لاتباعهم، فعن عبد الله بن أبي يعفـور، قال:سألت أبا عبد الله (ع) عن اختلاف الحديث يرويه من نثق به، و منهم من لا نثق به؟ قال: (إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهدا من كتاب الله، أو من قول رسـول اللـه

ﷺ، وإلا فالذي جاءكم به أولى به)(1).

وعن أيوب بن الحر قال: سمعت أبا عبد الله (ع) يقول: (كل شيء مردود إلى كتاب الله و السنة، فكل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف)

وعن أبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق (ع) قال: (ما لم يوافق من الحديث القرآن فهو زخرف)

وجاء رجل إلى أمير المؤمنين (ع) فقال: أخبرني عن السنة والبدعة، والجماعة والفرقة، فقال له أمير المؤمنين (ع): (السنة ما سن رسول الله ﷺ، والبدعة ما أحدث من بعده، والجماعة أهل الحق وإن كانوا قليلا، والفرقة أهل الباطل وإن كانوا كثيرا)

وهكذا تجد أئمتنا عليهم السلام يدعون إلى إرجاع ما ورد عنهم إلى كتاب الله.. فهل تجدون في علمائكم من يقول هذا.. ألستم تضربون القرآن بالحديث؟

هل في علمائكم من قال ما قال علي (ع): (ما جاءتك رواية من بر أو فاجر توافق القرآن فخذ بها، وما جاءتك من رواية من بر أو فاجر تخالف القرآن فلا تأخذ بها)

أو لستم تقبلون كل من تعتبرونه ثقة حتى لو خالف المنقول والمعقول حتى جعلكم ذلك تشوهون نبيكم وتشوهون دينكم.

أو لم تقبلوا حديث السحر وأن رسول الله ﷺ سحر، وتصرخون بها كل حين في كل المجامع مع أن الله تعالى نزهه عن ذلك وعصمه عنه، بل نزه كل الأنبياء وأخبر بعصمته عنه.

---

1) البهبودي/صحيح الكافي/ج 1/ص11، ونفس المصدر الأحاديث التالية.

اسمعوا أيها الجمع ما يقـول ابن القيم، وهـو تلميـذ ابن تيمية النجيب لتعرفـوا كيـف يقـول هـؤلاء بعصـمة الـرواة حتى لو كانت على حساب عصمة رسول الله ﷺ..

سـاقرأ لكم النص كمـا ورد، وأتـرك لعقـولكم التعليـق، يقول ابن القيم في التفسـير القيم بعـد أن ذكـر الحـديث الذي ينص على سحر رسول الله ﷺ: (وهذا الحديث ثـابت عند أهل العلم بالحديث متلقى بـالقبول بينهم لا يختلفـون في صحته، وقد اعتاص على كثير من أهل الكلام وغـيرهم وأنكروه أشد الإنكار وقابلوه بالتكذيب، وصنف بعضهم فيه مصنفا مفردا حمل فيه على هشام وكان غايـة مـا أحسـن القول فيه أن قال غلط واشـتبه عليـه الأمـر ولم يكن من هذا شيء، قال لأن النـبي لا يجـوز أن يسـحر فإنـه يكـون تصـديقا لقـول الكفـار: {إِنْ تَتَّبِعُـونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْـحُورًا } [الإسراء: 47] قالوا وهذا كما قـال فرعـون لموسـى: إني لأظنك يا موسـى مسـحورا {الإسـراء: 101} وقـال قـوم صالح له: { إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَـحَّرِينَ } [الشـعراء: 153] وقال قـوم شـعيب لـه: إنمـا أنت من المسـحرين ـ قـالوا فالأنبياء لا يجوز عليهم أن يسحروا، فإن ذلك ينافي حماية الله لهم وعصمتهم من الشياطين، وهذا الذي قالـه هـؤلاء مـردود عنـد أهـل العلم، فـإن هشـاما من أوثـق النـاس وأعلمهم ولم يقـدح فيـه أحـد من الأئمـة بمـا يـوجب رد حديثـه، فمـا للمتكلمين ومـا لهـذا الشـأن، وقـد رواه غـير هشـام عن عائشـة، وقـد اتفـق أصـحاب الصـحيحين على تصحيح هذا الحديث ولم يتكلم فيه أحـد من أهـل الحـديث بكلمة واحدة، والقصة مشهورة عند أهل التفسير والسنن والحديث والتاريخ والفقهـاء، وهـؤلاء أعلم بـأحوال رسـول الله وأيامه من المتكلمين. قالوا: والسحر الذي أصابه كان مرضا من الأمراض عارضـا شـفاه اللـه منـه ولا نقص في

ذلك ولا عيب بوجه ما، فإن المرض يجوز على الأنبياء، وكذلك الإغماء فقد أغمي عليه في مرضه، ووقع حين انفكت قدمه وجحش شقه، رواه البخاري ومسلم، وهذا من البلاء الذي يزيده الله به رفعة في درجاته ونيل كرامته، وأشد الناس بلاء الأنبياء فابتلوا من أممهم بما ابتلوا به من القتل والضرب والشتم والحبس، فليس ببدع أن يبتلى النبي من بعض أعدائه بنوع من السحر كما ابتلي بالذي رماه فشجه، وابتلي بالذي ألقى على ظهره السلا وهو ساجد وغير ذلك، فلا نقص عليهم ولا عار في ذلك، بل هذا من كمالهم وعلو درجاتهم عند الله)

هل سمعتم أيها الناس ما يقول هؤلاء.. وكيف لنا أو لأي عاقل أن يصدق نبيا مسحورا.. يرى أنه فعل الشيء مع أنه لم يفعله، أو قال الشيء مع أنه لم يقله..

لقد قالوا بعدم عصمة النبي ﷺ من السحر مخالفين القرآن لأجل حفظ عصمة هشام أو عائشة رواه الحديث..

قارنوا بين هذا وبين مواقفنا من أئمتنا.. أينا يقول بالعصمة هل نحن أم هم؟

ولهذا لا تجدون عندنا كتبا نسلم لها بالصحة المطلقة، فكل ما عندنا عرضة للاجتهاد، فأي مجتهد رأى في أي نص من النصوص مخالفة للقرآن الكريم أو للمتواتر من الحديث رماه، وجاز له أن لا يأخذ به.. فهل عندكم معشر التيميين من يقول بهذا؟

أم أنكم لأجل الحديث الواحد تخالفون التاريخ والجغرافيا والعقل والنقل.. وكل شيء.

وليتكم تفعلون هذا مع القضايا البسيطة والجزئية

والتي قد لا يكون فيها أي ضـرر كبـير على الأمـة جميعـا.. لا.. إنكم تفعلون هذا في كـل القضـايا الكـبرى ابتـداء من العقائد إلى الحياة جميعا.

سكت قليلا، ثم نظر إلى بعض المسـيحيين ممن كـانوا حاضرين في ذلك المجلس، وقال: ألم تعلموا مــا ورد في القرآن الكريم من كيفية التعامـل مـع أهـل الكتـاب، ومن عدم الإكراه في الـدين، ومن أن وظيفـة الرسـول والأمـة بعده هي البلاغ، وتبيان الدين بالحكمة والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسـن.. أليسـت هـذه حقـائق مقـررة في القرآن؟

من كان لديه مخالفة لها.. فلينطق..

سـكت الجميـع، فقـال: ولكنكم – وخصوصـا معشـر التيميين والوهابيين – رميتم بكل تلك النصوص المعصومة المتفق عليها عـرض الحائـط، ورحتم تسـتدلون بالحـديث لأن الرواة عندكم ثقاة معصومون حتى لو خالف ما جاءوا به القرآن الكريم.

اسمعوا – معشر الحاضرين- لمـا ذكـره الـرواة من أن رسول الله ﷺ قال: (بعثت بالسيف بين يدي الساعة حتى يعبـد اللـه وحـده لا شـريك لـه، وجعـل رزقي تحت ظـل رمحي وجعل الذلـة والصـغار على من خـالف أمـري ومن تشبه بقوم فهو منهم)(1)

لـو كـان هـذا الحـديث عنـدنا – أشـياع آل محمـد ﷺ - لرمينـا بـه عـرض الحائـط، لأنـه لا يتفـق مـع مـا جـاء في

______

1) أحمد(5114،5115،5667)، والخطيب في الفقية والمتفقه (2/73)، وابن عساكر(19/96/1)

القرآن.. فالقرآن عندنا هو الحكم الذي يلجأ إليه.. لكنكم – ولقولكم بعصمة الرواة والعلماء والفقهاء – لم تترددوا في رمي كل القرآن من أجل هذا الحديث حتى قال بعضكم تعليقا على الحديث: (أرسل محمد ﷺ بأربعة سيوف: سيف على المشركين من العرب حتى يسلموا.. وسيف على المشركين من غيرهم حتى يسلموا أو يسترقوا أو يفادوا بهم.. وسيف على أهل القبلة من أهل البغي.. وسيف على أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية.. وسيف على أهل البغي)

ولم تكتفوا بهذا، بل رحتم تنقلون عن الخلفاء والصحابة الذين ترون عصمتهم ما يشوه تسامح الإسلام.. لقد كتب ابن تيمية يقول في كتابه الذي أراد به أن يميز المسلمين عن غيرهم في كل شيء حتى في اللباس والمظهر في فصل تحت عنوان (الإجماع على الأمر بمخالفة الكفار والنهي عن مشابهتهم)، جاء فيه قوله: (.. من ذلك: أن أمير المؤمنين عمر في الصحابة، ثم عامة الأئمة بعده، وسائر الفقهاء، جعلوا في الشروط المشروطة على أهل الذمة من النصارى وغيرهم، فيما شرطوه على أنفسهم: (أن نوقر المسلمين، ونقوم لهم من مجالسنا، إذا أرادوا الجلوس، ولا نتشبه بهم في شيء من لباسهم قلنسوة، أو عمامة، أو نعلين، أو فرق شعر، ولا نتكلم بكلامهم، ولا نكتنى بكناهم، ولا نركب السروج، ولا نتقلد السيوف، ولا نتخذ شيئا من السلاح، ولا نحمله، ولا ننقش خواتيمنا بالعربية، ولا نبيع الخمور، وأن نجز مقادم رؤوسنا، وأن نلزم زينا حيثما كان، وأن نشد الزنانير على أوساطنا، وأن لا نظهر الصليب على كنائسنا، ولا نظهر صليبا ولا كتبا، في شيء من طرق المسلمين،

ولا أسواقهم، ولا نضـرب بنواقيسـنا في كنائسـنا إلا ضـربا خفيا ولا نرفع أصواتنا مع موتانـا، ولا نظهـر النـيران معهم في شيء من طرق المسلمين).

وقد علق ابن تيمية على هذا النص بقوله: (رواه حـرب بإسناد جيد)، انظروا.. لأجل عصمة الإسناد الجيد راح يبني ابن تيميـة أحكامـه الجـائرة الـتي تشـوه جمـال سـماحة الإسـلام، ونـبي الإسـلام، ولا يعنيـه بعـد ذلـك أن يضـرب بالقرآن الكريم جميعا عرض الحائط.

ولم يكتـف بهـذا، بـل راح ينقـل عن غـيره بالأسـانيد الجيدة ما يشوه الدين جميعا، حتى الشخصية التي يتصـور المسلمون أنها ملأت عهدها عدلا

انظروا ماذا يقول عن عهد عمر بن عبد العزيز: (وروى أيضا أبـو الشـيخ بإسـناده، عن محمـد بن قيس وسـعد بن عبد الرحمن بن حبان، قالا: دخل ناس من بني تغلب على عمر بن عبد العزيز وعليهم العمائم كهيئة العـرب، فقـالوا يا أمير المؤمـنين ألحقنـا بـالعرب، قـال: فمن أنتم؟ قـالوا نحن بنو تغلب، قال: أولسـتم من أوسـط العـرب؟ قـالوا: نحن نصارى، قـال: عليّ بجلم فأخـذ من نواصـيهم، وألقى العمائم، وشق رداء كل واحد شـبرا، يحـتزم بـه، وقـال: لا تركبوا السـروج، واركبـوا على الأكـف، ودلـوا رجليكم من شق واحد)

يا قـوم.. هـل هـذا هـو الـدين.. قـارنوا بين هـذا.. وبين التعاليم التي نص عليهم آل البيت الكريم، والـتي تتناسـق تماما مع ما ورد في القرآن الكريم، لقد قـال الإمـام علي في عهده لمالك الاشتر لما ولاه مصـر: (... وأشـعر قلبـك الرحمـة للرعيـة والمحبـة لهم واللطـف بهم ولا تكـونن

عليهم سبعاَ ضارياَ تغتنم أكلهم فإنهم صـنفان: إمـا أخ لـك في الـدين، أو نظـير لـك في الخلـق يفـرط منهم الزّلـل وتعرض لهم العلل، ويؤتى على ايديهم في العمد والخطـأ، فأعطهم من عفوك وصفحك مثـل الـذي تحب أن يعطيـك الله من عفوه وصفحه)

فأيهمـا أقـوم قيلا، وأقـرب عصـمة، هـل مـا تروونـه بأسانيدكم الجيـاد.. أم مـا نرويـه عن إمامنـا الـذي شـغفنا بحبه.. والذي جنبنا الله بالتمسك به من أن نظلم أحدا من الناس من أي دين أو مذهب.

ساد الجمع سكون عميق، قطعه التيمي بقهقهة عاليـة، قال بعدها: دعنا من كـل هـذا.. وقص علينـا قصـة الحمـار يعفور.. أليس الحمار يعفور معصوما عندكم؟

ابتسم الشيعي، وقـال: هـذا مـا تتقنونـه.. مـع أن هـذه القصة مروية في كتبكم كما هي مرويـة في كتبنـا.. ونحن لا نقبلها كما أنكم لا تقبلونها.. ثم ما الضرر فينا لو قبلناها، فأيهما أعظم خطرا، أن نقبل حمـارا يتكلم معجـزة لنـبي، أم اعتقاد سـحر رسـول اللـه ﷺ، وظلم من أمرنـا بـبرهم والإحسـان إليهم.. وأشـياء كثـيرة يسـتحيي العفيـف من ذكرها.

أهل الكتاب:

ظـل الشـيعي يتحـدث يومـا كـاملا، وقـد أتى معـه من الوثـائق مـا جعلنـا نتأسـف لتلـك المظـالم الكثـيرة الـتي أصابتهم بسبب ابن تيمية وأحفاد ابن تيمية.

وفي اليوم الثالث تقدم رجل يرتدي لباس أهل الكتاب، وقال: دعوني اليوم أتحدث أنا عن عـداوة ابن تيميـة لنـا..

نحن الذين قدر الله أن نعيش بين المسلمين لنكون رمـزا للتسامح والأخوة والتعايش.. لكن ابن تيمية ذلـك المجـرم العتيد قلب الحياة، وقلب الموازين، وملأ الصـدور ضـغائن وأحقادا.

قـال الـتيمي: ليس ابن تيميـة هـو الـذي عـاداكم، بـل القرآن هو الذي عاداكم؟

قال الكتابي: حاشا القرآن من ذلك.. القرآن هـو الـذي حث على مودتنا، ففيه:

وهو الـذي حث على برنـا ومودتنـا: (لَا يَنْهَـاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (8) إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَـاتَلُوكُمْ فِي الـدِّينِ وَأَخْرَجُـوكُمْ مِنْ دِيَـارِكُمْ وَظَـاهَرُوا عَلَى إِخْـرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَـوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ (9)(الممتحنة)

وهــو الــذي حث على جــدالنا بــالتي هي أحســن: (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَـنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُـوا مِنْهُمْ وَقُولُــوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْـزِلَ إِلَيْنَـا وَأُنْـزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَـا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ (46) (العنكبوت)

وهو الذي أقر بوجود الصالحين فينا: (لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْـلِ الْكِتَـابِ أُمَّةٌ قَائِمَـةٌ يَتْلُـونَ آيَـاتِ اللَّهِ آنَـاءَ اللَّيْـلِ وَهُمْ يَسْـجُدُونَ (113) يُؤْمِنُـونَ بِاللَّهِ وَالْيَـوْمِ الْآخِـرِ وَيَـأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَـوْنَ عَنِ الْمُنْكَـرِ وَيُسَـارِعُونَ فِي الْخَيْـرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّـالِحِينَ (114) وَمَـا يَفْعَلُـوا مِنْ خَيْـرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ (115) (آل عمران)

قال التيمي: وماذا فعل ابن تيمية؟

قـال الكتـابي: لا حاجـة لي أن أعيـد مـا ذكـره أخي الشيعي، فقد بين ذلك التمييز العنصري الـذي طرحـه ابن تيمية وانتصر له.. فهو مما شوه عدالة الإسلام وسماحته.

ولكـني سـأحدثكم بـدلا عن ذلـك عن فتـوى خطـيرة لا زالت الوهابية وأذنابها تتبناها، إنهـا فتـواه بتـدمير كنائسـنا، تلك التي أمر القرآن الكريم بالحفـاظ عليهـا، والجهـاد في سبيل الحفاظ عليها، أليس في القرآن الكريم: (وَلَوْلا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَهُـدِّمَتْ صَـوَامِعُ وَبِيَـعٌ وَصَـلَوَاتٌ وَمَسَـاجِدُ يُـذْكَرُ فِيهَـا اسْـمُ اللَّهِ كَثِـيراً وَلَيَنْصُـرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ)(الحج: من الآية40)

لكن ابن تيميـة ضـرب بهـذا النص المقـدس عـرض الحائط، وضرب بأمثاله من النصوص المحمدية التي تدعو إلى حفظ المعابـد عـرض الحائـط، وراح بـدل ذلـك يفـتي بحرمة بناء الكنائس، وتهديم ما بني منها.

وله في ذلك فتاوى كثيرة أكتفي هنـا بـذكر ملخص لهـا ذكره تلميـذه النجيب ابن القيم، وهـو (أن كـل كنيسـة في مصر والقاهرة والكوفة والبصرة وواسـط وبغـداد ونحوهـا من الأمصار التي مصـرها المسـلمون بـأرض العنـوة فإنـه يجب إزالتها إما بالهـدم أو غـيره، بحيث لا يبقى لهم معبـد في مصر مصره المسلمون بـأرض العنـوة، وسـواء كـانت تلك المعابد قديمة قبل الفتح أو محدثـة، لأن القـديم منهـا يجوز أخذه ويجب عند المفسدة.. فلا يجوز للمسـلمين أن يمكنوا أن يكون بمدائن الإسلام قبلتان إلا لضرورة كالعهد القديم، لا سيما وهذه الكنائس التي بهذه الأمصـار محدثـة يظهـر حـدوثها بـدلائل متعـددة والمحـدث يهـدم باتفـاق الأئمة.. وأما الكنائس التي بالصعيد وبر الشام ونحوها من أرض العنوة فما كان منها محدثا وجب هدمـه، وإذا اشـتبه

المحدث بالقـديم وجب هـدمها جميعـا لأن هـدم المحـدث واجب وهدم القـديم جـائز ومـا لا يتم الـواجب إلا بـه فهـو واجب، وما كان منها قديما فإنه يجوز هدمه ويجوز إقراره بأيديهم فينظـر الإمـام في المصـلحة فـإن كـانوا قـد قلـوا والكنائس كثيرة أخذ منهم أكـثرهم. وكـذلك مـا كـان على المسـلمين فيـه مضـرة فإنـه يؤخـذ أيضـا ومـا احتـاج المسلمون إلى أخذه أخذ أيضا. وأما إذا كانوا كثـيرون في قرية ولهم كنيسة قديمـة لا حاجـة إلى أخـذها ولا مصـلحة فيه فالذي ينبغي تركها.. وأما ما كان لهم بصلح قبل الفتح مثل ما في داخل مدينة دمشق ونحوها فلا يجوز أخـذه مـا دامـوا مـوفين بالعهـد إلا بمعاوضـة أو طيب أنفسـهم كمـا فعل المسلمون بجامع دمشق لما بنوه) (1)

وبناء على هذا قسم الكنائس إلى ثلاثـة أقسـام: (منهـا ما لا يجوز هدمه.. ومنها ما يجب هدمه كالتي في القاهرة مصر والمحدثات كلهـا.. ومنهـا مـا يفعـل المسـلمون فيـه الأصلح كالتي في الصـعيد وأرض الشـام ممـا كـان قـديما على ما بيناه)

ثم خاطب أولي الأمر من الوهابية وآل سعود والقاعدة والجماعات الجهادية والإخوان وكل من يرى في ابن تيمية مصـدرا من المصـادر بقولـه: (فـالواجب على ولي الأمـر فعل ما أمر الله به ومـا هـو أصـلح للمسـلمين من إعـزاز دين اللـه وقمـع أعدائـه وإتمـام مـا فعلـه الصـحابة من الزامهم بالشـروط عليهم ومنعهم من الولايـات في جميـع أرض الإسـلام ولا يلتفت في ذلـك إلى مرجـف أو مخـذل يقول إن لنا عندهم مساجد وأسرى نخاف عليهم فإن الله تعـالى يقـول (وَلَيَنصُـرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُـرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَـوِيٌّ

1) انظر: أحكام أهل الذمة جـ 2 / 677: 686

عَزِيزٌ) وإذا كان فوروز في مملكة التتار قد هدم عامة الكنائس على رغم أنف أعداء الله فحزب الله المنصور وجنده الموعود بالنصر إلى قيام الساعة أولى بذلك وأحق فإن النبي ﷺ أخبر أنهم لا يزالون ظاهرين إلى يوم القيامة)(1)

بعد هذه النصوص – أيها السادة- كيف تطلبون منا أن نهدأ أو تقر لنا عين أو نرتاح في وطن يرانا أبناؤه غرباء عنهم.. يحتقروننا، ويضيقون علينا، ويطلبون منا أن نقص من شعورنا ما لا رغبة في قصه، ونلبس من الثياب ما لا رغبة في لباسه.. وفوق ذلك يطلبون منا أن نهمس بقراءة أناجيلنا، وأن نكف عن بناء الكنائس في أرضنا..

أي دين يقول هذا؟.. وأي نبي ينزل عليه الوحي من السماء بهذا؟

ألا ترون أن ابن تيمية وأتباع ابن تيمية يجروننا إلى المواجهة جرا؟

الأشاعرة:

بقي الكتابي يومه ذلك يحدثنا عن جرائم ابن تيمية في حق أهل الكتاب، وما انبنى عليها بعد ذلك من إرهاب، وقد أحضر معه من الوثائق ما لم نستطع دفعه، وما جعلنا أو جعل الكثير منا يقر بأن ما فعله ابن تيمية بأهل الكتاب ينسخ سماحة الإسلام وعدالته ودعوته.. بل يجعل من آراء ابن تيمية في هذا المجال دينا قائما بذاته لا علاقة له بالإسلام، أو سماحة الإسلام.

بعد أن انتهى من حديثه قام رجل تبدو عليها سيما

1) انظر: أحكام أهل الذمة جـ 2 / 677: 686

العلماء، وقال: لن أطيل عليكم.. فأنا حارس على ثغر من ثغور الإسلام يسمى التوحيد والعقيدة.. وقد اصطلح الناس على تسميتنا علماء الكلام.. وأنا خصوصا من فرقة منهم تنتشر في جميع الأرض يطلق عليها الأشاعرة.. منها العلماء والباحثون الكبار..

لا أزعم أننا معصومون في كل ما طرحناه، إلا في شيء واحد نحسب أن الله قد عصمنا فيه.. أتدرون ما هو؟

سكت الجميع، فقال: إنه شيء واحد.. هو بغضنا لابن تيمية وأذناب ابن تيمية.

ونحن لا نبغضه أو نعاديه لأجل أنفسنا، وإن كانت نفوسنا لدينا عزيزة، وإنما لأجل أنه يلجأ إلى كل ما بنيناه ليهدمه غير مبال أن يهدم معه الإسلام جميعا.. ولذلك من السهل على كل من يريد أن يهدم الإسلام وعقائد الإسلام أن يلجأ إلى مقولات هذا الرجل ليرى فيها كيف تتأسس العقائد، وكيف يتحول جمال العقائد الإسلامية إلى خرافات وأساطير دونها خرافات اليونان وأساطيره.

قبل أن أذكر لكم عداوته لنا أذكر لكم عداوته لله..

قام التيمي مغضبا، وقال: ماذا تقول أيها الرجل.. لقد عاش ابن تيمية حياته جميعا داعيا إلى الله.. فكيف يكون عدوا لله؟

ابتسم المتكلم، وقال: لقد اعتبر القرآن الكريم أساس التعرف على الله هو تنزيهه وتقديسه وتعظيمه.. لكن ابن تيمية أبى ذلك فاعتبر الله جرما من الأجرام.. وجسما من الأجسام.. له جميع مواصفات الأجسام من تركيب وحيز

وحدود وثقل وغير ذلك.. ولم يكتف بما ورد في القرآن أو في السنة الصحيحة، بل راح إلى اليهود ليأخذ منهم عقيدة التجسيم والتشبيه..

نهض التيمي مغضبا، وقال: كف عن هذا لا أبا لك.. فابن تيمية هو أبو التنزيه، فكيف يكون مجسما أو مشبها.

ابتسم المتكلم، وأخرج كتابا من محفظته، ثم قال: هذا كتاب لابن تيمية، وهو مطبوع في بلد التوحيد (السعودية)، وفي نقطة مركز التوحيد (الرياض) عنوانه (بيان تلبيس الجهمية) اسمعوا ماذا يقول فيه – وهو ينص على إثبات الكيفية التي تستلزم الكمية والشكلَ، وينسب ذلك إلى السلف كاذبا عليهم-: (..وأما قوله (الكيفية تقتضي الكمية والشكل)، فإنه إن أراد أنها تستلزم ذلك فمعلوم أن الذين أثبتوا الكيفية إنما أرادوا الصفات التي تخصه كما تقدم، وإذا كان هذا مستلزماً للكمية فهو الذي يذكره المنازعون أنه ما من موصوف بصفة إلا وله قدْر يخصه، وأكثر أهل الحديث والسنة من أصحاب الإمام أحمد رحمه الله وغيرهم لا ينفون ثبوت الكيفية في نفس الأمر بل يقولون لا نعلم الكيفية.. وهو موافق لقول السلف رضي الله عنهم والأئمة كما قالوا لا يعلم كيف هو إلا هو، وكما قال مالك الاستواء معلوم والكيف مجهول وأمثال هذا كثير في كلامهم ومنهم من ينفي ذلك ويقول لا ماهية له فتجري في مقال ولا كيف فيخطر ببال وهذا قول ابن عقيل وغيره وهذا موافق لقول نفاة الصفات.. ومعلوم أن الموجود يُنظر في نفسه وفي صفته وفي قدرْه، وإن كان اسم الصفة يتناول قدْره ويستلزم ذاته أيضاً، فإذا عُلم بصريح العقل أنه لا بد له من وجود خاص أو حقيقة يتميز بها ولا بد له من صفات تختص به لا يشركه فيها أحد

فيقال وكذلك قدره)(1)

أخرج كتابا آخر عنوانه (الرد على الجهمية)، ثم راح يقرأ: (أخرج الدارمي بسنده عن عطاء بن يسار أنه قال: أتى رجل كعباً وهو في نفر. فقال يا أبا إسحاق حدثني عن الجبار؟ فأعظم القوم قوله. فقال كعب: دعوا الرجل فإن كان جاهلاً تعلم وإن كان عالماً ازداد علماً. ثم قال كعب: أخبرك أن الله خلق سبع سموات ومن الأرض مثلهن. ثم جعل ما بين كل سماءين كما بين السماء الدنيا والأرض، وكثفهن مثل ذلك. ثم رفع العرش فاستوى عليه. فما في السموات سماء إلا لها أطيط كأطيط الرحل العلافي أول ما يرتحل من ثقل الجبار فوقهن).. وساق بعده أحاديث أخرى ثم قال: (والأحاديث عن رسول الله ﷺ وعن أصحابه والتابعين ومن بعدهم في هذا أكثر من أن يحصيها كتابنا هذا غير أنا قد اختصرنا من ذلك ما يستدل به أولو الألباب)(2)

أغلق الكتاب، ثم قال: الأمثلة على هذا أكثر من أن تحصى، ومن شاء منكم أن يحصيها له، فليحضر مجالس العلم ليرى الفرق بين عقدة التنزيه والتعظيم التي يؤمن بها جميع المسلمين من شيعة ومعتزلة وأشاعرة وماتريدية وصوفية وزيدية وغيرهم وبين عقيدة هذا الرجل وأذنابه(3).

فهل ترونا بعد ذلك نسكت عن عداوته أو عن إعلان بغضنا له؟

---

1) بيان تلبيس الجهمية 1/347.

2) الرد على الجهمية 279.

3) سنرى التفاصيل الكثيرة عن هذا في محالها الخاصة من هذه السلسلة.

سكت الجمع، فقال: ولهذا أعترف أمامكم بأننا كنا سببا في سجنه، ولم نندم على ذلك، فالفتنة التي أحدثها لا تقل عن فتنة اللصوص والمجرمين والمحاربين..

قال التيمي: دعنا من الحديث عن الله.. فالله ليس ملكا لأحد.. وحدثنا عن عداوته لكم.

نظر المتكلم إلى التيمي، وقال: هل ترضى يا أخي أن ترمى بالشذوذ والتخنث؟

قال التيمي: كيف أرضى بذلك، ومن يرضى بذلك؟

قال المتكلم: فقد كان ابن تيمية يرمينا بذلك، ويسمينا بالإناث والمخانيث وأعداء السنة وغير ذلك كثير:

لقد قال في الفتاوى الكبرى عنا: (هذا حكاية عبر بها عن القرآن، والله تكلم مرة ولا يتكلم بعد ذلك، ثم قالوا: غير مخلوق، ومن قال مخلوق فهو كافر، وهذا من فخوخهم يصطادون به قلوب عوام أهل السنة، وإنما اعتقادهم أن القرآن غير موجود لفظته الجهمية الذكور بمرة والأشعرية الإناث بعشر مرات)(1)

وقال في مجموع الفتاوى: (ومن رزقه الله معرفة ما جاءت به الرسل وبصرا نافذا وعرف حقيقة مأخذ هؤلاء علم قطعا أنهم يلحدون فى أسمائه وآياته وأنهم كذبوا بالرسل وبالكتاب وبما أرسل به رسله ولهذا كانوا يقولون ان البدع مشتقة من الكفر وآيلة اليه ويقولون ان المعتزلة مخانيث الفلاسفة والاشعرية مخانيث المعتزلة، وكان يحيى بن عمار يقول المعتزلة الجهمية الذكور والاشعرية الجهمية الاناث ومرادهم الاشعرية الذين ينفون

1) الفتاوى الكبرى (5/330)

الصفات الخبرية، وأما من قـال منهم بكتـاب الابانـة الـذى صنفه الاشعرى فى آخـر عمـره ولم يظهـر مقالـة تنـاقض ذلك فهذا يعـد من أهـل السـنة لكن مجـرد الانتسـاب الى الاشعرى بدعة)(1)

وقال في موضع آخر من مجموع الفتـاوى: (فالمعتزلـة فى الصفات مخانيث الجهمية وأما الكلابية في الصـفات و كذلك الأشعرية ولكنهم كما قـال أبـو إسـماعيل الأنصـارى الأشـعرية الإنـاث هم مخـانيث المعتزلـة ومن النـاس من يقول المعتزلة مخـانيث الفلاسـفة لأنـه لم يعلم أن جهمـا سـبقهم الى هـذا الأصـل أو لأنهم مخـانيثهم من بعض الوجوه) (2)

أتعلمون ما مراده بالمخانيث؟.. لقد ذكر ذلك في كتاب الاستقامة، فقال: (وأحدث بعد أولئـك أيضـا الاسـتماع من المخانيث المعروفين بالغناء لأهـل الفسـوق والزنـا وربمـا استمعوه من الصبيان الـمُرْدان أو من النسوان الملاح كما يفعل أهل الدساكر والمواخير وقـد يجمعـون في السـماع أنواع الفساق والفجار) (3)

***

بعـد أن انتهى المتكلم من حديثـه تحـدث الكثـير من العلماء في مختلف المجـالات، وكلهم شـكا مـا حصـل لـه بسبب ابن تيمية، وقد كانت أحاديثهم من الطـول بحيث لا يسعها هذا المجلس، ولعلـه إن قـدر اللـه لنـا زمنـا أطـول فسأحدثك عن أشياء أخرى تدرك بها سر عداوة الكل لهذا

1) مجموع الفتاوى (6/359)

2) مجموع الفتاوى (8/227)

3) كتاب الاستقامة (1/306)

الرجل الذي لم يترك أحدا إلا سبه وآذاه.

قلت: فما كانت نهاية تلك الجلسات عسى أن أصحابك قد توقفوا عن صحبة ابن تيمية وصداقته.

قال: لقد انقسموا إلى فريقين: أما الفريـق الأول فقـد ظل مصرا على صداقته، وإن عادى الكل، وكان من بينهم ذلك الذي يجادل كثيرا، وقد عـرفت من خلال حـوار جـرى بيني وبينه أنه ليس لـه من العلم إلا مـا ذكـره ابن تيميـة، وأنه يخشى إن عادى ابن تيمية أن تذهب علومه جميعا.

وأما الفريق الثاني، فقد حصل له ما حصل للذهبي.

قلت: وما حصل للذهبي؟

قال: لقد كان يحسن الظن بابن تيمية، ويمتلئ له حبـا، ويكثر من الثناء عليه، لكنـه بعـد أن اكتشـف حقيقتـه كتب وصية طويلة، مما جاء فيها قوله مخاطبـا ابن تيميـة: (إلى كم ترى القذاة في عين أخيك وتنسى الجذع في عينــك !. إلى كم تمدح نفسك وشقاشـقك وعباراتـك وتـذم العلمـاء وتتبـع عــورات النــاس مـع علمـك بنهي الرسـول ﷺ: (لا تذكروا موتاكم إلا بخير، فإنهم قـد أفضـوا إلى مـا قـدموا) بلى أعرف أنك تقول لي لتنصر نفسـك: إنمـا الوقيعـة في هؤلاء الذين ما شموا رائحة الإسلام ولا عرفوا مـا جـاء بـه محمد ﷺ وهو جهاد.

يا رجل بالله عليك كف عنا، فإنك محجاج عليم اللسان لا تقر ولا تنام.. إياكم والغلوطات في الدين كـره نبيـك ﷺ المسائل وعابها ونهى عن كثرة السؤال وقال: (إن أخوف مـا أخـاف على أمـتي كـل منـافق عليم اللسـان) وكـثرة الكلام بغــير زلـــل تقســي القلـــوب إذا كـــان في الحلال

والحرام، فكيف إذا كان في عبارات اليونسية والفلاسفة وتلك الكفريات التي تعمى القلوب.

يا خيبة من اتبعك فإنه معرض للزندقة والانحلال لا سيما إذا كان قليل العلم والدين باطوليا شهوانيا لكنه ينفعك ويجاهد عندك بيده ولسانه وفي الباطن عدو لك بحاله وقلبه فهل معظم أتباعك إلا قعيد مربوط خفيف العقل أو عامي كذاب بليد الذهن أو غريب واجم قوي المكر أو ناشف صالح عديم الفهم، فإن لم تصدقني ففتشهم وزنهم بالعدل، يا مسلم أقدم حمار شهوتك لمدح نفسك.

إلى كم تصادقها وتعادي الأخيار.. إلى كم تصادقها وتزدري الأبرار.. إلى كم تعظمها وتصغر العباد. إلى متى تخاللها وتمقت الزهاد.. إلى متى تمدح كلامك بكيفية لا تمدح - والله - بها أحاديث الصحيحين.

يا ليت أحاديث الصحيحين تسلم منك بل في كل وقت تغير عليها بالتضعيف والاهدار أو بالتأويل والإنكار، أما آن لك أن ترعوى؟

أما حان لك أن تتوب وتنيب؟

أما أنت في عشر السبعين وقد قرب الرحيل.

بلى - والله - ما أذكر أنك تذكر الموت بل تزدري بمن يذكر الموت فما أظنك تقبل على قولي ولا تصغي إلى وعظي بل لك همة كبيرة في نقض هذه الورقة بمجلدات وتقطع لي أذناب الكلام ولا تزال تنتصر حتى أقول: يا ليته سكت.

فإذا كان هذا حالك عندي وأنا الشفوق المحب الواد

فكيف حالك عند أعدائك.

وأعداؤك - والله - فيهم صلحاء وعقلاء وفضلاء كمـا أن أولياءك فيهم فجرة وكذبة وجهلة وبطلة وعور وبقر.

قد رضيت منك بأن تسبني علانية وتنتفع بمقالتي ســرا (فرحم الله امـرأ أهـدى إلي عيـوبي) فـإني كثـير العيـوب غزير الذنوب.

قلت: هذا عن أصحابك.. فما عنك؟

قال: لقد شاء الله أن أستمر مع الوهابية ولو أن قلــبي كـان نـافرا منهم.. ومـا ذلـك إلا لأعـرف الشـر من جميـع أبوابه.. فلا يعرف الخير حق المعرفـة من لا يعـرف الشـر حق المعرفة.

في اليوم السادس عشر من زيارة صاحبي الوهابي دعيت إلى محاضرة يلقيها - كما ذكر لي صاحب الدعوة - رجل من كبار كبار العلماء، حتى أنه الوحيد الذي اختير له، أو اختار لنفسه لقب (رئيس اتحاد علماء المسلمين)، بل إن البعض لا يكتفي بهذا، بل يدعي أنه بابا الإسلام، أو أول بابا للإسلام.

ذهبت ممتلئا بهذه الألقاب إلى محل الدعوة، لأجد الشخص الذي يعرفه الجميع بلسانه الفصيح، وبيانه الآسر، وتردده بين أودية الشعر والنثر والبلاغة ما يبهر الأسماع ويجذب الأفئدة.

وكان حديثه في جميع محاضرته عن الإسلام.. وأنه الحل لكل المشاكل التي ينوء بها ظهر الأمة.. وعندما رأى في وجوه المستمعين قناعة بما يقول.. ومن يجرؤ على عدم الاقتناع بأن الإسلام هو الحل.. أخذ يسأل قائلا: لكن ما هو الإسلام الذي هو الحل؟

وهنا لاحظت على الحاضرين البسطاء علامات الدهشة، فالإسلام في تصورهم واحد يجمع الأمة جميعا، وهو الذي تكفل بتحديده القرآن الكريم، وتكفلت ببيانه السنة المطهرة، ثم تكلفت الأمة بجميع مدارسها ومؤسساتها لتشرحه، وتطبقه على أرض الواقع بحسب قراءتها له.

لكن الشيخ بابا الإسلام ورئيس العلماء لم يقبل هذا، بل راح يطرح المدارس الإسلامية مدرسة مدرسة متهما لها بأنه ليس لديها الحل.. فلا حل عند الصوفية، ولا حل عند الشيعة، ولا حل عند المتكلمين، ولا حل عند الفقهاء

التقليديين، ولا حل عند فلاسفة المسلمين، ولا حل عند خاصة المسلمين، ولا عند عامتهم..

وهنا نهض أحد أساتذة قريتنا البسطاء، وكان اسمه الدكتور فؤاد زكريا، وقال: أنا أرى من خلال طرحك أن الإسلام ليس حلا.. بل إنه مشكلة المشاكل.. لأنه سيصطدم مع الكل.. ويستحيل على من يصطدم ويصارع أن يؤسس مجتمعا أو دولة، بل يستحيل عليه أن يؤسس نفسا مطمئنة تعترف بالآخر وتسلم له.

غضب البابا غضبا شديدا، وقال: لاشك أنك العلماني الذي حدثوني عنه.. وحذروني منه.. أنت الآبق الذي رضع من الغرب سمومه.. أنت..

نسي الرجل ما كان فيه من الحديث ليتخذ من شخص محاوره هدفا يرمي إليه سهامه، التي لم تصبه وحده فقط، بل أصابتنا جميعا، فقد كان الرجل ضيفا عندنا، وكان من كرم ضيافتنا له أن لا يمس بسوء.. لكنا مع ذلك كتمنا أنفاسنا، ورحنا نحاول أن نغير مجرى الحديث، فسأله بعضنا قائلا: لقد افتى سماحتكم بأن صدام حسين ذلك الطاغية الآثم الذي أباد البلاد والعباد، وامتد شره لجيرانه يقاتلهم ويدمر بلادهم.. بأنه شهيد، وقد خطبت خطبة طويلة في مدحه والثناء عليه.

غضب الشيخ للسؤال بنفس غضبه الأول، وقال: وكيف لا يكون شهيدا، وهو الذي رفض تلك الحرب الصليبية التي شنت على بلاده.. وكان جزاؤه أن قتل مظلوما من طرف أولئك المجوس..

قال السائل: ولكن.. أين ظلمه وقتله وما فعله بإيران والكويت؟

قال الشيخ: أما ما فعله بالكويت.. فنعم، وقد أفتيت بضرورة مواجهته وحربه ليكف شره عن إخواننا من أهل السنة الكويتيين.. أما إيران، فقد كنت أراه في مواجهته لها قائما على ثغر الأمة ليحميها من ذلك التوسع الصفوي المجوسي الظالم المشوه للإسلام وعدالة الإسلام وروح الإسلام.. و... الإسلام، و... الإسلام.

قال السائل: ولكن.. لم لم تعتبر ما شن عليه من حرب بسبب الكويت حربا صليبية؟

قال الشيخ: لأني أفتيت فتوى صريحة بجواز الاستعانة بالأمريكان لصد العدوان.. وأفتيت مثلها لإخواننا في ليبيا لمواجهة طاغوتهم القذافي، وأنا أفتي مثلها لإخواننا في سورية لمواجهة العلويين، ولدي الكثير من الفتاوى الجاهزة لمن شاء من إخواننا في الجزائر، والمغرب والسودان.. وكل البلاد.. كل من يريد فتوى فسأفتيه لأن الإسلام – الذي هو الحل لكل مشاكل البشرية - لا يقبل الطغيان، ولذلك لنا أن نستعين بالأمريكان والألمان وكل الشجعان للتخلص من الطغيان أين كان وكيف كان.

قال السائل: لقد ذكر رئيس ليبيا قبل وفاته أن بلاده تتعرض لحرب صليبية.

قال الشيخ: خسئ الرجل وذل وضل.. كيف تكون حربا صليبية من إخوان لنا في الإنسانية قدموا إلى بلادهم مستسهلين كل صعب ليمكنوا للدين، وليحققوا لنا ما لم نستطع تحقيقه بالدعوة والتبليغ والإرشاد..

قال السائل: فأنت تعتبر أمريكا ومن حالفها أصدقاء.

قال الشيخ: أجل.. فلولاهم لم تتحقق أحلامنا وشعاراتنا

ومبادئنا التي سجنا واعتقلنا وعذبنا وأهنا بسببها.. أجل.. هذه هي الحقيقة التي ينبغي أن يعلمها المسلمون.. وعلى ضوئها حذرت المسلمين من أن يتعرضوا لأمريكا بسبب الفلم المسيء، فأمريكا بريئة، والجريمة مقتصرة على صاحب الفلم ومخرجه فقط.

قال السائل: ولكنك أفتيت قبل ذلك بمقاطعة الدانمارك جميعا بسبب الرسوم، والرسوم أقل خطرا من الفلم.

قال الشيخ: أنت لا تفهم عالم الفتوى.. إنه عالم صعب فيه حسابات كثيرة، لا توجد في كتب الفقه فقط.. فالمفتي يحتاج أن يكون سياسيا براغماتيا داهية وإلا فلن يتحقق الإسلام الحل.

قال السائل: فما الفرق بين الإسلام وغيره من النظم إذن ما دام ينتهج هذا المنهج؟

غضب الشيخ، وقال: الإسلام.. تسألني عن الإسلام.. الإسلام هو الحل لكل مشكلة.. إنه ذلك الدين الذي استطاع أن يحقق أعظم حضارة في التاريخ.. ألا تعرف الحضارة الأموية العادلة التي نعمت البشرية بظلالها وفاءت إلى فيئها؟

قال السائل: أنا أعرف أن في الأمويين جورا عظيما، فهم الذين حاربوا بيت النبوة وحاربوا المسلمين وفعلوا وفعلوا.

غضب الشيخ، وقال: إن لم يمثل الأمويون الإسلام.. فمن يمثله؟.. الأمويون هم الصفحة الناصعة البيضاء في تاريخ الإسلام.. في عهدهم لم يكن هناك نفوذ إلا

للإسلام.. لم يكن هناك اقتصاد إلا للإسلام.. لم تكن هنـاك عدالـة إلا للإسـلام، لم يكن هنـاك.. إلا للإسـلام، لم يكن هناك.. إلا للإسلام، لم يكن هناك.. إلا للإسلام.

وظـل يكررهـا إلى أن أتى المسـاء، فعـدت إلى بيـتي متعبا مرهقـا ممتلئـا بالشـبهات إلى درجـة أن صـحت من حيث لا أشعر: هل يمكن أن يكون الإسلام هو الحل؟

فجأة وجدت بجانبي صاحبي الوهابي، وهـو يـربت على كـاتفي، ويقـول: نعم الإسـلام هـو الحـل.. ولكن ليس إسـلامهم الـذي وضـعه لهم معاويـة، وأحفـاد معاويـة.. ولا الإسلام الذي نظر له ابن تيميـة أو ابن عبـد الوهـاب.. بـل إنـه الإسـلام الـذي أنزلـه رب العـالمين على القلـوب الطاهرة والأوعية النقية والصدور المنشرحة.. إنـه إسـلام السلم لا العنف.. وإسلام المحبـة لا البغض، وإسـلام العلم لا الجهـل، هـذا هـو الإسـلام الوحيـد الـذي جعلـه اللـه حلا لهموم النفس والمجتمع.

قلت: ليتك حضرت معي لتسمع ما قيل في المحاضرة التي ألقاها كما قيل لي أكبر رأس في العالم.

ضحك، وقال: بل ألقاهـا أكـبر مغـرور في العـالم.. أنـا أعرف ذلك الرجل جيدا.. أعرفه منـذ كـان يصـيح في كـل محفـل: لمـاذا لا يكـون للمسـلمين بابـا كمـا للمسـيحيين بابا!؟.. ويقـول: إن هـذا البابـا يسـتطيع أن يفـتي الفتـاوى ويصدر البيانات التي تقف مع قضايا المسلمين وتناصـرهم وتوحد صفوفهم وتحقن دماءهم.. ويقول كلامـا كثـيرا غـير هذا بثته وسائل الإعلام المختلفة..

وظلت كلماته تـتردد في الأثـير أحلامـا وأمـاني إلى أن طـرقت سـمع بعض الأمـراء أو بعض الساسـة أو بعض

رجـال الأعمـال أو بعض صـناع الفتن، فـراح يتأمـل في الفكرة، ويبحث عن المؤهل ليكـون بابـا المسـلمين الأول في التاريخ، فلم يجد إلا صاحب الأمنية نفسه.

قلت: ولم اختـاره دون غـيره.. ففي المسـلمين علمـاء كثـيرون لا يقلـون عنـه، بـل إنهم يفوقونـه في الكثـير من المعارف.. في العلوم النقلية والعقلية وغيرها؟

قال: ولكنه يفـوقهم بصـوته.. فهـو – كمـا تعلم - رجـل جهوري الصوت يستطيع أن يسـمع بصـوته العـالم أجمـع.. وهو – فوق ذلك - رجـل متسـرع مـا إن تخطـر على بالـه الفكرة حتى يذهب إلى صـوته الجهـوري ليسـمعها للعـالم من غير تـريث ولا بحث ولا نظـر، ربمـا يخـاف أن تعاجلـه المنية قبل أن يبثها، وربمـا يخـاف أن يسـبقه إليهـا غـيره، فتفوت عليه فرصه السـبق الصـحفي.. وهـو رجـل شـديد حديد اكتسب من سلفه ابن تيمية هذه الشدة والحدة فهو يوجهها إلى خصومه كما كـان الحجـاج يفعـل إلا أن سـيف الحجاج من حديد، وسيف هـذا الرجـل من الكلمـات، وقـد تفعل الكلمات ما لا تفعله الصـوارم والأسـنة.. وهـو فـوق ذلك رجل مجنـون بعظمـة بـدأت معـه منـذ صـغره البـاكر عندما أهله قومه لأن يخطب فيهم ولما ينبت عذاره.. وقد بقي معـه هـذا الشـعور بكونـه الأفضـل والأعلم وصـاحب الحق المطلق الذي لا ينبغي أن يجادل.

قلت: ولكن مـع ذلـك فقـد رضـيه المسـلمون واتفقـوا عليه وما كانت الأمة لتتفق على ضلالة؟

ضحك، وقـال: هـذا هـو الـوهم الـذي دعـاه إلى اعتبـار نفسه رئيس العلماء.. وهو الذي جره إلى ما جره إليه من تزعم الفتنة في العالم..

قلت: الفتنة؟

قال: أجل.. لقد كان من أول ما فعلـه بعـد حملـه لهـذا اللقب العظيم هو أنه ذهب إلى طائفة من الناس يقال لها (الشيعة)، وهي طائفة مسالمة ممتلئة ألما وحزنا على مـا أصاب ذرية رسول الله، وهي طائفة كـذلك نشـيطة قويـة تريـد أن تمهـد لمخلص موعـود يملأ الأرض عـدلا بعـد أن تمتلئ جورا.. وكانت هذه الطائفة تعيش في سلام مع كل مذاهب النـاس وطـوائفهم وأديـانهم.. وكـانت تنتشـر كمـا ينتشـر غيرهـا بالإقنـاع والحجـة والـدليل.. لكن هـذا البابـا الجديد لم يرضـه هـذا الانتشـار ولا ذلـك النشـاط ولا تلـك الوحـدة الـتي تمتلئ بهـا قلـوب المسـلمين فـراح ينشـر بيانات التحريض والتبديع والتضليل لتنشأ عنها فرقة وفتنة وتصدع يمس بنيان الأمة جميعا.

لم يكتف هذا الرأس بهـذا.. بـل راح يمـارس السياسـة من أوسع أبوابها أو من أرذلها.

قلت: لم أعلم أنه ترشـح لأي انتخابـات، ولا أنـه تـزعم أي حزب؟

قال: هو لا يرضى بالنزر اليسـير.. فلا يكفيـه أن يرشـح في مدينة أو يحكم حزبا.. وكيف يرضى بـذلك وهـو يطمح إلى أن يصير رئيس المسلمين كما هو رئيس علمائهم.

قلت: لم أعلم بهذا الطموح.. لكن ما هي الطاقة الـتي يستطيع من خلالها أن يصل إلى هذه المرتبـة، وهـو شـيخ كبير لا سلاح له ولا طاقة.

قال: ألا تعلم أن له لسانا وقلما وكتابا وأبواقـا وإمعـات كثيرين يسبحون لكل ما يقول؟

قلت: وما علاقة هذا بحكم المسلمين؟

قال: هناك شيء لا تعرفه يسمونه الفوضى الخلاقة.. وهؤلاء وأذنابهم يسعون بكل الوسائل إلى نشر الفوضى التي يستطيعون من خلالها أن يبرهنوا أن الإسلام هو الحل.. ذلك أنه ليس لديهم أي مشروع يقدمونه للناس سوى الشعارات، ولذلك لا يمكن أن يستمر بهم الحال من غير الفوضى والفتنة وإلا فضحوا.

سكت قليلا، ثم قال: سأضرب لك مثالا على ذلك.. ألا تعرف ما حصل في ليبيا؟

قلت: بلى.. فقد حصل فيها ما حاصل في سائر الوطن العربي من مطالبات بالإصلاح والتغيير..

قال: وقد بدأت الأحداث - كما تعلم - سلمية في منطقة من المناطق، ثم تحولت إلى عسكرية يواجه فيها المسلم أخاه، ويدمر بلده.

قلت: أجل.. وقد كان من الأخطاء الكبرى تحولها إلى العنف، فالعنف لا يولد إلا العنف.

قال: لقد كان في إمكان البابا رئيس العلماء حينها أن يسرع إلى محل الفتنة وهي تشتعل ليطفئها بكلمات من الحكمة، فيطالب الرئيس بالإصلاحات ويطالب الرعية بالسلام والحوار..

قلت: أجل.. كان في إمكانه أن يفعل ذلك خاصة وأنه يمتلك أكبر مؤسسة علمية إسلامية.

قال: لكنه لم يفعل فقد كان بطبعه ثائرا متسرعا مغرورا.. ولهذا لم يكلف نفسه إلا أن ينضم إلى معسكر

الثوار، ثم يفـتي على الملأ بهـدر دم الـزعيم.. وكـان يعلم بأن هذه الفتوى لن تزيد نار الزعيم إلا اشتعالا.. فما الـذي تنتظر من شخص تهدر دمه!؟

لم يكتف بهذا.. بل راح يفـتي بجـواز الاسـتعانة بالـذين كـان يصـفهم بـالأمس القـريب أعـداء وغربـاء.. راح يستجديهم.. وينفي عنهم صفة الصـليبية الـتي ظـل طـول عمره يصرخ بها..

ورأى بأم عينيه كيف كانت الدماء تسيل.. وكييف كانت الخيرات تنهب.. وكيف كـان الشـعب يقتـل بعضـه بعضـا.. وكيف كانت الطائرات تـرمي بالقنابـل بمختلـف أنواعهـا.. ولم يحرك كل ذلك فيـه سـاكنا، فقـد كـان لـه من الحـدة والشدة ما يحميه من آثار الانفعالات العاطفية.

قلت: كل ما تذكره من هـذا الصـحيح.. ولكن مـع ذلـك فقد حصل النصر أخيرا.

غضــب، وقــال: أي نصــر ينشــأ من الفتنــة والأحقــاد والصراع.. لقد خرب ليبيا خربه الله.. ولن ينجـو أهلهـا من الفتنة إلا بعد أن يصرخوا بسـقوطه كمـا صـرخوا بسـقوط زعيمهم.

قلت: المهم أن قضية ليبيا انتهت.. وهدأ الرجل.

غضب، وقال: وهل يهدأ الشيطان؟.. إن هذا الرجل لن يهدأ إلا في قبره إن قدر له أن يهدأ فيه.. ألا ترى ما يفعله في سوريا من قتل وتدمير؟

قلت: وما علاقته بسوريا هي الأخرى؟

قال: بعد أن حصل لـه في ليبيـا مـا توهمـه من نصـر..

وبعد أن رأى بأم عينيه كيف تحولت بادية ليبية الطيبة إلى خـراب ودمـار راح يبحث عن دور البطـل في فيلم أكشـن آخر، فاختار أرضا ممتلئة بالبركات هي سوريا.

هو يعلم أن في سوريا كما في سائر بلاد الشام علمـاء فحولا لا يقلون عنه باعـا في العلم والاجتهـاد.. ويعلم أنهم أدرى ببلـدهم وبمصـالحهم.. ويعلم أن في سـوريا نهضـة اقتصادية وعلمية راقيـة.. ويعلم مواقـف سـورية العدائيـة لكـل أعـداء الأمـة، بـل وقوفهـا الممـانع في وجـه كـل محاولات التطبيع.. لكن هذا العلم ــ نتيجة تسـرعه وحدتـه ــ لم ينفعه.. فراح ينعق في خطبـه وبياناتـه محرضـا على الفتنـة.. معتـبرا أولئـك العلمـاء الكبـار الـذين تفخـر بهم سـورية أبواقـا للسـلاطين، ناسـيا أنـه صـار بوقـا لأمريكـا ولإسرائيل ولكل أعداء الأمة.

كـان في إمكانـه وهـو صـاحب ذلـك المحـل الرفيـع أن يذهب صحبة جسده المسمى اتحاد علماء المسـلمين إلى سـورية كمـا ذهب قبلهـا إلى أفغانسـتان من أجـل تماثيـل بوذا.. وكان يمكن بسـهولة أن يلتقي بـالرئيس السـوري.. ويسمع منه خطة الإصلاح.. ثم يصدر بعدها بيانات الـدعوة إلى الحـوار وإلى السـلام وإلى الحكمـة.. وتنتهي بعـدها بسهولة الأزمة السورية.

لم يكن يحتـاج إلى عنـاء السـفر، فقـد كـان يكفيـه أن يسـمع من القنـوات السـورية وهي تبث خطب الـرئيس الداعية للحـوار.. لكن رأس هـذا البابـا الممتلئ كـبرا قـال بحدتـه وشـدته المعهـودة (لا حـوار) متخليـا عن كـل تلـك المبادئ التي كان يصرخ بها كـل حين من أن الإسـلام دين الحوار، وأن الله بعظمته وجلاله حاور إبليس..

لم يكتف بهذا.. بل راح يسعى لفيلم حربي جديد تقوده الولايات المتحدة الأمريكية في المنطقة.. عمل على هــذا أشهرا طـوالا.. لكن هـذا الحلم اصـطدم بـالفيتو الروسـي والصيني.. فراح يفتي بمقاطعة البضائع الروسية والصينية وهو يعلم أن الناس إن لم يشتروا بضـائع هـاتين الـدولتين فسيشترون بضائع أمريكا أو أوروبا أو إسـرائيل.. وهم في كل مراحلهم أعداء الأمة الأوائل.

لم يكفـه هـذا.. فـراح يصـدر فتـاوى وبيانـات بوجـوب الجهاد في سورية، وبإعانة الجماعات الإرهابيـة المسـلحة لا بالمال وحده، بل بالسلاح أيضا.. وهو يعلم أن نتيجة هذا خطيرة جدا قد تمتـد لأجيـال طويلـة.. ولكنـه لا يبـالي لأن عقله وتفكيره أضيق من أن يفكر في عـواقب مـا يصـدره من الفتاوى والبيانات..

لسنا ندري ماذا سيفعل بعـد هـذا.. لكنـا نعلم أن عمـر هذا الرجل إن امتد فسـيمد عنقـه إلى بلاد جديـدة ليجعـل من بلاد العرب والمسـلمين أنهـارا من الأحقـاد والضـغائن والدماء.

كان صاحبي يتحدث والغضـب قـد ملأه إلى أن خشـيت عليـــه، فقلت مازحـــا: وأخـــيرا أراك غاضـــبا على غـــير الوهابيين.. لعلك أدركت أن الشر ليس قاصرا عليهم.

نظـر إلي، وقـال: ومن قـال لـك أن هـذا الـدجال ليس وهابيا؟

قلت: لا أراه يطيل لحيتـه، أو يقصـر قميصـه.. بـل أراه عصرانيا إلى أقصى الحدود.

قال: إن الرجل وجه من وجوه الوهابية الكثـيرة.. وهـو

وجـــه مطلي ببعض المســـاحيق الـــتي تخفي الدمامـــة والكبرياء والغرور والفتنة.

قلت: ولكني أرى الوهابيين ينكرونه؟

قــال: هم ينكــرون مســاحيقه.. أمــا حقيقتــه فليســت غـيرهم.. ألا تـراه يرجـع كـل حين إلى ابن تيميـة يسـتلهم منه؟

قلت: بلى.

قال: ما أفلح من رجع إلى ابن تيمية..

قــال ذلــك، ثم أشــاح عــني بوجهــه، فلم أجــد إلا أن أنصرف وأتركه..

عنــدما دخلت غرفــتي شـغلت التلفــاز، فــرأيت صــورا لدمار كثير في سورية، وسمعت الصـحفي المعلـق يقـول بغضب: هذه آثار فتاواك يا قرضاوي.. وهذا هو الحل الذي جاء به الإسلام يا إخوان.. فهلا كففتم شركم عنا.

في اليـوم السـابع عشـر من زياتـه لي جـاءتني دعـوة للحضــور إلى أمســية شــعرية تقــام في بعض مراكزنــا الثقافية، وقد كانت المؤسسة الداعية إليهـا والراعيـة لهـا عجيبـة في نظـري، فقـد كـانت مؤسسـة وهابيـة ممتلئـة غلظــة، فتعجبت كيــف لانــوا للشــعر، أو كيــف لان لهم الشعر.

قلت في نفسي: لعل الله الذي ألان الحديد لـداود ألان من نفوسهم ما كان صعبا، ومن قلوبهم ما كان قاسيا.

ثم قلت لنفســي: فلأصــحب معي صــاحبي الوهــابي، فعساه يخفف من حدته وشدته وغلظته عليهم.

ذهبنا جميعا إلى الأمسية الشعرية التي لم نكن نتصــور أبدا أنها تتحول إلى أمسية حقدية.. وقــد انتهت بمــا تنتهي به مجالس الوهابية عادة من السباب المضـاف إليـه بعض السـهام الـتي أصـابتني، وأصـابت معي صـاحبي الوهـابي، والتي نقلنا بسببها إلى المستشفى، وتوقفنـا بسـببها مـدة عن مجالس الاعتراف التي يدلي بها إلي.

كان اسم الشاعر - كما ذكـر في تعريفـه - غريبـا جـدا، وكأنه جاء من القرون الخوالي، كان اسمه (أبـو عبـد اللـه محمد بن صالح القحطاني المعافري الأندلسي)(1)

وكــان مظهــره أغــرب منــه، فقــد كــان أقــرب إلى

1) قال أحمد بن المقري التلمساني في (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب) في ترجمته: هو أبو عبد الله محمد بن صالح القحطاني، المعافري الأندلسي المالكي رحل إلى المشرق فسمع بالشام خيثمة بن سليمان، وبمكّة أبا سعيد ابن الأعرابي، وببغداد إسماعيل بن محمد الصفّار، وسمع بالمغرب بكر ابن حماد التّاهرتي ومحمد بن وضاح وقاسم بن أصبغ، وبمصر جماعة من أصحاب يونس و المزني. روى عنه أبو عبد الله الحاكم وقال: اجتمعنا به بهمذان، مات ببخارى سنة 383، وقيل: سنة ثمان، وقيل: سنة تسع وسبعين.

السفاحين وقطاع الطرق منه إلى الشعراء.. بل إنه أضاف إلى القسوة البادية على ملامحه سيفا كان يختصره، وبجانبه خنجر، وقد علق على كاهله قوسا ومعها كنانة ملئت سهاما..

كان مظهره مضحكا جدا، ومخيفا جدا.. ولذلك فقد كتب في الإعلان عن الأمسية أن لا يحضر النساء ولا الصبيان ولا المجانين.. ولست أدري لم استثني المجانين.

المهم أن الجلسة بدأت، وأخذ الشاعر السفاح يلقي بقنابل شعره بصوت مدو كصوت المدافع، وكان يطلب من الحاضرين كل حين أن يستحسنوا ما يقوله بطريقة هي أشبه بالتهديد منها بالرجاء.

كان من جملة ما شدني إلى شعره ذلك الحقد الشديد على المخالف، فقد كان معنا نفر من المعتزلة دعوا كما دعينا، وقد تعجبت كيف دعوا.. ولكني عندما رأيته يتوجه إليهم بهذه الكلمات أو هذه القنابل عرفت سر دعوتهم لهم، لقد قال وهو ينظر إليهم بحقد وقسوة، وكأنه يغري بهم السفهاء من الوهابية:

مَنْ قَالَ: إِنَّ اللهَ خَالِقُ قَوْلِهِ ... فَقَدِ اسْتَحَلَّ عِبَادَةَ الأَوْثَانِ

مَنْ قَالَ: فِيهِ عِبَارَةٌ وَحِكَايَةٌ ... فَغَداً يُجَرَّعُ مِنْ حَمِيمٍ آنِ

مَنْ قَالَ: إِنَّ حُرُوفَهُ مَخْلُوقَةٌ ... فَالْعَنْهُ، ثُمَّ اهْجُرْهُ كُلَّ أَوَانِ

لاَ تَلْقَ مُبْتَـدِعاً وَلاَ مُتَزَنْـدِقاً إِلاَّ بَعَبْسَـةِ مَالـكِ الْغَضْـبَانِ

وَالْوَقْـفُ فِي الْقُـرْآنِ خُبْثٌ بَاطِـــــــــــــــلٌ وَخِدَاعُ كُلِّ مُذَبْـذَبٍ حَيْـرَانِ

قُلْ: غَيْرُ مَخْلُـوقٍ كَلاَمُ إِلَهِنَا وَاعْجَلْ، وَلاَ تَكُ فِي الإِجَابَةِ وَانِ

أَهْلُ الشَّرِيعَة أَيْقَنُوْا بِنُزُولِهِ وَالْقَـائِلُونَ بِخَلْقِـهِ شَـكْلاَنِ

وَتَجَنَّبِ اللَّفْظَيْنِ، إِنَّ كِلَيْهِمَا وَمَقـالُ جَهْمٍ عِنْـدَنَا سَـيَّانِ

ثم نظر إلى قـوم من الحاضـرين اشـتهروا بين النـاس بنصرة العقائد، والذب عنهـا، واسـتعمال المنـاهج العقليـة في ذلك، فقال:

لاَ تَلتَمِسْ عِلْمَ الْكَلاَمَ، فَإِنَّهُ يَـــــدْعُو إِلَى التَّعْطِيـــــلِ وَالْهَيَمَـــــــــــــــانِ

لاَ يَصْحِبِ الْبِـدْعيُّ إِلاَّ مِثْلَـهُ تَحْتَ الدُّخَانِ تَـأَجُّجُ النِّيرَانِ

عِلْمُ الْكَلاَمِ وَعِلْمُ شَـــــرْعِ مُحَمَّدٍ يَتَغَـايَرَانِ، وَلَيْسَ يَشْـتَبِهَانِ

أخذُوا الْكَلاَمَ عَنِ الْفَلاَسِفَةِ الأُولَى جَحَدُوا الشَّرَائِعَ غَرَّةً وَأمَانِ

حَمَلُـوا الأَمُـورَ عَلَى قِيـاسِ عُقُـــــــــــــولِهِمْ فَتَبَلَّدُوا كَتَبَلُّدِ الْحَيْـــــــرَانِ

ثم نظر إلى نفر من طلبة المعاهـد الدينيـة ممن كـانوا يلقبون بالأشاعرة، وراح يرمي إليهم بهذه القنابل:

وَالآنَ أَهْجُـــو الأَشْـــعَرِيَّ وحِزْبَـــــــــــــهُ وَأَذِيعُ مَا كَتَمُوا مِنَ الْبُهْتَـانِ

يَا أَشْعَرِيَّةُ هَلْ شَعَرْتُمْ أَنَّنِي رَمَــــدُ الْعُيـــــونِ، وَحِكَّةُ الأَجْفَــــــــــــانِ

أَنَـــا فِي كُبُـــودِ الأَشْــعَرَيَّةِ قَرْحَــــــــــــــةٌ أَرْبُو فَأَقتُلُ كُلَّ مَنْ يَشْنَانِي

وَلَقَـــدْ بَـــرَزْتُ إِلَى كِبَـــارِ شُـــــــــــــيُوخِكُمْ فَصَـــرَفتُ مِنهُمْ كُـــلَّ مَنْ نَـــــــــــــاوَانِي

أَشَـعَرْتُمُ يَـا أَشْـعَرَيَّةُ أنّنِي طُوفَانُ بَحْرٍ أَيُّمَا طُوفَـانِ؟

أَنَـا هَمُّكُمْ، أَنَـا غَمُّكُمْ، أَنَـا سُـــــــــــقْمُكُمْ أَنَـــا سُـــمُّكُمْ فِي السِّـــرِّ وَالإِعْلاَنِ

فَوَحَـقِّ جَبَّارٍ عَلَى الْعَـرْشِ اسْـتَوَى مِنْ غَيْـرِ تَمْثِيـلٍ كَقَـوْلِ الْجَـانِي

وَوَحَـقِّ مَنْ خَتَمَ الرِّسَـالَةَ وَالْهُـدَى بِمُحَمَّدٍ، فَزَهَا بِـهِ الْحَرَمَـانِ

لأَقْطِّعَنَّ بِمِعْوَلِي أَعْرَاضَكُمْ مَـا دَامَ يَصْـحَبُ مُهْجَتِي جُثْمَـانِي

وَلأَهْجُـوَنَّكُمُ وَأَثْلِبُ حِـزْبَكُمْ حَتَّى تُغَيِّبَ جُثَّتِي أَكْفَـانِي

وَلأَهْتِكَنَّ بِمَنْطِقِي أَسْتَارَكُمْ حَتَّى أُبَلِّغَ قَاصِـياً أَوْ دَانِي

وَلأَهْجُوَنَّ صَغِيرَكُمْ وَكَبِيْرَكُمْ غَيْظـاً، لِمَنْ قَـدْ سَـبَّنِي وَهَجَـانِي

وَلأَنْزِلَنَّ بِكُمْ أَلِيمَ صَوَاعِقِي وَلَتُحْـرِقَنَّ كُبُـودَكُمْ نِـيرَانِي

وَلأَقْطَعَنَّ بِسَـيفِ حَقِّي زُورَكُمْ وَلَيُخْمِـدَنَّ شُـوَاظَكُمْ طُوفَـانِي

وَلأَقْصِدَنَّ اللهَ فِي خِذْلاَنِكُمْ وَلَيَمْنَعَنَّ جَمِيعَكُمْ خِـذْلاَنِي

وَلأَحْمِلَنَّ عَلَى عُتَـاةِ طُغَـاتِكُمْ حَمْـلَ الأُسُـودِ عَلَى قَطِيـعِ الضَّـانِ

وَلأَكْبُتَنَّ إِلَى الْبِلاَدِ بِسَـــبِّكُمْ   فَيَسِيرُ سَيْرَ الْبُزْلِ بِالرُّكْبَانِ

وَلأَضْرِبَنَّكُمُ بِصَـارِمِ مِقْـوَلِي   ضَـــــرباً يُزَعْـــــزِعُ أَنْفُسَ الشُّـــــــــــــجْعَانِ

ثم نظر إلى جماعة من الفقهاء، فقال:

الْفِقْهُ مُفْتَقرٌ لِخَمْسِ دَعَائِمٍ   لَمْ يَجتَمِعْ مِنْهَا لَكُمْ ثِنْتَـانِ :

حِلْمٌ، وَإِتْبَـاعٌ لِسُـنَّةِ أَحْمَـدٍ   وَتُقىً، وَكَـــفُّ أَذىً، وَفَهْمُ مَعَـــــــــــــانِ

آثَـرْتُمُ الـدُّنْيَا عَلَى أَدْيَـانِكُمْ   لاَ خَيْـرَ فِي دُنْيَـا بِلاَ أَدْيَـانِ

وَفَتَحْتُمُ أَفْوَاهَكُمْ وَبُطُـونَكُمْ   فَبَلَعْتُمُ الــدُّنْيَا بِغَيْــرِ تَــوَانِ

كَـذَّبْتُمُ أَقْــوَالَكُمْ بِفِعَــالِكُمْ   وَحَمَلتُمُ الدُّنْيا عَلَى الأَدْيَـانِ

ثم نظر إلى جماعة من قراء القرآن الكـريم وحفاظـه، وقال:

قُـــــرَّاؤُكُمْ قَـــدْ أَشْــــبَهُوا فُقَهَــــــــــــــاءَكُمْ   فِئَتَـانِ لِلـرَّحْمَنِ عَاصِـيَتَانِ

يَتكَالَبَانِ عَلَى الْحَرَامِ وَأَهْلِهِ   فِعْـــــلَ الْكِلاَبِ بِجِيفَــــةِ

اللّحْمَـــــــــــــــانِ

أَزَعَمْتُمْ أَنَّ الْقُــرْآنَ عِبَـارَةٌ   فَهُمَا كَمَا تَحْكُـونَ قُرْآنَـانِ؟

ثم نظـر إلى جماعـة من المحـبين لآل بيت النـبي ﷺ، وقال:

لاَ تَعْتَقِدْ دِينَ الرَّوَافِضِ إِنَّهُمْ   أَهْـــلُ الْمَحَـــالِ وَشِـــيعَةُ الشَّـــــــــــــيْطَانِ

إِنَّ الرَّوَافِضَ شَرُّ مَنْ وَطِئَ الْحَصَـــــــــــــى   مِنْ كُلِّ إِنْسٍ نَاطِقٍ أَوْ جَانِ

وَالْعَنْ زَنادِقَـــةَ الـــرَّوَافِضِ إِنَّهُمْ   أَعْنَاقُهُمْ غُلَّتْ إِلَى الأَذْقَـانِ

جَحَــدُوا الشَّــرائِعَ وَالنُّبُــوَّةَ وَاقْتَـــــــــــدَواْ   بِفَسَادِ مِلَّةِ صَاحِبِ الإِيـوَانِ

لاَ تَـــرْكَنَنَّ إِلَى الـــرَّوافِضِ إِنَّهُمْ   شَــتَمُوا الصَّـحَابَةَ دُونَ مَـا بُرْهَـــــــــــــانِ

ثم نظر إلى جماعة من علماء الفلك والجغرافيـا دعـوا إلى ذلك المجلس، وقال:

وَكَـذَا الطَّبِيعَـةُ لِلشَّــرِيعَةِ ضِـــــــــــــدُّهَا   وَلَقَــلَّ مَــا يَتَجَمَّعُ الضِّــدَّانِ

وَإِذَا طَلَبْتَ طَبَائِعـــــــــاً مُسْتَسِـــــــلماً ... فَـــاطْلُبْ شُـــوَاظَ النَّارِ فِي الْغُـــــــدْرَانِ

عَلْمُ الْفَلاَسِـــفَةِ الْغَـــوَاةِ طَبِيعَـــــــةٌ ... وَمَعَـــادُ أَرْوَاحٍ بِلاَ أَبْـــدَانِ

لَـــوْلاَ الطَّبِيعَـــةُ عِنـــدَهُمْ وَفِعَالُهَا ... لَمْ يَمْشِ فَـــوْقَ الأَرْضِ مِنْ حَيَـــــــوَانِ

وَالْبَحْـرُ: عُنْصُـرُ كُـلِّ مَـاءٍ عِنْـــــــدَهُمْ ... وَالشَّـــمْسُ أَوَّلُ عُنْصُـــرِ النِّيرَانِ

وَالْغَيْثُ: أَبْخِـــرَةٌ تَصَـــاعَدَ كُلَّمَا ... دَامَتْ بِهَطْلِ الْوَابِــلِ الْهَتَّانِ

وَالرَّعْـدُ عِنْـدَ الْفَيْلَسُـوفِ بِزَعْمِـــــــهِ : ... صَوْتُ اصْطِكَاكِالسُّحْبِ فِي الأَعْنَـــــــانِ

وَالْبَـرْقُ عِنْـدَهُمُ: شُـوَاظٌ خَـــــــارِجٌ ... بَيْنَ السَّـحَابِ يُضِــيءُ فِي الأَحْيَـــــــانِ

كَــذِّبْ أَرِسْطَالِيسَــهُمْ فِي قَوْلِـــــــهِ ... هَـذَا، وَأَسْـرَفَ أَيَّمَـا هَـذَيَانِ

الْغَيْثُ يُفَـرَغُ فِي السَّـحابِ ... وَيَكِيلُـــهُ مِيكَـالُ بـــالْمِيزَانِ

مِنْ السَّـــــــــــما

لاَ قَطْـرَةٌ إِلاَّ وَيَنْـزِلُ نَحْوَهَا   مَلَكٌ إِلَى الآكَـامِ وَالفَيْضَـانِ

وَالرَّعْدُ: صَيْحَةُ مَالـكٍ وَهُـوَ اسْـــــــــــمُهُ   يُــزْجِي السَّــحَابَ كَسَــائِقِ الأَظْعَـــــــــــانِ

وَالْبَـــرْقُ: شُـــوظُ النَّارِ يَزْجُرُهَــــا بِــــهِ   زَجْـــرَ الْحُـــدَاةِ الْعِيسِ بِالقُضْـــــــــــبَانِ

أَفَكَـــــــــانَ يَعْلَمُ ذَا أرِسْطَالْيسُـــــــــهُمْ   تَــدْبِيرَ مَــا انْفَــرَدَتْ بِــهِ الْجِهَتَـــــــــــانِ؟

أَمْ غَـــابَ تَحْتَ الأَرْضِ، أَمْ صَـــــعِدَ السَّـــــمَا   فَــرَأَى بِهَــا الْمَلَكُـوتَ رَأْيَ عِيَـــــــــــانِ؟

أَمْ كَانَ دَبَّرَ لَيِلَهَا وَنَهَارَهَــا؟   أَمْ كَـــاَن يَعْلَمُ كَيْـــفَ يَخَتَلِفَـــــــــــانِ؟

أَمْ سَـــارَ بَطْلَيْمُـــوسُ بَيْنَ نُجُومِهَـــــــــــا؟   حَتَّى رَأَى السَّـــــــــيَّارَ وَالْمُتَـــــــــــوَانِي؟

أَمْ كَــانَ أَطْلَــعَ شَمْسَــهَا وَهِلاَلَهَـــــــــــا؟   أَمْ هَلْ تَبَصَّرَ كَيْفَ يَعْتَقِبَانِ؟

أَمْ كَــانَ أَرْسَــلَ رِيحَهَــا   بِالْغَيْثِ يَهْمِـلُ أَيَّمَـا هَمَلاَنِ؟

وَسَـــــــــــــــحَابَهَا

بَلْ كَـانَ ذَلِـكَ حِكْمَـةَ اللـهِ   بِقَضَـائِهِ مُتَصَـرَّفُ الأَزْمَـانِ
الَّذِي

وهكذا ظل يتردد من قوم إلى قوم يهجوهم، ويســبهم، ولا يترك شيئا يمكنه أن يسـيء إليهم إلا نطـق بـه إلى أن طفح الكيل، فوقف صاحبي الوهابي، وقد اعترتـه الحميـة، وراح يهجوه بمثل مـا يهجـو بـه غـيره، فصـوب سـهما من كنانته إليه، فقمت أحميه، فصوب سـهما آخــر، ولم نفطن بعدها إلا ونحن في المستشفى.. ولا زلنا فيه.

هذا الكتاب

كاتب هذه الاعترافات رجـل كتب لـه في فـترة من حياته أن يتبنى الفكر الوهابي، ويدعو إليـه، ويسـتميت في دعوته، ولكن الله بفضله ومنه وكرمه قيض له من يخرجه من كل تلك السجون التي وقع فيها، وقد تعرض لكثير من الأذى بسبب خروجه.

وهو – إذ يحمـد اللـه على فضـله- يسـعى من خلال هذه السلسلة، كما يسعى من خلال غيرهـا من السلاسـل أن ينبــه إخوانــه من الوهــابيين إلى اســتعمال عقــولهم والرجوع إلى الحقيقة، فلا شيء أجمل من الحقيقة.